

The book cover features a young girl with short brown hair, looking off to the side. The background is a mix of yellow and green, with a faint image of a building. The title is written in large, white, stylized Arabic calligraphy. Below the title, there is a yellow box with the text 'تذكرني' in black. At the bottom, there is more text in Arabic and a social media handle.

ماري تغيّر كلارك

تذكرني

مكتبة الرمحي أحمد

الكتاب ٥٥

.. تيليجرام @ktabpdf

نوفل

ماری لعیضینز کلارک

تذکرني

مکتبة الرمحی أحمد

نقلته من الإنکلیزیة رانیا سعد

الکتاب ۵۵

تیلیجرام .. @ktabpdf

نوفل

17 أغسطس

يحلول الساعة التاسعة من تلك الليلة، كانت العاصفة قد بلغت ذروتها: رياح عنيدة رقص على إيقاعها موج البحر، وتكسر جباراً على الساحل الشرقي لكايب كود. قالت مينلي لنفسها وهي تتقدم لإغلاق نافذة المطبخ: «لن يقتصر الأمر على هبوب ريح شمالية غربية. لكن، من يعرف؟ قد يكون ذلك ممتعاً». قالت ما قالتها في محاولة لالتماس بعض الطمأنينة. لقد عطلت العاصفة حركة الملاحة في مطارات كايب كود، ما اضطر آدم لاستئجار سيارة يركبها من بوسطن. ها هو يوشك على الوصول. المؤن الغذائية متوفرة. فمينلي استعدت للأمر، كما خزنت بعض الشمع في حال انقطاع التيار الكهربائي. ماذا لو أمضت الليلة على ضوء الشموع؟ خاطرة مرت ببالها، فاقشعر لها بدنّها.

أدارت جهاز الراديو على الإذاعة المحلية، التي كانت تبث مختارات من أغاني الأربعينيات. كم كانت دهشتها كبيرة، لسماعها أغنية «ريممبير». أغنية ملائمة جداً حين تكون مقيماً في مكان اسمه ريممبير هاوس. لوهلة، أرادت تغيير الموجة، لكنّها عدلت عن ذلك، وراحت تقطع الطماطم شرائح، لتحضير السلطة. فقد أبلغها آدم، عبر الهاتف، بأن الوقت لم يتسنّ له لتناول الطعام. من جديد، كانت الرياح تملأ أرجاء المنزل صغيراً. كيف لا والمنزل جائم على سدّ

تتخبط المياه تحته، قل أنه بوقٌ تنفخ فيه الرياحُ جام غضبها وجنونها، تصرخ كمن يُنادي من بعيد مردّداً «ريممبِر... ريممبِر...» خصوصيّةً انفراديًّا بها ذاك المنزل وأدان لها باسمه، بحسب ما تُخبره الاساطير.

إنتابت مينلي رجفةً، فيما انهمكت في تقطيع الكرفس. لكنّها فكّرت في آدم الذي سوف يصل بين لحظةٍ وأخرى. سيحتسي كأساً من النبيذ، فيما تُعدُّ له طبق الباستا.

فجأة تناهت إلى مسماعها ضجّة. ما مصدرها؟ هل انفتح أحد الأبواب، يا تُرى؟ أو إحدى النوافذ؟ إستشعرت الخطر. أطفأت الراديو. فكّرت، يا إلهي! الطفلة! هل كانت تبكي؟ هل هو بكاءٌ ما سمعته أم صرخةٌ مخنوقة؟ أسرعت مينلي إلى المنضدة، أمسكت بالجهاز اللاسلكي الموصول بغرفة طفلتها، وألصقته بأذنها. لهاثٌ مكبوتٌ ومن بعده لا شيء. كانت الطفلة تختنق.

تركت المطبخ على عجل، إجتازت الردهة وبلغت السلالم. بدت على الأرضيّة الخشبية ظلالاً رماديّةً وبنفسجية، عكستها النافذة الصغيرة فوق باب المدخل.

بالكاد لامست رِجلاها السلالم، فيما ارتقتها مسرعةً إلى الطابق الثاني مروراً بالرواق. بلغت غرفة نوم الطفلة، ووقفت عند بابها. لم تسمع أي صوتٍ أتٍ من ناحية السرير. راحت تصرخ «هانا، هانا». كانت الطفلة مُمدّدة على بطنها، بلا حراك. إنحنت مينلي فوقها مسعورةً، أمسكت بها وأدارتها. يا لهول المنظر، فقد جحظت له عينها. كانت تُمسك بدُميمة صينيّة قديمة.

عبثاً حاولت مينلي الصراخ، بقِيَ صوتها مخنوقاً. من الخلف، أتتها همسةٌ. كان أحدهم يقول لها «أسفٌ مينلي، فقد حُسم الأمر».

15 يوليو

1

لاحقًا، حاول سكوت كوفي، بما أوتي به من تماسك طوال مرحلة الإستجواب، أن يسرد على الحضور مجرى الأحداث.

في ذلك اليوم المشؤوم، كان وفيفيان يستمتعان بـقيلولة هادئة على ظهر المركب، حيث استسلما لشعور لطيف بالنعاس تحت أشعة شمس خفيفة، انعكست على صفحة مياه صافية هادئة. فتح إحدى عينيه وقال لها متثائبًا: «أشعرُ بالحرّ. هلا غطسنا في المياه؟» مرّرت فيفيان شفّتيها على ذقنه، وأجابت: «لا أشعرُ بالرغبة في ذلك». أتى ردّها همسًا مشوبًا بشيء من العذوبة والكسل.

«أما أنا فبلى..» قالها بحزم، وأضاف وهو يتأمل المياه: «تبدو لي المياه صافية، إنّها مثالية».

كانت الساعة قد ناهزت الرابعة، والمركب على بُعد ميلٍ واحدٍ من جزيرة مونوموي. أمّا الجوّ، فلم يخلُ من بعض الرطوبة، فيما هبت بعض النسائم الخفيفة.

قال لها سكوت: «سوف أجلبُ العُدّة.» اجتاز ظهر المركب، وبلغ المقصورة الصغيرة المُستعملة مخزنًا.

وقفت فيفيان في محاولةٍ للتغلب على الخمول والنعاس. قالت له: «إجلب لي عُذتي.»

إلتفت وسألها: «هل أنت متأكدة؟ أتودين حقًا الغطس؟ لن أغيب سوى لدقائق قليلة. لم لا تأخذين قسطًا من الراحة خلال ذلك؟» «لا تحلم حتى بذلك»، قالت وهي تسرع نحوه وتطوّقه بذراعيها: «عندما نقصد هاواي الشهر المقبل، لن يسعني مرافقتك لاستكشاف تلك الجزر المرجانيّة. لذا، يجدر بي التدرّب قليلًا.»

في ما بعد، قال بحسرة أنه لم ينتبه أن جميع المراكب قد غادرت خلال قبيلولتهما. كما أنه لم يطلع على نشرة الأحوال الجوية. كان قد مرّ على نزولهما البحر عشرون دقيقة عندما هبت العاصفة. فاهتاجت المياه واضطربت، فيما صارعا لبلوغ المركب. غير أنّ موجةً عالية ضربتهما بقوة، واختفت فيفيان. بحث عنها بدون كلل، وغطس في المياه مرارًا وتكرارًا، إلى أن انتابه ضيق في التنفّس. كان المحققون يعرفون تتمة القصة. كانوا قد استمعوا إلى نداء الإستغاثة الذي أطلقه كوفي لخفر السواحل فيما كانت العاصفة في أوجّها: «النجدة! زوجتي مفقودة! زوجتي مفقودة!»

28 يوليو

2

جَلَسْتُ إيلين أتكينز قُبالة آدم نيكولز، إلى الجانب الآخر من الطاولة. كانا في ذلك المطعم حيث اعتادت اصطحاب زبائنها النافذين. كان موسم الاصطياف في أوجِه في كايب كود، والمطعمُ يغصُّ بالرواد الذين شغلوا طاولاته كلها.

بادرته إيلين بالقول وهي تُشير بيدها إلى الجالسين من هنا وهناك: «برأيي لا داعٍ لاستراق السمع، لمعرفة ما يتحدث عنه الجالسون. ففيفيان كاربنتر، تلك الشابة التي اختفت أثناء ممارسة رياضة الغطس منذ بضعة أسابيع، هي حديث الموسم. أنا بعثها المنزل حيث تقطن في تشاتهم، وقد تصادقنا بعد ذلك. وبينما كنتُ أكلمك عبر الهاتف، علمتُ أنَّ البحر قد لفظ جثتها منذ ساعة.»

علّق آدم بهدوء: «إتفق وكنث، في أحد الأيام، على متن مركب حيث شهدتُ على انتشار جثة مرّ على بقائها في المياه أسابيع عدّة. لم يكن المنظر جميلاً. كيف وقع الحادث؟»

«كانت فيفيان سباحة ماهرة، لكنّها لم تُتقن أصول الغطس، ما حدا بزوجها سكوت إلى تدريبها على ذلك. فات الزوجين سماعُ الإنذار

بهبوب العاصفة. الزوج المسكين منهار. لم يمضِ على زواجهما سوى ثلاثة أشهر.»

رفع آدم حاجبه وقال: «الغطس في تلك الظروف، قبيل هبوب العاصفة، هو ضربٌ من الطيش والإهمال.»

أما إيلين فرَدّت: «قل إنها مأساة. لقد كان الزوجان سعيدين في زواجهما. وكانت فيفيان تألف جدًا السباحة هنا. فهي، مثلك تمامًا، اعتادت تمضية الصيف في كايب كود. قبل لقائهما سكوت، كانت تائهة مشوشة. هي تنتمي إلى عائلة كاربنتر من بوسطن، وهي الصغرى بين إخوتها. لكنّها تخلّت عن الدراسة، ولم تكن على علاقة طيّبة بعائلتها. زاوَلت العديد من الوظائف. وعندما أكملت عامها الحادي والعشرين، منذ ثلاث سنوات، حصلت على حصّتها من تركة جدّتها. فاشترت المنزل. لقد أحبّت سكوت حبًا عظيمًا، وأرادت مشاركته كلّ شيء.»

«بما في ذلك الغطس في الاحوال الجويّة السيئة؟ ما مهنة الزوج؟»

«سكوت؟ لقد شَغِل منصب مساعد مدير المسرح في كايب كود. في تلك الفترة، التقى فيف. أظنّ أنّها زارته في الشتاء. ثمّ عاد ليستقرّ هنا في مايو، وسرعان ما انتشر خبر زواجهما.»

«ما اسم عائلته؟»

«كوفي. سكوت كوفي. إنه من مكان ما في ميدويست.»

«شابٌّ غريبٌ يتزوَّج فتاةً ثريّة، والفتاة تلقى حتفها بعد ثلاثة اشهر من الزواج. لو كنتُ من المحقّقين في القضيّة، لطلبتُ قراءة وصيّتها في الحال.»

قالت له إيلين معترضة: «دعك من هذا التحليل، أرجوك. من المفترض أنك محامي الدفاع، لا المدعي العام. لقد عاشرت الزوجين، وتسنى لي رؤيتهما مرارًا وتكرارًا. كانت أمنيتهما تكوين عائلة وإنجاب الأطفال. لذا بحثا عن منزل أكبر، وكنت أنا من دلهما إلى عدد من المنازل في الجوار. صدقني. الشابة ذهبت ضحية حادث مروّع.»

هز آدم كتفيه وقال: «ربما يكون ذلك صحيحًا... وقد أكون مبالغًا في نزعتي التشكيكية.»

كانا يحتسيان النبيذ. تنهدت إيلين وقالت: «فلنغير الموضوع. من المفترض أننا نحتفل بحدث هامّ. تبدو لي بأحسن حال يا آدم. لا بل أراك سعيدًا في حياتك، وراضيًا بها. هل تسير الأمور فعلاً على ما يُرام؟ أقصد علاقتك بمينلي. أتلهف للقائها.»

«مينلي شجاعة. سوف تتحسن حالتها. بالمناسبة، لا تتطرق في حضورها إلى مسألة نوبات القلق التي تُصيبها، فهي لا تُحب التحدّث بالموضوع.»

«أتفهم الموقف، لا عليك.» راحت إيلين تتأمل آدم بإمعان. لفتتها بعض خصل الشيب التي غزت شعره البنيّ. سوف يُكمل التاسعة والثلاثين من العمر قريبًا. كان طويل القامة، نحيلًا.

عرفته مذ كانا في السادسة عشرة من العمر؛ في تلك الفترة، استخدمت عائلته مدبرة منزل، من مكتب التوظيف الذي كانت والدتها تديره. لا شيء يتغيّر إطلاقًا، قالت إيلين في نفسها. كانت قد لاحظت نظرات الإعجاب التي راحت النساء في المطعم يرمقنه بها، وهما جالسان إلى الطاولة.

إقترب منهما النادل وبيده قائمة الطعام. راح آدم يراجعها، واقترح على إيلين ضاحكًا: «ما رأيك بالستيك المشوي مع صلصة الترتار؟»

أما هي، فنظرت إليه نظرة لوم، وقالت له: «أرجوك، لا تكن خبيثًا. لقد كنت طفلةً في تلك الفترة.»

«سوف أذكركِ بذلك دومًا. لاين، يسرتني أنك عرضتِ عليّ ريممبر هاوس. كنتُ قد قطعْتُ الأمل من إيجاد منزل مناسب للإيجار لشهر أغسطس.»

هزت إيلين كتفيها وردت عليه: «أنا سعيدةٌ لسير الأمور على هذا النحو. إلى اليوم، لا يسعني أن أتصوّر ذاك الكمّ من أعطال السمكريّة، في المنزل الذي تدبّرته لكما في إيستهام. لكنّ ريممبر هاوس منزل رائع. لقد جدّده آل بالي، قبل أن يُصاب الزوج توم، بنوبةٍ قلبيةٍ أودت بحياته، ما دفع زوجته لعرض المنزل للبيع؛ فهي لن تطيق العيش فيه وحيدةً. أنا واثقةٌ من أنه لن يصمد طويلًا. فالزبائن كثير ومتلهفون لشرائه. أمل أن يكون من نصيبكما.»

«سوف نبحث المسألة. بصراحة، أنا أرغب في امتلاك منزل هنا، من جديد. في حال قرّرنا الاستقرار في المدينة، من الضروري أن يكون لنا منزل صيفي هنا. فَبَحَارَةُ الأيام الغابرة أتقنوا بناء المنازل.»

«لهذا المنزل بالذات قصة. يبدو أنّ الكابتن أندرو فريمان قد بناه لعروسه في العام 1703، لكنّه ما لبث أن هجرها، عندما كشف أمر العلاقة التي كانت تقيمها مع رجل آخر من المدينة، في أثناء غيابه في البحر.»

عبس آدم وعلّق قائلاً: «لقد أخبرتني جدّتي أنّ المستوطنين

الاولائل كانوا من المتزمتين. على كلّ حال، لن أجري أي ترميم أو تجديد على المنزل. فنحن نمضي عطلة، حتى لو اضطررت للذهاب إلى المدينة من وقت إلى آخر. فأنا منهمك في قضية بوتر. لربّما قرأت عنها. فقد حُكم على الزوجة بالسجن. ليتني تولّيت الدفاع عنها منذ البداية».

«كم أتمنى أن أراك ترافع في المحكمة في يوم من الأيام.»
 «تعالى إلى نيويورك. أطلبى من جون أن يصحبك إلى هناك.
 متى تتزوّجان؟»

«لم نُحدّد الموعد إلى الآن، لكنه سيكون في الخريف. فابنة جون غير متحمّسة لفكرة زواجنا. لا تتحمّل أن أسرق جون منها، بعد أن احتفظت به وقتًا طويلًا. إيمي تبدأ الجامعة في سبتمبر، لذا قررنا الزواج قبل عيد الشكر أو بعده.»

«أراك سعيدة، لاين. أنتِ رائعة الجمال، جذّابة وناجحة. أكثر نحولاً من ذي قبل، وشعرك أكثر شقرة من ذي قبل، وأنا مُعجبٌ بمظهرك.»

ضحكت إيلين وسألتُهُ: «هل أعتبرُ كلامك إطرَاءً؟ لا تُفسد علاقتنا، أرجوك. مع ذلك، شكراً على الإطرَاء. بالفعل، أنا سعيدة. فجون هو الرجل المناسب الذي لطالما انتظرته. عودةً إليك، لا يسعني إلا أن أشكر الله على حالتك اليوم. يسرّني أنك تهتمّ بنفسك من جديد. صدّقني، آدم، فقد قلقْتُ على حالك، السنة الماضية، عندما أتيتني بعد انفصالك عن مينلي.»

«كانت فترة عصيبة.»

راجعت إيلين قائمة الطعام. قالت له: «اليوم أنا أدعوك على

حساب مكتب أتكنز للعقارات. أرجوك، لا تعترض. فَرِيْمْبِر هاوس معروض للبيع، وفي حال قَرَّرتَ شراءه في يوم من الايام، فسوف أتقاضى العمولة.»

طلبا الطعام وقال لها آدم: «لقد كان الخطُ مشغولاً عندما اتَّصلتُ بمينلي منذ بعض الوقت. سوف أعاود الاتصال بها الآن.»
عاد بعد دقيقة، وقد بدا مضطرباً. «ما زال الخطُ مشغولاً.»
«ماذا عن خدمة الانتظار؟» **مكتبة الرمحي أحمد**
«مينلي لا تُحبِّدها، بل تعتبرها مهينة للشخص المتَّصل.»
«قد تكونُ على حقّ، مع ذلك، فالخدمة عمليّة.»

تردّدت إيلين قبل أن تضيف: «تبدو مشغول البال. هل باتت مينلي بحال أفضل الآن؟»

أجاب آدم: «تبدو لي بخير. لكنّ نوبات القلق التي تُصيبها من وقت إلى آخر لا تطاق؛ فهي تشلّها، سيّما وأنها تستعيد الحادث من جديد. سوف أعاود الاتصال بها بعد دقيقة. لكن، قولي لي، ألم أريكِ صورة للطفلة؟»

«هل تحمل لها صورة؟»

«بكلّ تأكيد.» ومدّ يده إلى جيبه.

«هاكِ صورة جديدة لها. إسمها هانا. أكملت شهرها الثالث الأسبوع الماضي. أليست مذهلة؟»

تأمّلت إيلين الصورة بإمعان وردّت: «إنّها رائعة الجمال.»

أمّا آدم، فقال بلهجة حازمة: «إنّها تشبه مينلي، لذا ستبقى رائعة الجمال دوّماً.» أعاد الصورة إلى جيبه وقام من مقعده قائلاً: «في حال كان الخطُ مشغولاً، سوف أطلب من عامل الهاتف قطعهُ.»

راقبته إيلين وهو يجتاز الصالة. لقد لاحظت التوتر الذي ينتابه
لبقاء زوجته في المنزل وحيدة.
«إيلين.»

لقد كانت كارولين مارش تكلمها، وهي مديرة وكالة للإعلانات
في نيويورك، في الخمسين من عمرها. لم تُتح لها الفرصة لترد لها
التحية. بادرتها بدون مقدمات: «هل علمت بكم قُدرت ثروة فيفيان
كاربنتر؟ خمسة ملايين دولار. آل كاربنتر لا يتطرقون إلى المسائل
المالية، لكن هذا ما أفصحت عنه واحدة من الاقرباء. أمّا فيفيان،
فأخبرت الجميع بأن زوجها هو الوريث الوحيد. ألا تظنين أن أكوام
المال هذه كفيلاً بتجفيف دموع سكوت كوفي؟»

3

لا بد من أن يكون آدم هو المتصل. فقد أبلغها بأنه سيتصل بها في هذا
الوقت. حملت مينلي الطفلة على كتفها، فيما توجهت نحو سماعة
الهاتف. «كفاك حليبا، هانا. لقد أنهيت نصف الزجاجة الثانية. إن
استمررت على هذا المنوال، تخطى وزنك الوزن الطبيعي للأطفال
بعمرك.»

حشرت سماعة الهاتف بين أذنها وكتفها، وراحت تُربّت على
ظهر الطفلة. لكن المتصل لم يكن آدم، بل جاين بيرس، رئيسة تحرير
مجلة «ترافل تايمز». بادرتها جاين بدون مقدمات: «مينلي، سوف
تقصدان كايب كود في شهر أغسطس، أليس كذلك؟»

ردت عليها مينلي: «لا تحسديني على ذلك عزيزتي. فقد علمنا

البارحة بوجود أعطال سمكريّة في المنزل، الذي كان يُفترض بنا
استئجاره. فقصد آدم كايب كود هذا الصباح ليتدبّر منزلاً آخر.»
«سألته جابن: «ألم يفت الأوان على إيجاد منزل لهذا الموسم؟»
«لأدم صديقة قديمة تدير مكتباً عقارياً. تُدعى إيلين. هي من
تدبّرت لنا المنزل الأوّل، وتجزم بأنّها قد وجدت البديل الرائع؛ على
أمل أن يوافق آدم على خيارها.»
«بالتالي، في حال قصدتما...»

«جابن، في حال قصدنا كايب كود، أنوي تأليف كتابٍ آخر ضمن
سلسلة كُتب «دايفيد». فقد سمعتُ من آدم الكثير عن المنطقة، ما
أثار حماسي لتأليف الكتاب التالي عنها.» كان دايفيد (10 سنوات)
بطل سلسلة روايات الأطفال التي اشتهرت مينلي بكتابتها.
ردّت عليها جابن بالقول: «أعرف أنّ طلبتي أشبه باستجداء خدمة
منك، لكنني أتمس منك التشديد على الخلفيّة التاريخيّة للمكان...»
إستمرت المكالمة خمس عشرة دقيقة، وضعت على أثرها
مينلي سماعة الهاتف، وقد طلبت منها رئيسة التحرير كتابة مقالة
عن كايب كود لمجلة «ترافل تايمز».

ربّنت على ظهر الطفلة للمرّة الأخيرة وقالت: «أنا أدين لجابن
ببداياتي في هذا المجال، منذ عشر سنوات. صح؟ هذا أقلّ ما يمكنني
فعله لردّ جميلها.»

غير أنّ هانا كانت قد استسلمت للنوم على كتفها. تمّشت
مينلي إلى النافذة. كانت الشقّة في الطابق الثامن والعشرين، وتُشرف
على جادة إيست إيند، وعلى المنظر الخلاب لإيست ريفر والجسرين
المحيطين به.

بعد أن فقدنا طفلهما بوبي، إنتقل الزوجان إلى مانهاتن، ما ساهم في رفع معنويات مينلي، وتحسُن صحتّها النفسيّة. مع ذلك، فقد يُفيدها الابتعاد قليلاً في شهر أغسطس.

بعد نوبة القلق المروّعة الاولى التي أصابت مينلي، شجّعها طبيبها النسائي على مقابلة معالج نفسي. قال لها: «أنت تعانين ممّا يُعرف بالتوتّر النفسي المتأخّر، وهذا عارض شائع بعد تجربة مرعبة، كالتي مررت بها، لكنّ العلاج موجود وأنا أنصحكِ به.»

أخذت مينلي بنصيحتته، وبدأت تتردّد إلى عيادة المعالجة النفسية، الدكتورة كوفمان، مرّة بالأسبوع. فشجّعته هذه الأخيرة على الذهاب في عطلة مع عائلتها.

«إنّ الأزمات التي تمرّين بها منطقيّة، وهي مفيدة على المدى الطويل. لقد عشتِ نكراناً للذات قرابة سنتين، بعد وفاة بوبي. الآن وقد أنجبتِ هانا، أصبحتِ قادرة على التعامل مع المشكلة. أنصحكِ بهذه العطلة. أتركي المدينة وانشدي المتعة. لكن، لا تنسي أخذ الدواء. وفي حال احتجتِ إليّ، لا تتردّدي في الاتصال بي في أي وقت. في حال لم تفعلي، أراكِ لدى عودتك في سبتمبر.»

فكرت مينلي «سوف نمضي أوقاتاً ممتعة». ثم حملت الطفلة النائمة إلى غرفتها، مدّدتها في السرير، غيرت لها الحفاض وغطّتها. انحنت فوقها وهمست: «الآن طفلتني، كوني لطيفة ونامي لبعض الوقت.»

أحسّت بتشنّج في رقبتها وكتفيتها، فراحت تتمطّي، وتدير رأسها شمالاً ويميناً. تدلّت خصلٌ من شعرها البني على ياقة كنزتها. لطالما تمنّت مينلي لو أنّها أطول قامةً. لكنّها عادت ورضيت بقامتها، وعزّت

نفسها بأنها قويّة البنية ورشيقة. فهي تواظب على التمارين الرياضيّة اليوميّة.

قبل أن تطفئ الأنوار، راحت تتأمل الطفلة المعجزة. حقًا، إنها الطفلة المعجزة.

لقد تربّت مينلي مع أخ أكبر سنًا حوّلها إلى طفلة تهوى اللهو بألعاب الصبيان. لطالما مالت إلى عشرة الفتيان، وأصبحت في سنّ المراهقة صديقة ابني أخيها وحاضنتهما.

مع ذلك، لم تكن تتوقّع ذاك الشلال الجارف من الحبّ، الذي اجتاح كيانها مع ولادة بوبي، والذي تحوّل الآن إلى هذه الطفلة المكوّنة تكوينًا رائعًا، ذات الوجه المستدير، والطباع النّكدة أحيانًا.

رنّ الهاتف فيما دخلت غرفة الجلوس. أسرعت لتردّ. كانت واثقة من أنه آدم، الذي حاول الاتصال بها على الأرجح، فيما كانت تُكلّم جاين.

كان هو. قالت له بفرح: «مرحبًا حبيبي. هل تدبّرت لنا منزلًا؟» تجاهل سؤالها وقال: «مرحبًا حبيبي. كيف تشعرين؟ كيف حال الطفلة؟»

تردّدت مينلي لثوان قليلة، قبل أن تُجيبه. فهي كانت تتفهم قلقه، مع ذلك، ألمها سؤاله.

«أنا بخير، لكنني لم أطمئنّ على أحوال هانا منذ مغادرتك هذا الصباح. إنتظر دقيقة، لأذهب وأراها.»

«مينلي!»

«أسفة آدم، لكنّها الطريقة التي تسأل فيها. وكأنك تتوقّع أخبارًا

أجابها نادماً: «أعذريني، فأنا أحببكمما بالقدر نفسه. وأقلق على سلامتكمما. أنا مع إيلين. لقد وجدت لنا منزلاً مذهلاً. منزل قديم يعود لبخار على جزيرة موريس في تشاتهام. الموقع خلّاب، ويُشرف على البحر. سوف تُحببته. حتّى إنّه يحمل إسماً: ريمبر هاوس». سوف أخبرك كلّ شيء عنه عندما أعود إلى المنزل. سوف أنطلق من هنا بعد العشاء.»

قالت له مينلي معترضة: «كايب كود تبعد خمس ساعات بالسيارة. وقد قطعَت المسافة هذه مرّة اليوم. لم لا تُمضي الليلة هناك، وتعود غدًا في الصباح الباكر؟»

«لا أهتمّ للمسافة. أودّ أن أكون معكما، أنتِ وهانا. أحبّك.»
«وأنا أيضًا أحبّك.»

تودّعا، وضعت مينلي السماعة، وقالت في نفسها: «أمل ألا تكون لهفتك للعودة إلى المنزل بهذه السرعة ناتجة عن تخوّفك من بقائي لوحدي مع الطفلة.»

31 يوليو

4

أمسك هنري سبراغ بيد زوجته، فيما كانا يَتمشيان على طول الشاطئ. لقد شارَفَ بعد الظهر على زهايته، وكانت أشعةُ الشمس تنساب من بين الغيوم. حسنًا فعل، بأن لفَّ رأس فيبي بالوشاح الدافئ. غريبٌ كيف أن المساء المُتسلَّل قد غَيَّرَ معالم الشاطئ بعد أن هجره هوة السباحة، وتركوا رماله ومياهه الباردة، فاستعادت تناغمها الأصلي مع الطبيعة. كانت طيور النورس تقفز على الموج، بينما تجمعت أصداف البطلينوس، بألوان الزهر والرمادي والأبيض، على الرمال الرطبة. لفت نظره بعضٌ من حطام سفينة، وقد طاف على وجه المياه. تذكر سترة النجاة، التي رآها منذ بضع سنوات، وقد قذفتها الأمواج إلى الشاطئ، على أثر غرق سفينة «أندريا دوريا».

لطالما طاب له ولفيبي التنزه في تلك الساعة من النهار. على هذا الشاطئ بالذات، منذ أربع سنوات، انتبه هنري للمرّة الأولى لأعراض النسيان التي بدأت تنتاب زوجته. الآن، أصبح يدرك بحسرة، ضرورة معالجتها في مصحّ. فهو لن يقدر، بعد اليوم، على رعايتها في المنزل. صحيحٌ أنّها تتجاوب بعض الشيء مع العلاج، لكنّها استغلّت مؤخرًا فرصة غيابه عن المنزل لتتسلَّل هي أيضًا خارجًا. وفي أحد

الأيام، تركت المنزل عند الغسق، وقصدت الشاطئ، حيث لحق بها، فرآها في وسط المحيط. فيما سارع إليها، أوقعتها موجة في المياه. لم تدرِ ماذا تفعل، فأوشكت على الغرق.

فكر «لقد أمضينا معًا ستة وأربعين عامًا. يمكنني زيارتها كل يوم في المصحّ. سوف يكون ذلك لخيرها. كان واثقًا من أنه يفعل عين الصواب، مع ذلك، ألمته فكرة الافتراق عنها. نظر إليها وهي تجرّ خطاها الثقيلة إلى جانبه، صامتة، تائهة في عالمها الخاص. رثى لحالها، هي الدكتور فيبي كامينغز سبراغ، أستاذة التاريخ في جامعة هارفرد، التي لم تعد تذكر ما إذا كانت قد تناولت الفطور.

قطعا مسافة لا بأس بها. رفع عينيه صوب كُثبان الرمال، وبان له المنزل في الأفق. لطالما شبّهه بنسرٍ جائم، وحيدًا، يُراقب. نادى زوجته قائلاً «فيبي.» استدارت وحدّقت به، عابسة. أشار باصبعه إلى المنزل قبالتهما وقال: «لقد أخبرتك بأن آدم نيكول سوف يستأجر لشهر أغسطس المنزل، حيث سيقوم مع زوجته وطفلتهم الجديدة. سوف أدعوها لزيارتنا قريبًا. لطالما أحببت آدم.»

آدم نيكولز. لوهلة، انقشع الضباب الذي لفّ ذهن فيبي، وفكرت في ذلك المنزل. كان اسمه الأصلي «نيكينوم». كلمة هندية معناها «أنا ذاهب إلى المنزل». فكرت فيبي «لقد كنتُ أتنزّه على مقربة منه. دخلت المنزل. قابلتُ فيه شخصًا أعرفه. مَنْ كان يا ترى؟ كان يقوم بتصرفات غريبة.... لا، لا يجب أن تقيم زوجة آدم هناك...» غير أنّ التشوّس ما لبث أن وجد طريقه إلى ذهنها من جديد. نظرت إلى زوجها وسألته بهمس: «آدم نيكولز، مَنْ يكون؟»

1 أغسطس

5

خَلَدَ سكوت كوفي إلى الفراش عند منتصف الليل. إلا أنه كان لا يزال عاجزًا عن النوم عندما تسَلَّتْ خيوط الفجر الأولى إلى غرفته، بعد ذلك غلبه النعاس، فاستسلم له. لكنّه سرعان ما استيقظ مجددًا، وقد أصابه صداع أليم.

سحب الأغطية مجددًا، فالليلة كانت باردة. مع ذلك، كان واثقًا من أنّ انخفاض الحرارة مؤقّت. فبحلول الظهر، سوف تعود شمس الصيف وتسطع على كايب كود، وتُلطّف الأجواء نَسائِمُ المحيط. كانت الغرفة باردةً في تلك اللحظة، ولو كانت فيفيان معه، لكان حتمًا أغلق النوافذ، قبل أن تنهض من السرير.

اليوم، تُدفن فيفيان.

قام سكوت من السرير، وتذكّر جلساتهما الصباحيّة. لقد اعتاد خلال فترة الأشهر الثلاثة من زواجهما أن يقدم لها القهوة في السرير، حيث كانا يحتسيانها معًا.

لكأنّها كانت قبالتة، تُسند ظهرها إلى كومة من الوسائد، وتمزح بشأن مقدّمة السرير النحاسيّة.

لطالما ردّدت على مسمعه: «لقد أعادت أمي تصميم غرفتي عند بلوغي السادسة عشرة. أردتُ سريراً بمقدّمة نحاسيّة، لكنّ أمي ردّت بأنني لا أتمتّع بأي ذوق للهندسة الداخليّة، وبأنّ الأسرة بالمقدّمة النحاسيّة باتت مبتذلة. لذا، ما إن استلمت حصّتي من التركة، حتّى بادرتُ، قبل كلّ شيء، إلى شراء أكثر الأسرة زخرفة». ضحكت وتابعت: «لكنني أقرّ بأنّ مقدّمة السرير المنجّدة مُريحة أكثر بكثير، لإسناد الظهر.»

في صباح ذلك اليوم، تناول الفنجان من يدها ووضعه أرضاً. ثم اقترح عليها: «لم لا ترتاحين عليّ؟»

غريبٌ كيف أنّه تذكّر، اليوم، تلك الحادثة بالذات. دخل سكوت المطبخ، حضّر القهوة والخبز المحمّص، وجلس إلى المنضدة. كانت الواجهة الأمامية للمنزل تطلّ على الشارع، بينما تطلّ الواجهة الخلفيّة على بُحيرة أوستر. بان له، عبر النافذة الجانبية، منزل آل سبراغ. لقد أخبرته فيفيان بأنّ السيّد سبراغ ستودّع المصحّ قريباً. قالت له: «لا يُحبّذ هنري فكرة أن أزورها بعد اليوم، لكن يجدر بنا دعوته للعشاء عندما يكون وحيداً.»

أضافت: «من الممتع أن نستقبل الضيوف ونحن معاً.» ثمّ عانقته بحرارة وسألته: «أنت تحبني فعلياً، أليس كذلك يا سكوت؟»
 كم مرّة ضمّها إليه، وأكّد لها حبّه، كم مرّة واساها، ومرّر يديه في شعرها. وكم مرّة عدّدت هي الأسباب التي أوقعتها في حبّه. «لطالما حلمتُ برجل طويل القامة، وأنت كذلك. لطالما حلمتُ به أشقر ووسيمًا، يحسدني عليه الجميع. أنت كذلك، والجميع يحسدونني عليك. لكنّ الأهمّ من هذا كلّهُ، هو أنني تمنيتُ أن يبادلني حبًا مجنوناً.»

«وهذا ما أفعله.» حقيقةً ما انفكّ يردها على مسمعها يومًا

بعد يوم.

نظر سكوت من النافذة إلى الشارع، وهو يسترجع أحداث الأسبوع السابق. فقد سارع بعض أقرباء فيفيان وأصدقائها إلى تعزيتته، منذ لحظة إعلان وفاتها. مع ذلك، أحجم الكثيرون عن القيام بذلك، لا سيّما والداها. كان يعرف، أنه، بنظر الكثيرين، مجرد صائد ثروات وانتهازي. فقد نشرت بعض صحف بوسطن وكايب كود مقابلات مع أشخاص تناولوا ظروف الحادث، وأبدوا ظنونهم بصراحة.

لأجيال عدّة، كانت عائلة كاربنتر عائلة نافذة في ولاية ماساتشوستس، قدّمت للبلاد عددًا لا يُستهانُ به من الحُكام ومن الأعضاء في مجلس الشيوخ. لذا اهتمّت الصحافة بأخبارها. قام عن كرسيه ليسكب المزيد من القهوة. وإذ بضيق ينتابه، لمجرد التفكير في ما ينتظره: مراسم الدفن والوجود الاعلامي الضاغط. سوف يكون قُبلة الانظار.

فكر «إلى الجحيم بأرائكم، جميعًا، لقد كنّا متحابّين.» أخذ جرعة سريعة من القهوة التي كانت تغلي. أحسّ بحرقه في فمه، فسارع إلى المجلى وبصقها.

6

توقفًا في بازرد باي ما يكفي من الوقت لتناول القهوة والقليل من الطعام، ولشراء صحيفة بوسطن غلوب. إنطلقا بعد ذلك، في سيارتهما الستايشن، وسلكا جسر ساغامور. تنهّدت مينلي وقالت له: «هل يُقدّمون القهوة في الجنّة، برأيك؟»

ردّ عليها آدم، وقد علت ثغره ابتسامة: «يجدر بهم تقديمها. وإلا، لن يبقى المرء مُستيقظًا ما يكفي للتمتّع بمكافأته الأبديّة.»

لقد انطلقا من المنزل باكراً، عند الساعة صباحًا. كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة والنصف وهما يجتازان قناة كايب كود. من ناحيتها، أمضت هانا الدقائق الخمس عشرة الأولى من الرحلة في الصراخ، لكنها سرعان ما غطت في النوم بعد ذلك، كطفلة سهلة المراس، على غير عادة.

إنعكست شمس الظهيرة ظللاً فضيّة على الجسر الحديدي. تحته، في القناة، شقت باخرة شحن عُباب المياه.

اجتازا الجسر، وسلكا الطريق 6. قال لها آدم: «لقد اعتاد أبي، كلّما بلغنا هذه النقطة، أن يهتفَ عاليًا: «ها قد عُدنا إلى كايب كود!» وأردف: «لطالما كانت كايب كود منزله الحقيقي.»

«هل ندمت والدتك، برأيك، على بيع المنزل؟»

«لا. فهي لم تعد تهتمّ بتمضية الصيف في كايب كود بعد رحيل والدي. هي اليوم سعيدة في كارولينا الشماليّة، بالقرب من أخواتي. لكنني، على غرار والدي، أكنّ لكايب كود محبّة كبيرة، لكأنّها تجري في دمي. فقد درجت عائلتنا على تمضية الصيف هنا، لثلاثة قرون.»

إستدارت مينلي قليلاً ليتسنى لها رؤية زوجها. كانت مسرورة لتمضية العطلة أخيراً، في هذا المكان. لقد سبق وخططا للمجيء إلى كايب كود في الصيف الذي ولد فيه بوبي، لكنّ الطبيب لم يُحبّد فكرة ان تمضي مينلي الصيف في مكان بعيد، خشية أن تدهمها عوارض الولادة، سيّما وانها كانت في مرحلة حملها الأخيرة. أما السنة التالية، فكانا قد اشتريا المنزل في راي، للتوّ، فانشغلا في الانتقال إليه. لذا، لم يريا ضرورة للمجيء إلى كايب كود.

في الصيف الذي تلى انتقالهما إلى راي، فقدنا طفلهما بوبي. وبعد ذلك، غرقت مينلي في حالة رهيبة من الضياع، واجتاحها شعور بالانفصال عن الناس، حتى عن آدم، فانقطعت عن التواصل معه. العام المنصرم، أتى آدم بمفرده إلى كايب كود. كانت قد طلبت منه الانفصال المؤقت. وافق على مضمض وقال لها: «لا يسعنا الاستمرار في هذه الحياة، مين».

كان قد مضى على رحيله ثلاثة أسابيع، عندما اكتشفت مينلي أنها حامل. لم يتصل بها طوال تلك الفترة. أما هي، فأمضت أيامًا في حيرة من أمرها، لا تدري ما تفعل. هل تُخبره بأنها حامل؟ راحت تتساءل عن ردّة فعله. بعد طول تفكير، قرّرت الاتصال به. ردّ عليها ببرودة ما لبثت أن استحالت صيحة ابتهاج عندما قالت له: «آدم، قد لا تكون الأخبار التي سأزفها لك سارة بالنسبة إليك، لكنني حامل وسعيدة بذلك».

تريّث لحظة وأجاب: «أنا قادمٌ إليك».

أحسّت بآدم يُمسك بيدها. قال لها: «هل تراودنا الأفكار نفسها، يا تُرى، في هذه اللحظة؟ كنتُ في هذا المكان عندما علمتُ بأنّ طفلتنا الجميلة ستُشرّفنا بقدمومها إلى الحياة؟»

ساد الصمت لِثوانٍ قليلة. ثم استرسلت مينلي في الضحك، وقد كبتت دموعها. «هل تذكر إصرار فيليس على تسمية الطفلة مينلي هانا؟» وراحت تُقلّد صوت زوجة أخيها وهي تقول «برأيي، من اللائق احترام التقليد العائلي الذي يقضي بتسمية البنت الأولى مينلي، لكن، أرجوكم، لا تُسمّيانها هانا. فالإسم قديم. ما رأيكما باسم مينلي كيمبرلي، فتناديانها بِكيم؟ أليس إسمًا جميلًا؟»

تابعت مينلي بعد أن استعادت نبرة صوتها الإعتيادية: «حقًا! بصراحة!»

أما آدم، فقال: «لا تغضبي مني حبيبتي! لكنني أمل ألا تكون والدتك تذوق الأمرين من فيليس في هذه الأثناء.»
كانت والدة مينلي قد رافقت ابنها وكنّتها في رحلة إلى إيرلندا.
«فيل عازمة على البحث في تاريخ العائلتين. وفي حال وجدت بين أسلافها لصوصًا ومجرمين، أنا واثقة من أنّها ستخفي الأمر عن الجميع.»

سما حركة صادرة من المقعد الخلفي. إلتفتت مينلي وقالت:
«يبدو أنّ السيّدة الجميلة ستتنضمّ إلينا قريبًا، وهي تتصوّر جوعًا.»
مالت إلى الوراء ووضعت المصاصة في فم هانا.
«فلنصل، لكي تصمد ريثما نبلغ المنزل.»

وضعت حاوية القهوة الفارغة في كيس، وتناولت الصحيفة.
قالت له: «آدم، أنظر إلى هذه الصورة. إنها للزوجين اللذين أخبرتني عنهما. الشابة التي قضت غرقًا عندما كانا يمارسان الغطس. الجنازة اليوم. يا للزوج المسكين. إنها لحادثة مأساوية!»
حادثة مأساوية. كم مرّة سمعت هاتين الكلمتين اللتين حرّكتنا في تلك اللحظة ذكريات مُروّعة تمّنت لو تنساها.

لقد كانت تسلك الطريق الجبلية تلك، وقد وضعت بوبي في المقعد الخلفي. كان يومًا مشمسًا بعث فيها شعورًا بالفرح. راحت تُغني لبوبي الذي سرّه ذلك، فتجاوب معها غناءً. اجتازت سكة الحديد التي لم يقف عليها حارس. بعد ذلك، أحسّت بالاهتزازات. نظرت من شباك السيّارة. لمحت سائق القطار مسعورًا. ما هي إلا لحظات

حتى صدم القطار سيّارتها، فيما حاول السائق عبثًا إيقافه. كان بوبي يصرخ: «ماما... ماما» لقد ارتطم القطار بالباب الخلفي حيث جلس بوبي، وراح يجرّ السيّارة. أما بوبي فكان يتنهد بانفاس سريعة ويصرخ «ماما.. ماما». بعد ذلك، أغمض عينيه، فعرفت أنه فارق الحياة. راحت تهزّه وتصرخ: «بوبي، أريد بوبي... بوبي.»

مرة أخرى، شعرت مينلي بالعرق يتصبّب منها. بدأت ترتجف. ضغطت بيديها على ساقها للتحكّم بالتشنج الذي انتابها. «يا إلهي!»، صرخ آدم وهو يراها في تلك الحالة. كانا يقتربان من إحدى الاستراحات. توقّف عندها، استدار وضمّها إليه قائلاً: «إهدأي حبيبتي، إهدأي.»

راحت هانا تنتحب في المقعد الخلفي.

بوبي ينتحب ويقول: «ماما... ماما»

في تلك اللحظة، كانت هانا من ينتحب.

صرخت مينلي بأعلى صوتها: «أسكتها، فلتكفّ عن النحيب!

أسكتها!!»

7

كانت الثانية عشرة إلا رُبْعًا. قرأت إيلين الساعة على لوحة جهاز القياس في السيارة. لن يتأخر آدم ومينلي بالوصول، وأرادت التحقق من حالة المنزل قبل وصولهما. فقد حرصت على أن يكون المنزل مرتبًا وألا ينقصهما شيء. من بين الخدمات التي درجت إيلين على تلصيقها للزبائن، تنظيف المنزل قبل استئجاره وبعده. ضغطت برجلها

على دؤاسة البنزين، فهي قد تأخرت على موعدها بسبب حضورها جنازة فيفيان كاربنتر كوفي.

توقفت بشكل تلقائي أمام السوبرماركت. فكّرت في شراء بعض السلمون المدخّن الذي يُحبّه آدم. سوف يستمتع بتناوله مع زجاجة الشمبانيا المثلّجة التي كانت تحتفظ بها لزبائنها المهمّين. ستصل إلى المنزل قبلهما، تترك لهما كلمة ترحيب، وتغادر في الحال.

تحوّل الصباح الغائم إلى صباح مشمس وصافٍ. فتحت إيلين فتحة السقف، وراحت تُفكّر في الحديث الذي أدلت به لمراسل التلفزيون. فيما كان الموكب الجنائزي يهّم بمغادرة الكنيسة، إنتهت للمراسل يوقف الناس، ويسألهم التعليق على الحادثة. فتوجّهت إليه وبادرتة بالسؤال: «هل تسمح لي بالتحدّث؟»

نظرت إلى الكاميرا مباشرة، وقالت: «أنا إيلين أتكينز. لقد بعث فيفيان كاربنتر المنزل حيث تسكن في تشاتهم، منذ ثلاث سنوات. قبل يوم من وفاتها، كنتُ أدلّهما، هي وزوجها، على منازل أكبر. فقد كانا سعيدين ونيويان إنجاب الأطفال. ما حصل مأساة، لا لغزّ كما يعتقد الجميع. برأيي، يجدر بمن يبثّ الإشاعات المُغرضة بحقّ السيّد كوفي، أن يتحقّق من عدد الأشخاص الذين كانوا على متن المراكب في ذلك اليوم، وفاتهم سماع تحذير خفر السواحل، فأوشكوا على الغرق عندما ضربت العاصفة.»

كانت واثقة من أنّ سكوت كوفي شهد على حديثها من داخل سيارة الليموزين.

إجتازت المنارة، ومن ثمّ كويتنيسيت، ومن بعدها سلكت الطريق الخاصّ الذي يُفضي إلى ريممبر هاوس. إنعطفت، فطالعتها

المنزل وحاولت أن تتصوّر ردّة فعل مينلي، عندما تراه للمرة الاولى.
لقد كان منزلاً أكبر من المنازل التي شُيّدت في أوائل القرن
الثامن عشر، عربون حبّ الكابتن أندرو فريمان لعروسه الشابّة.
تصميمٌ هندسيّ صارخ ومهيّب، ينتصب على جُرفٍ عالٍ، بين السماء
والبحر. حدائقُ غصّت بنجمات الصباح، ينافسها توت العليق والأزهار
البريّة الملوّنة. أما أشجار الخرنوب، التي أثقلتها الأيام، فكانت أشبه
بواحات تقي الجالس في ظلّها حرّ الشمس.

كان الممرّ المبلّط يؤدّي إلى المرآب خلف المنزل. عبست
إيلين ما إن لمحت أمامها شاحنة كاري بيل. هذه الأخيرة هي عاملة
تنظيف ممتازة، لكنّها تتأخّر دوماً بالعمل. كان يجدر بها الانتهاء من
عملها ومغادرة المنزل قبل وصول إيلين.

دخلت إيلين المطبخ حيث وجدت كاري، وقد حملت جزدانها
تأهباً للرحيل. كان وجهها نحيلاً وشاحباً. إعتادت التكلّم باستعجال.
«أنسة أتكينز، أعرف أنّي تأخّرت، لكنني اضطررت إلى ترك تومي
عند والدتي. المنزل مرتّب ونظيف، لكنني أعترف بأنني سعيدة
لمغادرته.»

سألته إيلين بشرعة: «ما الخطب؟»

ردّت عليها كاري، بصوت مرتجف: «لقد حصل لي أمر غريبٌ
ومخيف. كنتُ في غرفة الطعام، عندما سمعتُ وقع أقدام في الطابق
العلوي. فكّرت في أنّك قد وصلتِ فناديتك. لم ألقِ أي ردّة، فصعدتُ
لألقي نظرة. أنسة أتكينز، هل تذكرين ذلك المهد القديم الموضوع في
غرفة النوم؟»

«بالطبع أذكره.»

ازداد وجه كاري شحوبًا. قبضت على ذراع إيلين وقالت: «آنسة أتكينز، كانت النوافذ مغلقة لا تتيح دخول أي نسمة هواء. غير أنّ الغطاء على السرير كان مجعدًا بعض الشيء، وكأنّ أحدهم يجلس عليه، بينما كان المهد يهتز. كان هناك شخص ما جالس إلى جانب المهد يهزه، لكنني لم أكن أستطيع رؤيته.

قالت لها إيلين: «كفى كاري، أنتِ حتمًا متأثرة بالروايات السخيفة التي اختلقها الناس عن المنزل، منذ أن أصبح مهجورًا. أرضية المنزل قديمة وغير ثابتة. لا شكّ في أنّك قد دسّ عليها برجليك الضخمتين، فتحرك المهد.»

تناهى إلى مسمعها هدير سيّارة تسلك الممرّ. لقد وصل آدم وعائلته. قالت لكاري بلهجة صارمة: «إنها تخيّلات سخيفة. إياك أن تنبسي ببنت شفة عنها إلى آل نيكولز.» إلتفتت ولمحت مينلي تترجّل من سيّارة الستايشن. عرفت أنها عبثًا تُحدّر كاري، فالقصة لن تلبث أن تُصبح حديث البلد.

8

مضى على التحاق ناثانيل كوغان بشرطة تشاتهم ثمانية عشر عامًا. ولد نات في بروكلين، وارتاد كلية جون جاي في مانهاتن، حيث تخصص في العلم الجنائي. هناك التقى زوجته، ديب، التي أقامت طوال عمرها في هيانيس. لم تبد هذه الأخيرة حماسة للعيش في نيويورك، ما حدا به إلى تقديم طلب للالتحاق بشرطة كايب كود. اليوم، هو تحرّ، في الأربعين من عمره، ووالدٌ لمراهقين. عُرف نات

بطبعه المرح والمنفتح، سيّما وأنّه سعيدٌ في حياته العائلية والمهنيّة، اقتصرتم همومه على ذلك القلق من الكيلوغرامات السبعة التي أكسبه إياها، هو الممتلئ أصلاً، طهو زوجته الممتاز.

مع ذلك، كان ثمة مسألةٌ مربكة تقضّ مضجعه مؤخّراً. فرئيسه، فرانك شيا، كان واثقاً من أنّ مقتل فيفيان كاربنتر كوفي ناجمٌ عن حادثة قضاء وقدر. قال له فرانك: «في ذلك اليوم، وقعت حادثتا غرق قريبتان. فيفيان كاربنتر هي صاحبة المركب، وهي تألف تلك المياه أكثر مما يفعل زوجها. إذا كان ثمة أحد عليه أن يفكر في تشغيل الراديو، فهي ذلك الشخص.» مع ذلك، كان نات مصمّماً على المضيّ قدماً في التحقيق، على أمل أن تنجلي ظنونه، أو تتأكد.

في صباح ذلك اليوم، أبكر نات بالوصول إلى المكتب، وانكبّ على مراجعة صور التشريح التي أرسلت من بوسطن. لطالما درّب نفسه على الموضوعيّة في ما يتعلّق بصور الضحايا. لكنّ منظر الجثّة الهزيلة، أو ما تبقى منها، بعد أن ابتلعته المياه وقضمتها الأسماك، أثار في نفسه الاشمئزاز والغضب. فهل كانت فيفيان ضحيّة جريمة قتل؟ أم مجرد حادثة؟

عند التاسعة، قصد مكتب فرانك وطلب من هذا الأخير أن يكلفه التحقيق في القضية. قال له: «يهمّني التحقيق في هذه القضية بالذات.»

ردّ عليه شيا بالسؤال: «هل للأمر علاقة بحدس ما ينتابك؟»

«إنه كذلك.»

«برأيي، حدسك مخطيء. لكن، لا ضرر من المحاولة. هيّا، باشر

تحقيقاتك.»

عند العاشرة، وصل نان إلى الجنازة. لا تأبين، لا أحد يبكي المسكينة فيفيان. ماذا أخفت، يا ثرى، وجوه والديها وأخواتها الخالية من أي تعبير؟ هل كان حزنًا حاولوا إخفاءه عن أعين المتطفلين؟ هل كان غضبًا اعتراهم لهول المأساة؟ هل كان شعورًا بالذنب؟

لقد سال حبرٌ كثيرٌ في الإعلام حول تاريخ فيفيان كاربنتر الذي طبعه الحرمان، على عكس أختيها. فواحدة منهما جراحة والثانية تشغل منصبًا دبلوماسيًا بينما تنعم كلُّ منهما بزيجتين تربطهما برجال من أرقى العائلات. أما فيفيان، التي طُرِدَت من المدرسة الداخلية بسبب تدخينها الحشيش، فلم تكمل دراستها الجامعية.

ومع أنها لم تكن بحاجة إلى المال، إلا أنها قد توظفت عند انتقالها إلى كايب كود، ومن ثم تركت الوظيفة، وبقيت على هذا المنوال، تتوظف وتُفقد عن ذلك، لعشرات المرّات.

كان سكوت كوفي يجلس بمفرده في الصفّ الأوّل، ذارفاً الدموع. هذا ما سأبدو عليه أنا أيضًا إذا ما وقع مكروه لديب، قال نات كوغان لنفسه. وهو يكاد يقتنع بعدم صوابية تحليله، ترك الكنيسة في نهاية القدّاس، وراح يتسكّع في الخارج، علّه يسمع تعليقات الحضور. «مسكينة فيفيان، كم أنا آسفة بشأنها. لكنها كانت مرهقة بالنسبة إليكم نوعًا ما، أليس كذلك؟»

تنهدت المرأة المتوسطة العمر التي وُجّهَ الحديث إليها. «نعم، لم يكن باستطاعتها أن تهدأ أبدًا.» إسترجع نات كلام كوفي، وهو يُخبر أنّه نصح زوجته بأخذ قسط من الراحة، فيما يذهب هو للغطس. لمح مراسلًا تلفزيونيًا يجول بين الناس ويستطلع آراءهم. لفتته سيّدة شقراء جذّابة تتقدّم من المراسل. تعرّف إليها، لقد كانت إيلين

أتكينز، صاحبة شركة العقارات. تقدّم منهما ليسمع تعليقاتها وراح يُدوّنهما.

بحسب إيلين أتكينز، فإنّ الزوجين كوفي كانا يبحثان عن منزل جديد، وقد خطّطا لإنجاب الأطفال. بدا له أنّها على معرفة وطيدة بهما. فقرّر التحدّث إليها.

لدى عودته إلى المكتب، راح نات يراجع صور التشريح مرّة أخرى، في محاولة لاكتشاف مصدر الإزعاج الذي سبّبه له تلك الصور.

9

سحبت مينلي نفسها من تحت ذراع آدم، وانتقلت إلى جانب السرير حيث اعتادت النوم. أمّا آدم، فهمس اسمها من دون أن يستفيق. جلست في السرير، ارتدت ثوبها ونظرت إليه، وقد علت ثغرها ابتسامة.

كان المحامي الجنائي النشيط الذي يتمتّع بقدرة هائلة على إقناع القضاة والمحلّفين بمرافعاته المتقنة يغطّ في النوم، مسالماً بكل ما للكلمة من معنى، متوسّداً يده، بينما تغطّي بعض خصل الشيب شعره الأشعث الذي بدت عليه بوادر الصلح.

كانت الغرفة باردة، فتدثّرت مينلي بالغطاء حتى كتفها، وطبعت قبلة على جبين زوجها.

لدى بلوغها الخامسة والعشرين، كانت شبه متأكّدة من أنّها، على الأرجح، لن تجد شخصاً مناسباً لتتزوّجه. بعد أسبوعين من ذلك، التقت آدم على متن إحدى البواخر السياحية التي تبحر في جولة حول

العالم. ولما كانت مينلي قد كتبت الكثير من المقالات حول الشرق الأقصى، فقد طُلب منها القاء محاضرة حول الرحلة من سنغافورة إلى بالي.

في اليوم الثاني من الرحلة، توقّف آدم عند الكرسي حيث جلست على ظهر المركب، للتحدّث إليها. كان مُكلّفًا بالمرافعة في بعض الدعاوى في أستراليا، وسيشارك الجزء نفسه من خطّ الرحلة. «لأن المحطات التي سنتوقف فيها رائعة. عطلة أسبوع لن تضرّني»، قال لها شارحًا. في نهاية ذلك اليوم، أدركت مينلي أنّ آدم كان السبب وراء انفصالها عن خطيبها، منذ ثلاث سنوات قبل ذلك اليوم.

لقد كانت علاقتها به مختلفة. فهو، قد أغرم بها تدريجيًا، في خلال السنة التي تلت لقاءهما. وتساءلت مينلي، أحيانًا، ما إذا كانت لتعود فتلتقيه لو لم يسكننا، على بعد ثلاثة مبانٍ في مانهاتن. تعزّزت العلاقة بينهما بفضل نقاط مشتركة كثيرة تقاسماها. كلاهما كان من نيويورك وعمل فيها، وكلاهما أحبّ مانهاتن، ولو أنّ كلا منهما قد تربّى في عالم مختلف عن عالم الآخر. فقد كانت عائلة آدم تملك شقّة من طابقين في بارك أفينيو، في حين أنّه ارتاد مدرسة خاصّة. أمّا مينلي، فقد تربّت في ستويفيسانت تاون، في الشارع الرابع عشر حيث ما زالت والدتها تسكن، وارتادت المدرسة الرسميّة. لكنّ الصدفة شاءت أن يتخرّج كلاهما من جامعة جورج تاون، ولو بفارق ثمانية أعوام. كلاهما أحبّ المحيط، وقد درج آدم على تمضية الصيف في كايب كود، في حين أنّها اعتادت الذهاب إلى شواطئ جونز بيتش للسباحة.

لم يفت مينلي، في بداية علاقتهما، أن آدم الذي كان في الثانية والثلاثين، يستمتع بحياة العزوبية. ولم لا يفعل؟ فقد كان محامياً لامعاً، يملك شقة جميلة وشُلة من الصديقات.

عندما طلبها للزواج، شكّت مينلي بأنه، إنما يفعل ذلك، لاقتربا عيده الثالث والثلاثين. مع ذلك، قبلت عرضه وتزوجا. في تلك الفترة، استرجعت كلاماً قالت له جَدَّتْها منذ سنوات عديدة: «غالبًا ما يحب أحد الزوجين الآخر حبًا أكبر. من الأفضل أن يكون الرجل هو من يفعل ذلك».

لم قالت لها جَدَّتْها ذلك؟ تساءلت مينلي عن السبب فيما راحت تنظر إليه وهو ينامُ بسكينة وطمأنينة. ماذا لو كنت له، هي، الحب الأكبر؟ ما العيب في ذلك؟

كانت الساعة السابعة. شَقَّتْ أشعة الشمس القويّة طريقها إلى الغرفة التي اقتصر أثاثها على خزانة ومزينة وطاولة صغيرة؛ بالإضافة إلى بوستر عريض وكُرسيّ. قِطَعُ أثريّة قديمة اشتراها السيّد بالي وزوجته من مزادات لبيع الأثاث العائد لأوائل القرن الثامن عشر.

من المزايا التي أحبَّتْها مينلي في المنزل، أنْ غرف النوم كلّها بلا استثناء ضمت موقدًا، ولو أنّهما لن يحتاجا إليه في أغسطس. أما الغرفة المحاذية لغرفتهما، فكانت صغيرة ولكن مناسبة للطفلة. أحكمت مينلي شدّ الثوب عليها، فيما دخلت الردهة.

فتحت باب غرفة هانا، فاستقبلها نسيم منعش. فكرت ولامت نفسها «كان يجدر بي تغطيتها بلحاف». لقد القيا نظرة على الطفلة لدى خلودهما للنوم عند الحادية عشرة. تناقشا بشأن تغطيتها بلحاف، ومن ثم عدلا عن الفكرة. من الواضح أن الليلة كانت أكثر برودة ممّا توقّعا.

أسرعت مينلي إلى مهد الطفلة. كانت هانا تغطّ في نوم عميق، وقد تغطّت باللحاف. تساءلت مينلي: «لكن، مَنْ غطّاها؟ لا يُعقل أن أكون قد دخلت الغرفة في الليل وفعلت ذلك.»

لا بدّ أنّ آدم قد قام من سريره، ودخل الغرفة لتفقد الطفلة، ولو أنّ الاحتمال كان نادرًا؛ فهو لا يستفيق من النوم بسهولة. أو لربّما كانت هي مَنْ دخلت الغرفة وغطت الطفلة. لقد وصف لها الأطباء مهديًا لطالما أصابها بحالة من الترنّح والضياع.

أحسّت برغبة في تقبيل هانا، لكنّها عرفت، إنها إذا ما فعلت، ستوقظها من نومها. قالت همسًا: «إلى اللقاء، صغيرتي. أنا بحاجةٍ إلى فنجان قهوةٍ أحسّيه بهدوءٍ قبل ان تستيقظي.»

لدى بلوغها أسفل الدرج، توقّفت قليلًا وقد أدركت ضربات قلبها السريعة. غمرها حزنٌ عميق وراودتها خاطرةٌ مخيفة: سوف أخسّر هانا أيضًا. لا! لا! لكنّها عادت وأقنعت نفسها بأنّ الفكرة سخيفة، ولا مبرّر لها.

دخلت المطبخ وبدأت بتحضير القهوة. بعد عشر دقائق، كانت تقف في الردهة الأمامية وببيدها كوبٌ يغلي. راحت تنظر إلى المحيط، فيما الشمس تشرق وترتفع عاليًا في السماء.

كان المنزل يُشرف على مونوموي ستريب، ذلك الامتداد الرملي بين المحيط والخليج، الذي شهد، بحسب الروايات، على غرق الكثير من السفن. منذ بضع سنوات، اجتاح الخليج الامتداد الرملي؛ وقد دلّها آدم إلى المنازل التي ابتلعها المياه. لكنّه أكّد لها، أنّ ريممير هاوس بمنأى عن الخطر؛ فهو بعيد.

وقفت مينلي تستمتع بمنظر الأمواج تتحطّم على الرمال وتبتّ

في الجو رذاذاً مُشبعًا بأملاح البحر. أما أشعة الشمس، فكانت ترقص على الأمواج المُزبدة، فيما لاحت في الأفق مراكب الصيد. فتحت النافذة وراحت تُصغي إلى زعيق طيور النورس وسقسقة الدوري.

إبتسمت وتركت النافذة. مضى على وجودهما في المنزل ثلاثة أيام؛ وقد أحسّت بالراحة فيه. راحت تنتقل من غرفة إلى أخرى، وتُفكّر في ما تفعله، لو قُدّر لها إعادة تصميمها. لقد احتوت غرفة النوم الرئيسيّة، دون سواها، على قطع قديمة من الأثاث. فمعظم المفروشات التي وجدت في الغرف الأخرى، كانت من النوع الذي يستخدمه الناس في فرش منازل بنوون استئجارها: أسرّة رخيصة الثمن، طاوولات من الفورميكا، ومصابيح عاديّة رخيصة. لكنّها انتبهت للمقعد القديم المطلي بالأخضر الصارخ. فكّرت في احتمال إعادة طلائه. مرّرت يدها عليه، وهي تتخيّل ملمس قماش المُخمل.

لقد أجرى الزوجان بالي تصليحات أساسيّة على المنزل. إهتمّا بترميم السقف وأعادا تمديد إنشاءات السمكريّة والتدفئة. بقي الكثير من أعمال التحسين الداخليّة: ورق الجدران الباهت اللون في غرفة الطعام؛ سقفا المكتبة والردهة المنهاران: مظاهر شوّهت الطابع النبيل للمنزل. مع ذلك، فقد كان المنزل بحدّ ذاته ظاهرة لا يُستهان بها. فكّرت مينلي في متعة ترميمه. فهي، إن اشترته، ستحوّل الردهة الثانية إلى حجرة للعمل والمطالعة. فقد تستمتع هانا، عندما تكبر، بالاختلاء فيها مع أصدقائها.

مرّرت أصابعها على الخزّانة المركزيّة على الجدار بالقرب من الموقد. في تلك اللحظة، تذكّرت الروايات التي سمعتها عن المستوطنين الأوائل وعن كأس الخمر التي كانت تُقدّم للكاهن عند

زيارته المنازل. على الأرجح، كان المسكين بحاجة إلى كأس، علّها تبعث في جسده الحرارة والدفء، سيّما وأنّ ردهات المنازل لم تكن كلّها مُجهّزة بالمواد في تلك الأيام. لا بدّ أنّ الكهنة كانوا يموتون بردًا. لقد اعتاد سكّان كايب كود الأوائل تمضية معظم الوقت في المطبخ، حيثُ الموقد المهيب يبثّ الدفء، وتطيب الجلسة في جوّ عابق بشذا أشهى المأكولات. في المطبخ أيضًا، درج الأولاد على كتابة فروضهم المدرسيّة على ضوء الشمعة، واعتادت العائلة على الإجتماع في ليالي الشتاء الطويلة.

فيما كانت مينلي مستغرقة في التفكير، سمعت وقع أقدام على الدرج. كان آدم ينزل السلالم وقد حمل هانا بين ذراعيه. قال لها باعتزاز: «من يقول إنّني لا أسمعها عندما تبكي؟ لقد غيّرت لها الحفاض، لكنّها جائعة.»

تقدّمت مينلي منه لتحمل الطفلة. قالت له: «أعطني إيّاها. ليس ممتعًا أن نرعاها نحن الاثنين معظم الوقت، فلا نحتاج إلى الحاضنة إلا بدوام جزئي؟ أمل أن تكون ابنة خطيب إيلين حاضنة جيّدة، حتى نمضي صيفًا مدهلًا!»

«متى تصل؟»

«قراءة العاشرة.»

في تمام العاشرة، وصلت إيمي في سيّارتها الزرقاء الصغيرة. راحت مينلي تراقبها، فيما سلكت الممرّ، فانتبهت لقامتها النحيلة، ولشعرها الأشقر وقد عقصتهُ إلى الوراء. تبيّنت مينلي في مشية الفتاة شيئًا من

العدائية، وقد وضعت يديها في جيوب بنطالها.

توجّهت، مرتبكةً، لتفتح لها الباب وهي تهمس لنفسها: «لا أعرف».

أمّا آدم، فرفع عينيه عن الملفات التي نشرها على الطاولة وقال لها: «لا تعرفين ماذا؟»

ردّت عليه مينلي: «كفّ عن الكلام، فقد وصلت.»

لكنّ الفتاة، ما إن دخلت المنزل، حتّى أعطت انطباعًا مختلفًا. عرّفت بنفسها، ومن ثمّ توجّهت إلى الطفلة، في مهدها الصغير الذي وضعها لها في المطبخ. قالت لها: «مرحبًا هانا.» حرّكت يدها برفق، إلى أن أمسكت هانا بإصبعها. فقالت لها: «عظيم يا صغيرتي. أنتِ قويّة. هل سنكون صديقتين؟»

تبادل آدم ومينلي النظرات. لقد بدت عاطفتها صادقة حقيقية. تحدّثت مينلي لبضع دقائق مع إيمي، واستنتجت أنّ إيلاين قد اساءت تقدير خبرة الفتاة في التعامل مع الأطفال. فالفتاة ترعى الأطفال مذ كانت في الثالثة عشرة من عمرها، وقد عملت مؤخرًا في خدمة عائلة لديها توأمان بعمر السنة. وهي تنوي أن تصبح حاصنة أطفال في المدرسة.

اتفقا معها على أن تحضر بضعة أيام في الاسبوع، في فترة بعد الظهر، لمساعدة مينلي فيما تقوم هذه الأخيرة بالابحاث المتعلقة بكتابها الجديد. وقد تمضي السهرة، في حال أراد الزوجان الخروج لتناول العشاء.

فيما كانت الفتاة تهّم بالمغادرة، قالت لها مينلي: «يسرّني أنّ إيلاين قد عرّفتني بك، إيمي. هل لديك ما تسأليني إياه؟»

«نعم... أنا... لا، لا عليك.»

«ما الأمر؟»

«لا شيء، لا شيء.»

لدى خروجها، علّق آدم قائلاً: «تلك الفتاة خائفة من أمر ما.»

10

تمدّد هنري سبراغ على الكنبه في غرفة الجلوس، وقد أمسك بالبومات الصور بين يديه. أمّا فيبي، فجلست إلى جانبه، وحاولت أن تبدو متنبهة يقظة. راح هنري يشير إلى بعض الصور وقال: «أتذكرين، لقد التُقطت تلك الصورة يوم اصطحبنا ولدينا لمشاهدة استعراض «بلايموث روك» للمرة الأولى. هناك سردتِ على مسمعهما قصّة الحجاج الذين زاروا هذه المنطقة. صحيح أنّهما كانا في الثامنة والسادسة من العمر، لكنّهما فُتِنَا بالقصّة. لطالما حولتِ التاريخ، عزيزتي، إلى قصّة فيها الكثير من المغامرات المشوّقة.»

رمقها بنظرة. لم يتبيّن في عينيها دليلاً على تذكّرها ذلك اليوم. لكنّها هزّت رأسها، وهمّها إرضاءه.

كانت ليلة صعبة. فقد استيقظ هنري عند الثانية فجراً، ولم يجدّها إلى جانبه في السرير. تملكه القلق فهبّ من السرير وأسرع إلى الخارج يبحث عنها. فقد اعتادت التسلّل ليلاً من المنزل، مع أنّه زوّد الأبواب بأقفالٍ خاصّة. وفي الاسبوع السابق، تمكّنت من الخروج عبر نافذة المطبخ. وقد أمسك بها قبل أن تستقلّ السيّارة وتُشغّل المحرّك. أمّا البارحة، فقد نسيت أحد أعين الغاز مفتوحاً في المطبخ.

بالأمس، تلقى هنري اتصالاً من المصحّ. سوف يشغر مكان في الأول من سبتمبر. قال للمسؤولة بحزن كبير: «من فضلك، إحجزه لزوجتي.»

قطعت عليه فيبي التفكير وسألته: «يا لهما من ولدين رائعين. ما اسمهما؟»

«ريتشارد وجوان.»

«هل كبرا؟»

«نعم. ريتشارد في الثالثة والأربعين من العمر. يعيش في سياتل مع زوجته وولديه. أمّا جوان ففي الحادية والأربعين، تعيش في ماين مع زوجها وابنتها. عزيزتي، لديك ثلاثة أحفاد.»

«لا أرغب في رؤية المزيد من الصور. أنا جائعة.»

من تأثيرات المرض الذي تعانيه فيبي، تلك الإشارات الخاطئة التي يرسلها دماغها إلى حواسها.

ردّ عليها: «لقد تناولتِ الفطور منذ دقائق قليلة.»

«لا، لم أفعل.» وازدادت لهجتها عنادًا.

«حسنًا. سوف أدخل المطبخ وأعدّ لك ما تأكلينه.»

قاما من مكانهما وطوّقها بذراعه. لطالما كان فخورًا بقامتها الطويلة الممشوقة، بمشيتها، كما بالحرارة التي تنبعث من شخصها.

فكر: «ليت الماضي يعود، فنعيش منه يومًا واحدًا.»

فيما كانت فيبي تلتهم فطيرة وتشرب الحليب، أخبرها بأنهما سيتسقلان ضيفًا. «رجل اسمه نات كوغان. سيأتي لغرض العمل.»

لم يرَ فائدة من إخبارها أنّ كوغان كان تحرّيًا وأنه يزورهما

لتحدّث عن قضية فيفيان كاربنتر.

إجتازت منزل فيفيان كاربنتر وراح يتأمله بعناية. لقد كان عتيق الطراز، خضع للتوسيع والتجديد على مرّ السنين، فانبسط على مساحة الارض كلها التي بُني عليها. أحاطت به أشجار الكويبة الزرقاء والأرجوانية، فيما تدلّت الأزهار الملونة من النوافذ. قل إنَّ المنزل يحاكي البطاقات البريدية التي تُعجب بها، ولو أنّ غرفه كانت صغيرة إلى حدّ ما. مع ذلك، فقد اهتمّ مالكوه بصيانتها بانتظام. بحسب السمسارة العقارية، إيلاين أتكينز، كانت فيفيان وسكوت كوفي يبحثان عن منزل أكبر يتسع للأسرة التي خطّطا لتكوينها.

تساءل نات عن السعر الذي قد يُطرح فيه المنزل للبيع. كان يقع على بحيرة أويستر، وعلى مساحة أربعة آلاف متر تقريباً. فهل يساوي نصف مليون دولار، يا تُرى؟ لقد أوصت فيفيان بتركها لسكوت كوفي، ومن ضمنها هذا المنزل.

المنزل المحاذي كان لآل سبراغ، ويضاهي منزل فيفيان روعةً. لقد سُئِد على الأرجح في أواخر القرن الثامن عشر. لم يسبق لنات أن التقى الزوجين سبراغ، لكنّه اعتاد الاستمتاع بقراءة المقالات التي كانت البروفسور فيبي سبراغ تكتبها لمجلة كايب كود تايمز، وتعرض فيها الاساطير القديمة العائدة إلى المنطقة. لكنّه لم يعد يقرأ لها منذ سنوات عدّة.

دقّ جرس الباب، فأتى هنري لاستقباله وعرفّه بزوجته. للحال، أدرك نات السبب وراء إقلاع فيبي سبراغ عن الكتابة. إنها، على الأرجح، مصابة بمرض الالزهايمر. لفتته علامات التعب والارهاق التي بانّت على وجه هنري سبراغ وفي عينيه.

إعتذر عن شرب القهوة وتوجّه إلى هنري بالحديث: «لن أطيل البقاء. سوف أكتفي بطرح بعض الاسئلة، سيدي. كيف تصف

علاقتكما بفيفيان كاربنتر كوفي؟»

أراد هنري أن يبدو لطيفًا وصادقًا، من دون أن ينافق في الكلام. ردّ على نات: «كما تعرف، لقد اشترت فيفيان هذا المنزل منذ ثلاث سنوات. فقمنا بزيارتها للتعارف. أنت تُدرك وضع زوجتي الصحي المتدهور. في تلك الفترة، كانت أعراض المرض قد بدأت تظهر عليها. لسوء الحظ، راحت فيفيان تُكثر من التردّد إلى منزلنا. كانت تأخذ دروسًا في الطهي، فتأتينا بين الفينة والفينة بطبق حضرته بنفسها. غير أنّ زوجتي بدأت تتضايق من الزيارات المتكرّرة، ما اضطرني لأن أطلب من فيفيان التوقّف عن زيارتنا، ما لم نُحدّد نحن موعد الزيارات ونتفق عليها.»

توقّف قليلاً وتابع: «لقد عانت فيفيان نقصًا عاطفيًا، أرادت أن تعوّض عنه بزيارتنا.»

هزّ نات رأسه. فكلام هنري يؤيد ما سمعه من سكّان المنطقة. سأله: «ماذا عن علاقتك بسكوت كوفي؟»

«لقد التقيته. كانا، فيفيان وهو، زوجين سعيدين هادئين. لقد أقامت حفل استقبال في منزلها حضرته بمفردي. كان ذلك في أوائل شهر مايو. كانت عائلتها حاضرة، مع مجموعة من الاصدقاء والجيران.»

«ما رأيك بسكوت كوفي؟»

تجنّب هنري الردّ المباشر فقال: «كانت فيفيان متألمة سعيدة. وشررت لذلك. أمّا سكوت، فبدا زوجًا مُحبًا ومُخلصًا.»

«هل حصل وتكرّرت اللقاءات؟»

«عن بعد. كانا يُكثران من الإبحار. حصل في بعض المرّات أن تبادلنا المُزاح فيما كان كلّ منا يشوي اللحم في باحة منزله الخلفيّة.»

«فهمت.» أحسّ نات بان سبراغ كان يُخفي أمرًا ما. «سيد سبراغ، قلت لي إنّ سكوت كان زوجًا مُحبًا ومخلصًا. هل بدا لك أنّه يحبّها بصدق؟»

لم يجد سبراغ صعوبة في الردّ على السؤال: «لقد دلّت تصرفاته على ذلك.»

ثمّة الكثير ليقوله بعد، لكنّ سبراغ تردّد. فلربّما نعته التحريّ بالثرثار التافه، إن روى له حادثة وقعت في أواخر شهر يونيو. كان قد اصطحب فيبي إلى مصفّف الشعر، حيث كانت فيفيان أيضًا. بالانتظار، قرّر شرب كأس من الجعة في الحانة المجاورة ومشاهدة المباراة بين ريد سوكس واليانكيز.

إنّته لسكوت كوفي جالسًا عند البار. إلّقت عيناهما فاقترب منه هنري لإلقاء التحيّة عليه. بدا له أنّ كوفي كان متوتّرًا. بعد قليل، دخلت الحانة فتاة سمراء في أواخر العشرينات. وقف كوفي وبادرها: «بالله عليك تينا، ماذا تفعلين هنا؟ لقد خلّتك مشغولة الثلاثاء بعد الظهر.»

أما هي، فقد نظرت إليه مصعوقة، ثم ما لبثت أن استعادت رباطة جأشها. «سكوت، يسرّني أن أراك ههنا. لا تمارين اليوم. كان مقرّرًا أن التقى بعضًا من زملائي في الإستعراض هنا أو في حانة «إيمبيودنت أويستر»، لكنني تأخّرت، لذا، في حال لم يحضروا إلى هنا، سأسرّع لملاقاتهم هناك.»

عندما تركت الحانة، قال سكوت لهنري إنّ تينا عضو في جوقة المسرحيّة الغنائية التي كانت تُعرض في ذلك الوقت على مسرح كايب كود. فسّر له بعناية: «لقد حضرنا، فيفيان وأنا، حفل الافتتاح وتعرّفنا

بتينا في الحفلة التي أقيمت على شرف الفرقة في مطعم المسرح.»
تناول هنري سندويشًا وكأس جعة مع سكوت، فيما تابعا
المباراة. عند الثانية والنصف، تركه سكوت قائلاً: «لا بدّ أنّ فيفيان
قد أنهت تصفيف شعرها وهي تنتظرنني.»

لكن، عندما قصد هنري مصفّف الشعر ليقلّ زوجته بعد ساعة
من ذلك، وجد كوفي في قاعة الاستقبال ينتظر زوجته. أما هذه
الأخيرة فخرجت مزهوّة بالخصل الشقراء الجديدة. سمع هنري سكوت
يؤكد لها أنه لم ينزعج لانتظارها، وأنه تناول الغداء مع هنري وشاهدا
المباراة. تساءل هنري ما إذا كان إحجام سكوت عن ذكر تينا مقصودًا.
لربّما لم يتعمّد ذلك. لربّما نسي أن يخبرها عن لقاء تينا، لربّما
توهّم هنري أنّ كوفي كان متوتّرًا في ذلك اليوم. قال لنفسه، فيما
جلس مع التحريّ، إياك والثرثرة. لا داع لأن تذكر له تلك الحادثة. أما
نات فمرّر له بطاقته، فيما تساءل عن السبب وراء لجوء هنري لإخفاء
المعلومات عنه.

11

أقلت مينلي آدم إلى مطار بارنستايل. توقفت عند بوابة المغادرة
وقالت له: «أنت كثير التشكي.»

أما هو، فابتسم لملاحظتها وردّ عليها: «أنا أقرّ بذلك. يزعجني
التردد إلى نيويورك من وقت إلى آخر. فأنا لا أرغب في الإبتعاد عنكما،
أنت وهانا. لا أرغب في مغادرة كايب كود.»

تريت قليلًا وأردف: «ماذا بعد؟»

ردّت مينلي بشيء من السخرية وقد أمسكت بوجهه: «يا للرجل المسكين! سوف نفتقدك. لقد أمضينا أيامًا رائعة!»
«مذهلة.»

سوّت له ربطة العنق وقالت: «تُعجبني أكثر بملابس النهار غير الرسميّة.»

«أنا أيضًا أرتاح فيها. أنت واثقة من أنك لا تريد أن تبقى معك إيمي الليلة؟»

«واثقة تمام الثقة. آدم، أرجوك...»

«حسنًا، حبيبتي. سوف أتصل بك الليلة.» مال إلى المقعد

الخلفي ولمس رجلي هانا. «كوني فتاة مطيعة.»

ترجّل من السيّارة، دخل حرم المطار ولوّح لهما مودّعًا، فيما ابتسمت له هانا.

كان آدم قد تلقى بعد الغداء اتصالًا طارئًا من المكتب. لقد عُيّنَت جلسة طارئة لإبطال إطلاق السراح المؤقت الذي استفادت منه السيّدة بوتر. فبحسب الادّعاء، لقد أطلقت هذه الأخيرة، التهديدات بحقّ حمايتها. كان آدم قد توقّع أن يمكث في كايب كود أقلّه عشرة أيام قبل العودة إلى نيويورك لليلة واحدة. لكنّ المسألة طارئة، تستلزم حضوره الشخصي.

تركت مينلي أرض المطار وسلكت الطريق 28. وصلت إلى تقاطع سكة الحديد وشعرت بالعرق يتصبّب من جبينها. توقّفت، والتفتت يمينًا ويسارًا. لمحت قطارًا في البعيد. لم يكن يتحرّك. أما مصابيح الإنذار، فلم تكن مُضاءة. الطريق سالكة أمام السيارات. مع ذلك، توقّفت للحظة، لا تقوى على التقدّم.

إنطلقت أبواق السيارات خلفها، ما اضطرها للتحرك. ضغطت برجلها بقوة، على دواسة البنزين، فوثبت السيّارة، ما دفع بها إلى الضغط على الفرامل تفادياً للإصطدام بالسيارة أمامها. فكّرت، يا إلهي، أرجوك ساعدني. وثبت هانا في مقعدها وراحت تبكي.

أما مينلي فاقتربت من موقف للسيارات في مطعم مجاور وأوقفت السيارة. حملت هانا من المقعد الخلفي، ضمّتها إليها وراحت تهزّها، فيما الإثنتان تبكيان.

12

لم يغمض لغراهام كاربنتر جفن. حاول الإستلقاء بهدوء في سريره الكبير، وقد بات ينام فيه بدلاً من السرير المزدوج الذي تشاركه وأن، في سنوات زواجهما الأولى. مع اقتراب ذكرى زواجهما العشرين، أقرّ الزوجان بضرورة التغيير وانتقال كلّ منهما إلى غرفة منفصلة، للتمتّع بفسحة شخصيّة، وتخصيص مزيد من الوقت للسفر. هذا كلّه أصبح ممكناً مع دخول ابنتهما الجامعة.

ليلة استلامهما سرير غراهام الكبير، شربا الشمبانيا احتفالاً. وحملت أن بفيفيان بُعيد ذلك. يحصل لغراهام، في بعض الأحيان، أن يتساءل ما إذا كانت فيفيان قد أدركت أنهما لم يرغباً في إنجابها. فهل غدّت شعور الكره والعدائيّة الذي تكنّهما لهما، مذ كانت في رحم أمها؟ أمنذ ذلك الوقت، نشأ في نفسها شعور القلق وانعدام الأمان تجاه الآخرين؟

لطالما كانت فيفيان طفلةً متطلّبة، ناقمةً، واجهت المشاكل في

سنّ المراهقة ثم أصبحت راشدة صعبة المراس. لم تلمع في دراستها وكان شعارها «أنا أبذل قصارى جهدي».

أمّا غراهام فكان يردّ عليها غاضباً: «لا، أنتِ لا تبدلين قصارى جهدك. أنت لا تعرفين معنى الكلمة أصلاً.»

في المدرسة الداخليّة، حيث تألّقت أختها، أوقفت عن الدراسة مرّات عدّة، إلى أن طُردت في النهاية. تعاطت المخدّرات لبعض الوقت، لكنّها ما لبثت أن أقلعت عن تلك العادة. أضف إلى ذلك استمتاعها بمضايقة أن. إذ كانت تطلب منها مرافقتها للتسوّق، ولكن سرعان ما ترفض اقتراحاتها.

لم تنه دراستها الجامعيّة، ولم تبقى أكثر من ستّة أشهر في أي من الوظائف التي زاولتها. فما كان من والدها إلا أن توسّل والدته أن تمنع عنها التركة إلى أن تبلغ الثلاثين. لكنّها حصلت عليها ما إن أتّمت عامها الحادي والعشرين، فاشترت ذلك المنزل، ولم تعد تتصل بهما إلا في المناسبات النادرة. وكم كانت صدمتهما كبيرة عندما اتّصلت بهما في شهر يونيو ودعتهما إلى حفل استقبال أقامته في منزلها بمناسبة زواجهما.

ما كان رأيه بسكوت كوفي؟ كان شاباً وسيماً، حسن التصرف، مُحبباً ومُخلصاً لفيفيان. أمّا هي، فكانت تشعّ سعادةً. وردّاً على سؤال إحدى صديقاتها بشأن اتّفاق ما قبل الزواج، أجابت فيفيان بأنّ كلا منهما قد حرّر وصيّة لمصلحة الآخر.

تساءل غراهام عمّا قد يتركه سكوت كوفي في وصيّته. لربّما كان يملك شيئاً. فبحسب فيفيان، كان لديه مدخول.

غيّرت العروس وصيّتها يوم زواجهما. بموتها، يرث سكوت

أموالها كافة، بالإضافة إلى منزلها في تشاتهم. ولم يمضِ على زواجهما سوى اثني عشر أسبوعًا.

«غراهام.» كانت أن تناديه بصوتها الناعم.

أمسك بيدها وقال: «لستُ نائمًا».

«غراهام، أعرف أنّ جثة فيفيان كانت مُشوّهة. ماذا عن يدها

اليمنى؟»

«لا أعرف شيئًا، عزيزتي. لِمَ تسألين؟»

«لم يأت أحد على ذكر خاتم الزمرد الذي كانت تضعه. لربّما

فقدت يدها، لكن، في حال لم تفعل، قد يكون الخاتم بحوزة سكوت،

وانا أودّ استرجاعه. لطالما توارثته سيّدات العائلة، ولا يسعني تخيله

في إصبع امرأة غريبة.»

«سوف أتحرّى عن الموضوع، عزيزتي.»

«غراهام، لِمَ فشلْت في مصادقة فيفيان؟ ما هو الخطأ الذي

ارتكبته بحقّها؟»

شدّ على يدها، ولاذ بالصمت. فهو لا يعرف الإجابة.

في ذلك اليوم، لعب وأن الغولف. فقد كان علاجًا بدنيًا وعاطفيًا

لهما. عادا إلى المنزل قرابة الخامسة، إستحمّا وحضّر غراهام العصير.

قال لزوجته: «آن، حاولتُ الاتصال بسكوت فيما كنت ترتدين

ثيابك. لقد ترك رسالة على آلة تسجيل المكالمات. هو على متن

المركب وسيعود قرابة السادسة. أقترح أن نعاود الاتصال به ونسأله

عن الخاتم. ومن ثمّ نخرج لتناول العشاء.»

«في حال كان الخاتم معه، فهو لن يتخلّى عنه. لا شكّ في أنّ

فيفيان قد تركته له.»

«في حال كان الخاتم معه، سوف نعرض عليه شراءه بسعر معقول. وإذا لم نوفّق في ذلك، سندفع له الثمن الذي يطلبه.»
أطرق غراهام مفكرًا، فردّة فعل سكوت سوف تؤكّد الشكوك التي كانت تنتابه حياله، وتقضّ مضجعه.

13

كانت الساعة قد بلغت الخامسة والنصف عصرًا، عندما عادت مينلي وهانا إلى تشاتهام. إنطلقت مينلي من موقف السيّارات، وأرغمت نفسها على اجتياز تقاطع سكة الحديد مرّة ثانية وثالثة. لن تُصاب بالذعر بعد اليوم كلّما مرّت بالمكان. كما أنّها لن تُعرّض حياة هانا للخطر.
كانت الشمس عاليةً في السماء تبسط أشعتها على صفحة المحيط. أمّا المنزل، فقبع يتنعم بدفئتها، مطمئنًا مرتاحًا، وقد تسلّلت إليه عبر النافذة الصغيرة التي علت الباب، وأرخت بقوس قزح من الألوان على الأرضيّة الخشبيّة.

دخلت مينلي المنزل وهي تحمل هانا بين ذراعيها، تقدّمت من النافذة الأمامية وراحت تُسرح نظرها في المحيط. فكّرت في العروس الشابة التي سكنت المنزل. هل كانت تقف في المكان نفسه تترقّب وصول سفينة زوجها وعودته من السفر. أم أنّها كانت منشغلة عنه بعشيقها؟

غير أنّ هانا قطعت عليها حبل الأفكار حين راحت تتلملم بانزعاج. أمّا مينلي فقالت لها: «لقد حان وقت الطعام، طفلتي.»
تمنّت لو أنّها تستطيع إرضاعها. لكنّ ذلك كان مستحيلًا. فمع ظهور

عوارض التوتّر النفسي الذي عانت منه بعد الحادثة، وصف لها الطبيب المسكّنات وأوصاها بالتوقّف عن الرضاعة الطبيعية. «أنت بحاجة إلى المسكّنات، لكنّ الطفلة لا تحتاج إليها.»

مع ذلك، كانت مينلي واثقة من أنّ طفلتها تنمو نموًا طبيعيًا. حضّرت لها زجاجة الحليب وسخّنتها.

عند السابعة، وضعتها في مهدها الصغير داخل كيس النوم. جالت بنظرها في أرجاء الغرفة وتأكّدت من أنّ اللحاف كان مطويًا وموضوعًا على السرير في مكانه المعتاد. حدّقت به مينلي منزعجة، فقد سألت آدم ما إذا كان قد غطّى الطفلة به ليلاً. فأجابها بالنفي مستغربًا سؤالها.

«على الأرجح، لقد طاب للطفلة النوم، بفضل نسيم البحر

الليل.»

خرجت من الغرفة وتردّدت بشأن إطفاء النور في الرواق. لا مبرر لإبقائه مضاء. مع ذلك، تخوّفت من الصعود إلى الغرفة ليلاً حاملة مصباحًا صغيرًا يوجّه خطواتها.

فكرت في العشاء فقرّرت تحضير الباستا بصلصة الطماطم الطازجة، تتناولها مع قطعة من الخبز الايطالي، فيما تُدوّن بعض المذكّرات المتعلقة بكتابها. فالايام القليلة التي أمضتها في تشاتهم أوحّت لها بأحداث القصة. ومع انشغال آدم بعمله بعيدًا عن المنزل، سوف يتسنى لها الوقت للسرد طوال الأمسيات الهادئة.

14

أمضى سكوت اليوم بطوله على ظهر مركب «فيفز توي». لقد كان المركب المزوّد بمحرك بحالة ممتازة، ولو أنّ فيفيان كانت قد اقترحت استبداله بأخر شراعي. «ما رأيك، لو اشترينا مركبًا أكبر، لا سيّما وأنّ الرّبّان جاهز؟»

لقد كانت امرأة حاملة، غذّت آمالًا كبيرة. أمّا سكوت، فلم يُعاود الغطس منذ ذلك اليوم المشؤوم. اكتفى بصيد السمك وعاد إلى الميناء حيث رسا بالمركب. بلغ المنزل عند الخامسة والنصف، وما لبث أن قصد منزل الزوجين سبراغ ليعطيهم بعض السمك. فتح له الباب هنري سبراغ.

بادره سكوت بالقول: «سيّد سبراغ، أعرف أنّ زوجتك تُحبّ السمك. لقد اصطدت اليوم الكركند وفكّرت في أنّكما قد ترغبان بتذوّقه.»

أجابه سبراغ: «بادرة لطيفة منك. ألن تدخل؟»

«لا. أتمنى لكما وجبة شهية. كيف حال السيّدة سبراغ؟»

«لا جديد. إنّها على حالها. هل تودّ إلقاء التحيّة عليها؟ ها

قد أتت.»

إلتفت إلى الورا فيما اجتازت زوجته الردهة صوبهما. قال لها: «حبيبتي فيبي، لقد أحضر السيّد سبراغ بعض الكركند لك. أليست بادرة لطيفة منه؟»

نظرت فيبي إلى سكوت كوفي جاحلة العينين وقالت له: «لم كانت تجهش بالبكاء؟ هل هي الآن بحال أفضل؟»

قال لها زوجها برقة: «لا أحد كان يبكي، حبيبتي». وطوقها بذراعه. أمّا هي فابتعدت عنه وصرخت: «لطالما أخبرتك عن سيّدة تسكن في منزلي وأنت لم تُصدّقني يوماً. أنظر أنت!» قالتها وأمسكت بذراع سكوت وهي تشير إلى المرأة فوق طاولة البهو والتي عكست صورة الثلاثة.

«أترى هذه السيّدة؟» إقتربت من المرأة ولمست صورتها وأضافت: «إنّها تعيش في منزلي، وأنت لا تُصدّقني».

عاد سكوت إلى المنزل وقد استغرق في التفكير بكلام فيبي صبراخ غير المترابط. كان قد خطّط لتناول الكرنكند، لكنّه ما لبث أن فقد الشهية. حضّر مشروباً وتحقّق من الرسائل المسجّلة على آلة تسجيل المكالمات. ثمّة رسالتان. الأولى من إيلاين أتكينز، تسألّه فيها عن احتمال عرضه المنزل للبيع. فقد كان الشاري حاضراً. أمّا الثانية فمن والد فيفيان، يعلمه بموضوع يوّد مناقشته، هو وزوجته، معه. سوف يحضران قرابة السادسة والنصف. لن يمكثا فترة طويلة.

تساءل سكوت عن غرض الزيارة. نظر إلى ساعة يده. كانت السادسة إلا عشر دقائق. وضع الكأس جانباً، وسارع للإستحمام. لوتدي قميصاً كحلياً مع بنطال من الكتان، وانتعل حُفّين رياضيين. كان قد أنهى تسريح شعره عندما دقّ الباب.

كانت المرّة الأولى التي تدخل فيها أن كاربنتر منزل ابنتها منذ العثور على الجثة. جالت بنظرها في أرجاء غرفة الجلوس، لا تعرف عمّا تبحث؛ فهي لم تزر ابنتها في هذا المنزل إلا مرّات قليلة، وبدا لها على حاله، إلا غرفة النوم، التي غيّرت فيفيان أثاثها. لكنّ غرفة الجلوس بقيت كما هي.

تذكرت أن أنّها اقترحت على ابنتها التخلّص من الكرسيّ المزدوج ومن بعض الصور. لكنّ فيفيان غضبت ولم تستجب لطلبها، مع أنّها هي التي سألتها رأيها.

عرض سكوت عليهما مشاركته كأسًا وقال لهما بإلحاح: «لقد حضّرتُ للتوّ كأسًا لي. هلا شاركتماني المشروب. لقد امتنعتُ عن استقبال الناس، لكنني سعيد بوجودكما».

لم يخفَ على أن سلوكه الحزين. راحت تتأمّله. لقد كان وسيماً بشعره الأشقر وبشرته المسمّرة وعينيّه البنيّتين. لا عجب أن تكون فيفيان قد أغرمت به. لكنّ أن تساءلت عمّا لفته في ابنتها غير مالها. ما لبثت أن أثبت نفسها على تلك الخاطرة التي لا تليق بأمّ.

بادره غراهام كاربنتر بالسؤال: «ما هي مشاريعك، سكوت؟»
«لا مشاريع لديّ. ما زلتُ عاجزًا عن تصديق ما جرى، لكأنّه كابوس بشع. لقد كنّا، فيفيان وأنا، نبحث عن منزل أكبر. فغرف النوم في الطابق العلوي صغيرة، لذا فكّرنا في منزل عمليّ مريح لتربية الأطفال. حتّى أنّنا اخترنا أسماءهم. غراهام للصبي، وأنّ للبنات. لقد أخبرتني فيفيان أنّها لطالما خيّبت آمالكما، وأنّها أرادت التعويض. برأيها، الذنب ذنبها، فهي قد أخطأت بحقّكما.»

أحسّت أن بضيق يكاد يقطع أنفاسها ولم يخفَ عليها التشنّج الذي بدا على وجه زوجها. قالت له بهدوء: «لطالما تقاطعت أهدافنا. والتغيير واردٌ دومًا، وهو ما يأمله الأهل. يسرّني أن أعرف أنّ فيف أرادت تغيير طريقة تعاملها معنا. من جهتنا، كنّا دومًا مستعدّين لبداية جديدة.»

قطع عليهما الجلسة رنين الهاتف. قفز سكوت من مقعده

وسارع إلى المطبخ وهو يقول: «أيا يكن المتصل، سوف أعاود الاتصال به».

أمسك غراهام بكأسه واجتاز الردهة باتجاه الحمام. عاد إلى غرفة الجلوس بالتزامن مع سكوت. قال لهذا الأخير: «لقد أردت المزيد من الماء.»

أجابه سكوت: «كان يجدر بك إحضار الماء من المطبخ. فالمكالمة الهاتفية لم تكن شخصية. إنها السمسارة العقارية تسألني عن إمكانية اصطحاب شخص مهتم بشراء المنزل. لكنني أبلغتها بأن المنزل غير معروض للبيع.»

حاول غراهام ضبط انفعاله وهو يتوجّه إلى سكوت بالحديث: «سكوت، ثمة مسألة نودّ استيضاحها منك. خاتم الزمرد الذي كانت فيفيان تضعه. إنه خاتم توارثته أجيال العائلة. هل تحتفظ به؟»
«لا، ليس معي.»

«أنت من تعرّف إلى الجثة. لم يسبق لفيفيان أن نزعته من إصبعها. ألم تكن تضعه عندما وُجِدَت جثتها؟»

أشاح سكوت بنظره بعيداً وأجاب: «سيد كاربنتر، يسرتي أنكما لم تريا الجثة. فقد كانت مشوّهة بحيث لم يبق فيها ما يمكن التعرف إليه. ولو أنني نزعته الخاتم من إصبعها، لكنّ سَلَمَتكما إياه. أنا على علم بقيمته النفيسة في العائلة. هل ثمة ما تريدان أخذه من أغراض فيفيان الأخرى؟ هل تناسب ملابسها قياس أختيها؟»

جفلت أن وردت عليه: لا... لا»

قام الزوجان عن مقعدهما في الوقت نفسه. قالت أن لسكوت:

«سوف نتصل بك قريباً وندعوك لتناول العشاء.»

«أرجوكم، إفعلا. ليتنا وطفدنا معرفتنا من قبل.»

قال له غراهام: «نتمنى عليك إعطاءنا بعض الصور الخاصة

بفيفيان، ما لم يكن لديك مانع.»

«سوف أفعل بكل تأكيد.»

إنطلق الزوجان بسيارتهما فالتفتت آن إلى زوجها وسألته:

«غراهام، لم تعدد في حياتك إضافة الماء إلى كأس الويسكي. ماذا

كنت تفعل؟»

«لقد أردت إلقاء نظرة على غرفة النوم، آن. ألم تلاحظي خلوة

حجرة الجلوس من أي صورة لفيفيان؟ حسناً، عندي ما أخبرك إياه. لم

أجد في غرفة نومها أيضاً أي صورة لها. لا أثر لابنتك في ذلك المنزل.

لا يعجبني كوفي ولا أثق به. إنه محتال كاذب. يخفي أموراً كثيرة وأنا

مصمم على كشف حقيقته، مهما كلفني الأمر.»

15

كانا قد خططنا لوضع جهاز كمبيوتر وطابعة وآلة فاكس على المكتب.

لكن المساحة لم تكف لآلة الفاكس. لا بأس، فمينلي لم تنو تكريس

الوقت كاملاً لعملها، وقد فكرت في استعمال الطابعة المحمولة

العائدة لآدم، وتديبر حيز لها في غرفة المكتب.

لقد بذلت مينلي جهداً كبيراً لحث آدم على تعلم استخدام

الكمبيوتر، لكنها عبثاً فعلت. فهي لم تقو على إقناعه. لكنها، هي أيضاً،

لم تستجب لمحاولاته المتكررة تعليمها لعبة الغولف. ولطالما قال لها

بالحاح: «أنت منظمّة. أنا واثق من أنك ستبرعين في لعبة الغولف.»

تذكرت مينلي كلامه، فعلت ثغرها ابتسامه، فيما كانت تعمل على طاولة المطبخ، لا بل على طاولة حجرة الطعام الصغيرة. فقد استحسنت تلك التسمية، سيمًا وأنها كانت تستمتع بالعمل هناك، في غياب آدم عن المنزل، عندما تكون بمفردها مع الطفلة. فالغرفة تستمدّ الدفء من الموقد والفرن، وفيها تطيب الجلسة فيما يعبق الجوّ برائحة الخبز بالثوم الشهية. الليلة سوف تكتفي بتدوين بعض الملاحظات على دفتر صغير. قالت بصوت عالٍ: «ها قد بدأنا من جديد»، فيما راحت تكتب «مغامرات دايفيد في البلاد الصغيرة». فكرت في بداياتها وفي النجاح الذي حققته في مضمار التأليف. بعد تخرجها من الجامعة، حصلت على وظيفة في مجلة ترافل تايمز. في تلك الفترة، أيقنت أنها تريد أن تصبح كاتبة، ولو أنها احتارت بخصوص المجال الذي ستكتب فيه. أما والدتها فارتأت أن تتخصص في الفنون، لكن مينلي لم تقتنع بموهبتها الفنية.

سجّلت نجاحها الأول في المجلة، عندما طلب منها رئيس التحرير تغطية افتتاح فندق جديد في هونغ كونغ. فقبل مقالها بدون أي تصحيح، وكانت قد ارفقته، مترددة، ببعض الرسوم التي نقدتها للفندق ومحيطه. نُشر المقال مع الرسوم، وفي الثانية والعشرين من عمرها، أصبحت مينلي من أبرز كتّاب المقالات السياحية في المجلة. أما فكرة تأليف سلسلة كتب للأطفال، يعود فيها البطل دايفيد، إلى الماضي حيث يعيش حياة طفل آخر من جيل آخر، فقد تطوّرت نغريجًا. وها هي قد كتبت حتى اليوم أربع قصص مع الرسوم. الأولى مسرحها نيويورك، والثانية لندن، والثالثة باريس، والرابعة سان فرانسيسكو. وسرعان ما لاقت القصص رواجًا شعبيًا.

ولكثرة ما سرد لها آدم الروايات عن كايب كود، قرّرت أن تكون هذه الأخيرة مسرح قصّتها الجديدة. أمّا البطل، فصبيّ يترعرع في البلاد الصغيرة، كما يُسمّيها الهنود.

على غرار الأفكار الأخرى، التي انتهت قصصًا في كتب، فإنّ تلك الفكرة، ما إن ترى النور، حتّى تكتمل وتتجسّد حبرًا على ورق.

لقد قصدت منذ أيام قليلة المكتبة في تشاتهام حيث استعارت بعض الكتب عن تاريخ المنطقة. كما أنّها وقعت على بعض الكتب القديمة المغبرة في المكتبة في ريمبر هاوس. جلست الليلة تقرأها وسرعان ما استغرقت في ابحائها.

عند الثامنة، رنّ جرس الهاتف.

«هل أنتِ السيّدّة نيكولز؟»

لم تتعرّف إلى صوت المتّصل. أجابت بحذر: «أنا هي.»

«سيّدّة نيكولز، أنا سكوت كوفي. لقد أعطتني رقمك إيلين

أتكينز. هل السيّد نيكولز موجود؟»

سكوت كوفي! لقد سمعت مينلي باسمه من قبل. قالت له:

«يؤسفني أن أقول لك إنّ زوجي ليس موجودًا. سوف يعود عصر الغد.»

«شكرًا. أسف لإزعاجك.»

«لا إزعاج. أسفة لوفاة زوجتك.»

«لقد كانت تجربة عصيبة. أمل أن يساعدني زوجك. لقد

فقدت فيف وأنا حزين لذلك، وها الشرطة تدّعي أنّ الوفاة لم تنجم

عن حادث.»

بعد دقائق قليلة، اتّصل بها آدم وقد بدا عليه الارهاق. قال لها: «إنّ

عائلة كورت بوتر مصمّمة على عودة سوزان إلى السجن. الجميع يعرف

أنها قتلتها دفاعًا عن النفس، لكنّ الاقرار بذلك يعني أيضًا الاقرار بأنهم تجاهلوا التحذيرات.»

لم يخفَ على مينلي الإرهاق الذي أضناه. لم يمرّ على العطلة ثلاثة أيام حتّى عاد إلى المكتب. لم تعلمه باتّصال سكوت كوفي، بل فضّلت تأجيل الموضوع إلى عودته في اليوم التالي. لقد تفهّمت، أكثر من غيرها، مسألة تحقيق الشرطة في حادث مأساوي. أكّدت لأدم أنّها وهانا بخير وأنهما اشتاقتا إليه. وأضافت أنها منهمة في أبحاثها بخصوص الكتاب الجديد.

على أثر حديثها مع سكوت كوفي، ومن بعده آدم، فقدت مينلي التركيز، فأطفأت الانوار في التاسعة وصعدت إلى الطابق العلوي. دخلت غرفة الصغيرة ورأتها تنام بسلام، لكنّها تنشّقت رائحة عفونة في الغرفة، وتساءلت عن مصدرها. فتحت النافذة قليلًا وأفسحت المجال لنسيم البحر بالتغلغل. فهو سيبدّل الجوّ.

وجدت صعوبة في النوم. فاجتياز سكة الحديد في ذلك اليوم قد أعاد إليها ذكريات حيّة عن الحادثة المشؤومة، وعن إشارة التحذير في ذلك اليوم. كانت واثقة من أنها نظرت إليها، لكنّ نور الشمس القوي أوهمها بأنها كانت تبعث ضوءًا متقطّعًا. لم تع حقيقة ما يجري إلا لدى سماعها هدير القطار المسرع باتجاه سيارتها. ثم سمعت صوت صفّارته المسعور.

جفّ حلقها وبردت شفتاها. لكنها في تلك المرة، لم تعرق ولم ترتحف، بل غرقت في نوم متقطّع.

لكنها سرعان ما استفاقت عند الثانية فجراً على صراخ الطفلة، وهدير قطار رددت جدران المنزل صداه.

5 أغسطس

16

إنتاب آدم نيكولز شعورٌ بخطر يُهدد عائلته، فنام نومًا متقطعًا. كان يستفيق بين الفينة والفينة، على حُلم مزعج لم يسعه استرجاع تفاصيله. عند السادسة صباحًا، وفيما كانت إيست ريفر تستقبل فجر يوم جديد، أزاح عنه الغطاء ونهض من السرير. حضر القهوة وخرج يحتسيها على الشرفة. ليتها كانت السابعة والنصف، فيتصل بمينلي. عليه الانتظار إلى تلك الساعة ريثما تستفيق الطفلة.

إرتسمت على شفثيه ابتسامة لمجرد التفكير في مينلي وهانا. كم أحبّ عائلته. استرجع معجزة ولادة هانا منذ ثلاثة أشهر والتي حققت حزنهما على خسارة بوبي. في مثل ذلك اليوم، منذ سنة، قصد كاليب كود بمفرده وقد يئس من استمرار زواجهما. فقد علم من أحد المستشارين في الشؤون الزوجية أنّ وفاة طفل في العائلة، تؤدي في كثير من الحالات إلى انهاء الزواج. فالألم عظيم يحول دون أن يعيش الزوجان تحت سقف واحد.

في تلك الفترة، ارتأى آدم أن ينفصلا. لكنّ مينلي، ما لبثت أن فصلت به، فأدرك أنّه متمسك بزواجهما ويرغب في استمراره.

عرفت مينلي حملاً سهلاً، خاليًا من المخاطر. كان معها في غرفة المخاض. عايش ألمها الكبير، لكنّها أثبتت شجاعة عظيمة لم تدم طويلًا، لسوء الحظّ. فسرعان ما أطلقت مينلي صرخة اهتزّ لها رواق المستشفى. اكفهرّ وجهها واتسعت عيناها الزرقاوان، وغطت وجهها بيديها. راحت تصرخ قائلة: «لا... لا... أرجوكم ساعدوني». كانت ترتجف، فاشتدّت الانقباضات وتعسّرت الولادة.

عندما ولدت هانا بعد جهد طويل، وضعها الطبيب بين ذراعي مينلي التي أبعدهتها عنها، وقالت وهي تبكي: «أريد بوبي... أريد بوبي».

ما كان من آدم في تلك اللحظة إلا أن حمل الطفلة وهمس لها: «لا تقلقي هانا. نحن نحبّك هانا». لكأنّه خشي أن تفهم الطفلة كلام مينلي. في وقت لاحق، قالت له مينلي: «في اللحظة التي وضعها الطبيب بين ذراعيّ، رأيت نفسي أحمل بوبي بعد الحادثة. فأدركت الألم الذي شعرتُ به يومها.»

مع ولادة هانا، بدأت مرحلة من التوتّر النفسي الذي يطلق عليه الأطباء تسمية توتّر ما بعد الصدمة. كانت الأشهر الأولى صعبة، سيّما وأنّ هانا عانت الأمرين من المغص، فكانت تصرخ لساعات وساعات. استخدمنا مرضعة تعتنى بالطفلة. لكنها اضطرت في أحد الأيام للخروج لبعض الوقت، فبدأت الطفلة بالصراخ. عاد آدم إلى المنزل فرأى مينلي جالسة على الأرض بالقرب من المهد، شاحبة الوجه. كانت ترتجف وقد سدّت أذنيها. لكن، ومع تغيير نوع الحليب الذي كانت الطفلة ترضعه، تلاشت نوبات المغص والصراخ واستحالت هانا طفلة وديعة، بينما تراجع حدة نوبات الضيق والقلق التي كانت تنتاب مينلي.

لام آدم نفسه لأنه تركها بمفردها مع الطفلة. كان يجدر به أن يصرّ على بقاء الحاضنة معها ليلاً.

إنّها السابعة، كفى انتظاراً. اتّصل بمينلي في كايب كود. لدى سماعه صوتها، أحسّ بشيء من الإرتياح. سألتها: «هل أيقظتك جلالة الملكة في ساعة مبكرة؟»

«إلى حدّ ما. كلانا يُحِبّ استقبال ساعات الصباح الاولى..»
تبيّن آدم نبرة غريبة في صوت مينلي. أراد أن يسألها: «هل أنت بخير؟» لكنّه تماسك عن القيام بذلك. بل قال لها: «سوف أحضر على متن رحلة الساعة الرابعة. هلا طلبت من إيمي أن تأتي للاهتمام بهانا، فيما نخرج للعشاء؟»

تردّدت مينلي قبل الإجابة، فتساءل آدم عن السبب. لكنّها ما لبثت أن ردّت: «فكرة رائعة. آدم...»
«ما الأمر حبيبتي؟»

«لا شيء. لقد اشتقنا إليك.»
عندما أقفل آدم الخطّ، اتّصل بشركة الطيران. وسأل: «هل من رحلة أبكر إلى كايب كود؟» سوف ينهي أعماله في المحكمة عند الظهر. بإمكانه أن يأخذ رحلة الساعة الواحدة والنصف. ثمّة ما يُزعج مينلي. كان واثقاً من ذلك. لكنّ الأسوأ هو أن مينلي سوف تخفي عليه سبب ضيقها.

17

كان المكتب العقاري الذي تملكه إيلين أتكينز في الشارع الرئيسي من تشاتهم. كم كان موقعه مميزًا. فكّرت إيلين في الأمر، فيما توقّف أحد المازّة ليلقي نظرة على الصور التي التقطتها للمنازل المتوفّرة للبيع أو الإيجار. فمذ أن انتقلت إلى الشارع الرئيسي، ارتفع عدد رواد المكتب ارتفاعًا ملحوظًا وازدادت معه مبيعاتها.

في صيف تلك السنة، ارتأت اللجوء إلى وسائل جذب وإغراء جديدة. فقد التقطت صورًا من الجوّ لمنازل تتمتع بموقع مميز. من بين تلك المنازل ريمبر هاوس. عندما وصلت إلى المكتب في العاشرة صباحًا، علمت من مساعدتها بمرور شخصين للسؤال عن المنزل.

بادرتها المساعدة بالقول: «إنّ الصورة من الجوّ قد أثبتت جدواها. هل تظنّين أنّك أبلت حسنًا بتأجير المنزل للزوجين نيكولز من دون أن تحتفظي بحقّ عرضه على أيّ شارٍ محتمل؟»

ردّت عليها إيلين بشيء من الحدة: «لم أر لذلك ضرورة. فأدم نيكولز ليس من النوع الذي يرحّب بدخول الناس منزلًا قد استأجره بسعر مرتفع. لا تقلقي، لن نخسر صفقة بيعه. لديّ إحساس بأنّ الزوجين نيكولز سيقرّران شراءه.»

«لطالما فكّرت في أنه قد يبحث عن منزل في هارويتش بورت. فهو يتحدّر من هناك، وقد درجت عائلته على تمضية الصيف في تلك المنطقة.»

«هذا صحيح، لكنّ آدم أحبّ تشاتهم منذ طفولته. ولطالما

مال إلى امتلاك المنازل، لا استئجارها. وهو يُقدّر الصفقة المناسبة ما ان تعرض عليه. برأيي، لقد ندم كثيراً على منزل العائلة الذي باعته والدته. كان بوّده لو يشتريه هو. وإذا كانت زوجته سعيدة بإقامتها هنا، فهو زبون محتمل. لنتنظر ما سيحدث.» إبتسمت لمارج وأضافت: «وفي حال لم يُقرّر هو شراءه، أرى في سكوت كوفي زبوناً. فهو يُحبّ المنطقة. أنا واثقة من أنه لن يحتفظ بمنزل فيفيان، بل سيعرضه للبيع ما ان تهدأ الامور.»

ارتسمت على وجه مارج علامات الجدّة. لقد كانت ربّة منزل في الخمسين من عمرها، وقد بدأت العمل لحساب إيلين في بداية الصيف، واكتشفت ولعها بمجال العقارات. كما أنها أحبّت الثروة. قالت لإيلين: «ثمة إشاعات كثيرة تحوم حول سكوت كوفي.» ردّت عليها إيلين بحركة من يدها، لكأنّ صبرها قد بدأ ينفذ، وقالت: «لم لا يدعون ذلك الشاب المسكين بحاله؟ فلو لم تحصل فيفيان على تلك التركة الضخمة، لكان الجميع تعاطف معه. إنّها مشكلة سكّان هذه المنطقة. لا يعجبهم أن ينتقل المال إلى غريب عنهم.» هزّت مارج برأسها وقالت: «هذا صحيح.»

قطع عليهما الحديث جرس باب المدخل، مشيراً إلى دخول أحد الزبائن. وانشغلنا طوال صبيحة ذلك اليوم. عند الواحدة، دخلت إيلين الحّمّام حيث سرّحت شعرها ووضعت قليلاً من أحمر الشفاه. أمّا مارج فراحت تتفحصها. كانت إيلين ترتدي فستاناً من الكتان الابيض مع حذاء صيفي مفتوح، أبرز شُمره ذراعيها وساقيهها. أمّا شعرها الاشقر، فقد عقصته إلى الوراء.

قالت لها مارج: «تبدين رائعة الجمال. الخطوبة ثلاثمك.»

حرّكت إيلين إصبعها فلمع خاتم الخطوبة. «أوافقك الرأي. سوف ألتقي جون على الغداء. إهتَمّي بسير العمل.»
 لدى عودتها، بعد ساعة من ذلك، قالت لها مارج: «لقد تلقيت مجموعة كبيرة من الاتصالات. لكنّ ختامها كان مسكًا.»
 كان الاتصال من التحريّ نات كوغان. طلب مقابلة الأنسة أتكينز على وجه السرعة، متى ناسبها ذلك.

18

بحلول الظهر، كانت مينلي قد أقنعت نفسها بأنّ الخوف الشديد الذي أيقظها ليلاً لم يكن سوى حلم مزعج. حملت هانا على ذراعيها وخرجت من المنزل. وقفت عند حافة الجسر. كانت السماء زرقاء، عكست لونها على صفحة المياه التي تكسّرت برفق على الشاطئ. كان البحر جزراً والشاطئ الرملي هادئاً.

فكّرت في روعة المنزل، حتّى لو لم يكن يُطلّ على المحيط. راحت تجول بنظرها فانتبهت لأشجار الخروب والسنديان التي نمت بدون رعاية. فالمنزل مهجور منذ سنوات عدّة. ها هي الآن، مُحمّلة بالاوراق وتشكّل، مع أشجار الصنوبر الممتلئة، لوحة متناغمة وقد ارتدت الحلة الخضراء في منتصف الصيف.

انتبهت مينلي إلى ورقة مصابة بالصدأ. ففكّرت في جمال الخريف في كايب كود.

لقد توفّي والدها، عندما كان أخوها جاك في الحادية عشرة من عمره وهي في الثالثة. برأي والدتها، كان توفير التعليم لولديها، أهمّ

من اقتناء منزل. لذا راحت تدّخر من راتبها، الذي تقاضته من عملها كمرمّضة، في مستشفى بيلفو، لإرسال ولديها إلى جامعة جورج تاون. أما هي، فما زالت إلى اليوم، تسكن في الشقة نفسها، المؤلفة من أربع غرف، والتي تربّت فيها مينلي وأخوها.

لطالما تمّنت مينلي العيش في منزل مستقلّ، درجت في طفولتها، على رسمه. وكان يُشبه ريمبر هاوس.

لقد وضعت خططاً كثيرة لتجديد المنزل الذي اشترياه في راي. لكن، مع رحيل بوبي، قرّرا بيعه. فهو يحتضن ذكريات مؤلمة كثيرة.

قالت لهانا: «يناسبنا السكن في مانهاتن. فهو على بعد عشر دقائق من عمل البابا. أما جدّتك فقريبة أيضاً وتستمع بحضانتك. أنا أحبّ المدينة. لكنّ عائلة أبيك لطالما سكنت في كايب كود. كانوا من السكان الأوائل. ما رأيك، صغيرتي، لو أتينا إلى هذا المنزل، لتمضية الصيف وأيام العطل ونهاية الاسبوع؟»

أدارت الطفلة رأسها، ونظرت كلتاها إلى المنزل. أما مينلي فقالت: «المنزل بحاجة إلى أعمال ترميم كثيرة. مع ذلك، قد نستمتع بتجديده، فيعود إلى سابق عهده. حلم، ليتنا نحققه. ألا توافقيني الرأي؟»

تبرّمت هانا بعض الشيء، لكأنّها على شفير البكاء. قالت لها مينلي: «حسنًا، أنت متعبة. يا إلهي، كم أنت نكدة المزاج». إستدارت عائدة إلى المنزل، من ثمّ توقفت للحظة، وراحت تتأمّل المنزل مرّة أخرى. همست في أذن الطفلة: «ألا يبدو لك حصن حماية؟»

فجأة، أحسّت بفرح كبير. فأدم عائداً بعد الظهر وسوف تنطلق عطلتها. إلّا...

إلا إذا قرّر آدم الدفاع عن سكوت كوفي، ما سيستهلك جزءاً كبيراً من وقته، سيّما وأنه يحبّ عمله ويخلص له. مع ذلك، أملت مينلي أن يتوكّل آدم عن كوفي. في تلك اللحظة، تذكّرت الفرع الذي انتابها، عندما تلقى آدم، بعد أسبوعين من دفن بوبي، اتصالاً هاتفياً من مساعد المدعي العام. فقد كان هذا الأخير يفكّر في ملاحقة مينلي بتهمة القتل غير المتعمّد.

قال لها آدم: «إنّه يتدرّع ببعض غرامات السرعة الصادرة بحقك. برأيه، يمكنه أن يثبت أنك تجاهلت إشارة التحذير عند التقاطع لأنك كنت مسرعة لتجاوز القطار.»

لكنّ آدم ما لبث أن طمأنها قائلاً: «لا تقلقي، حبيبتي، لن يصل إلى أي مكان في ادّعاءاته.»

بالفعل، سحب المدعي العام مزاعمه، عندما أبرز آدم لائحة بالحوادث القاتلة التي وقعت عند التقاطع نفسه.

بحسب إيلين، فإنّ الشبهات تحوم حول سكوت كوفي لأنه، برأي البعض، تجاهل هبوب العاصفة واستخفّ بها.

فكّرت مينلي: «لا يهمني إن قطعت علينا تلك القضية عطلتنا. فكوفي بحاجة إلى المساعدة، مثلما كنّ أنا أيضاً بحاجة إليها.»

19

لم يكن المارّ بالشارع ليرى بوضوح المنزل الصيفي لآل كاربنتر في أوسترفيل. وفيما كان التحرّي نات كوغان يجتاز البوّابات ويسلك الممرّ العريض، استرعى انتباهه العشب المُشدّب بعناية ومساكب

الأزهار. فكّر في الثروة الضخمة التي يملكها أصحاب المنزل.
توقّف أمام القصر القديم الفيكتوري الطراز. كان مدخله
الرئيسي مسقوفًا ومزخرفًا. أما الشبابيك والمصاريع فلمعت ببياضها
في شمس بعد الظهر.

عندما اتّصل في صباح ذلك اليوم يطلب مقابلة أصحاب المنزل،
تفاجأ بالترحيب الذي لقيه من والد فيفيان كاربنتر الذي سأله: «هل
تودّ المجيء اليوم، حضرة التحريّ كوغان؟ فقد كُنّا ننوي لعب الغولف
بعد الظهر، لكن، لا بأس، سنقوم بذلك لاحقًا».

لم تكن ردّة الفعل التي توقّعها كوغان. فقد سمع أنّ الزوجين
كاربنتر ليسا من الاشخاص الذين تسهل مقابلتهم. لذا، توقّع ردًا باردًا
أو سؤالًا عن سبب الزيارة.

قادته الخادمة إلى الحجرة الشمسية خلف المنزل حيث جلس
غراهام وفيفيان كاربنتر على كرسيّين منجّدين، يرتشفان الشاي المثلّج.
في الجنازة، خيّل لِنات أنّ أفراد العائلة متحجّرو القلب.
فالدُموع الوحيدة التي ذُرفت كانت من زوج المتوفّاة. لكنّه، وفيما
نظر إلى الزوجين الجالسين قبّالته، أدرك كم كان مخطئًا في حكمه. لم
تخفّ عليه علامات الحزن التي طبعت تعابير وجهيهما.

قاما بتحيّته بهدوء وعرضاً عليه مشروبًا، لكنّه ردّ بالرفض. ما
كان من غراهام كاربنتر إلا ان أثار المسألة بدون لفّ ودوران. بادر
التحريّ بالقول: «لست هنا لتقديم واجب العزاء، سيّد كوغان.»

غير أنّ نات مال إلى الأمام وقد شبك يديه، في وضعيّة كان
يتخذها، بحسب زملائه، في اللحظات الحرجة التي ينوي فيها الإفصاح
عن مسألة هامة.

«أنا أتقدم منكما بالتعزية، لكنك محقّ، سيّد كاربنتر. ليس ذلك سبب زيارتي الوحيد. سأتكلم بصراحة. لست مقتنعًا بأن وفاة ابنتكما قد نتجت عن حادثة، وإلى أن أقنع بذلك، أنوي مقابلة الكثير من الاشخاص وطرح الكثير من الاسئلة.»

وقع عليهما كلامه وقع الصاعقة. لكأنه خنجر غرزه في صدرهما. اختفت اللامبالاة من عينيتهما. نظر غراهام إلى زوجته وقال لها: «آن، لقد قلت لك...»

أما هي فهزّت برأسها وقالت: «لم أرد أن أصدق...»
عاجلها نات بالسؤال: «ما الذي رفضت تصديقه، سيّدة كاربنتر؟»

ردًا على سؤاله، عرض له الزوجان الأسباب التي تدفعهما إلى الشكّ بصرهما. لكنّ كوغان رأى فيها أسبابًا واهية. «أتفهم الحزن الذي اعتراكما لخلوّ المنزل من أي صورة لابنتكما، لكنني أعرف، لما لديّ من خبرة واسعة، أنّ ردّة فعل الأشخاص لا تكون نفسها بعد حدوث مأساة كهذه. فمنهم من يعرض صور الفقيد كافة، ومنهم من يجمعها أو حتّى يتلفها، ويتخلّص من مذكّرات الراحل وملابسه؛ أو حتى يبيع سيارته أو ينتقل من المنزل الذي جمعها. فبرأي هؤلاء، قد يُخفّف التخلّص من أغراض الفقيد، من ألمهم ويساعدهم على تحمّل المصيبة.»

بادر غراهام كاربنتر بالسؤال: «لقد التقيت سكوت كوفي بعد زواجه بابنتك. ولما كان غريبًا عن المنطقة، فقد تخوّفت من ذلك الارتباط. هل قمت بالتحري عن خلفيته؟»

هزّ غراهام كاربنتر برأسه وأجاب: «نعم، لقد فعلت. لم يكن

تقصياً عميقاً، لكنني اكتشفت صحّة ما أخبرنا به. لقد ولد وتربى في كولومبوس، أوهايو. عاد والده وزوجته إلى كاليفورنيا لدى بلوغهما سنّ التقاعد. أمّا هو، فالتحق بجامعة كنساس، لكنّه لم يتخرّج منها. حاول أن يعمل في مجال التمثيل، لكنه لم ينجح، فعمل في إدارة بعض شركات تقديم العروض المسرحية. ومن خلالها تعرّف بفيفيان السنة الماضية». هنا ابتسم بحزن وأضاف: «بحسب فيفيان، كان لديه مدخول خاص. لكنني أظنّ انها اختلقت ذلك لإرضائنا».

وقف نات وقال: «لقد فهمت. وسوف أكون صريحاً. لغاية هذه اللحظة، لقد تبينّت لي صحّة الأخبار التي سمعتها عنه. فابنتكما كانت مُتّيمة بحبّ كوفي. أمّا هو، فتصرّف كما لو أنّه مغرم بها. خطّطا للذهاب إلى هاواي، وأخبرت عددًا كبيراً من الناس بأنّها عازمة على تعلّم الغطس قبل وصولهما إلى هناك. أرادت أن تفعل كلّ شيء معه. هو سباح ماهر لكنه لم يسبق له أن قاد مركباً قبل تعارفهما. أمّا العاصفة فلم يكن مفترضاً وصولها إلا عند منتصف الليل. بصراحة، هي التي كانت تتمتع بالخبرة في مجال الإبحار، وكان يجدر بها سماع أخبار الطقس عبر الراديو».

سأله كاربنتر: «هل أفهم من كلامك أنّك تتخلّى عن التحقيق؟»
 «لا. لكن، عدا أن فيفيان كانت امرأة ثريّة وأنّه لم يمض على زواجهما سوى فترة قصيرة، ليس لديّ ما أنطلق منه.»

«لقد فهمت. حسنًا، أشكرك على مشاركتنا تلك المعلومات. سوف أرافقك إلى الخارج.»

كانا قد بلغنا باب الحجرة عندما نادته أن كاربنتر «سيد كوغان».
 إستدار نات وغراهم.

«لديّ طلب وحيد. أعرف أنّ جثّة ابنتي كانت بحالة رهيبة بسبب بقائها مدّة طويلة في البحر وانقراض الاسماك عليها...»
 «يؤسفني أن أوّكد كلامك.»

لكنّ زوجها بادرها معترضاً: «عزيزتي آن، لماذا تعذّبين نفسك؟»
 «لا، أرجوك اسمعني. سيّد كوغان، هل كانت أصابع يدها اليمنى في مكانها، أم أنها اختفت؟»

تردّد نات قبل أن يجيب: «لقد بُترت إحدى يديها، فيما بقيت الثانية سليمة. أظنّ أنّ اليد اليمنى هي التي كانت بحالة جيدة. سوف أتحقّق من صور التشريح. لكن، لماذا تسألين؟»

«لأنّ ابنتي اعتادت أن تضع خاتماً من الزمرد في الإصبع اليمين من يدها اليمنى. وهي لم تنزعه مذ أهدتها إياه والدتي. سألنا سكوت عنه، لأنه يخصّ العائلة ونريد استرجاعه في حال وجد في يدها. لكنه قال لنا إن يدها بترت وضاع الخاتم.»

ردّ عليها نات: «سوف أتصل بكما بعد ساعة.»

عاد نات إلى مكتبه حيث راجع صور التشريح لدقائق طويلة قبل أن يتّصل بالزوجين كاربنتر. لم يرَ أثراً لرؤوس الاصابع العشرة. في اليد اليسرى، رأى خاتم الزواج في مكانه. لكنّ ما لفته إصبع الخاتم في اليد اليمنى. فقد بان العظم بين المفصل واليد. ما الذي جذب حيوانات البحر إليه يا ترى؟

لم يلمح أثراً لخاتم الزمرد.

عندما اتّصل بالزوجين كاربنتر، عرض لهما الوضع من دون أن يقفز إلى الاستنتاجات. أخبر غراهام كاربنتر بأن يد ابنته اليمنى كانت مشوّهة وبأنه لم يرَ الخاتم في أي من أصابعها.

سأله: «هل تعرف ما إذا كان ضيقًا أم واسعًا؟»

أجابه كاربنتر: «لقد أصبح ضيقًا.» ثم سأله: «ماذا تقصد؟»

«لا شيء سيد كاربنتر. مجرد معلومة لأخذها بعين الاعتبار.

سوف نبقى على اتصال.»

أقفل نات الخطّ وفكّر في اكتشافه الأخير. كان واثقًا من أن

كوفي انتزع الخاتم من إصبع فيفيان ومن ثم تركها في عرض البحر

وسبح إلى الشاطئ. فتعرض الاصبع لرضة أدت إلى نزيف، ما جذب

الحيوانات إليه.

6 أغسطس

20

نظر آدم من نافذة حجرة الطعام الصغيرة إلى السيّارة التي كانت تسلك الممرّ المؤدي إلى المنزل، وغمغم قائلاً: «إيلين مدينة لي بخدمة». لقد أمضى وعائلته النهار على شاطئ البحر، فيما اهتمّت عاملة التنظيف التي أرسلتها إيلين بترتيب المنزل وتنظيفه. عند الثانية عادوا كلّهم؛ فأدم كان على موعد مع سكوت كوفي.

إستحمّ وارتدى الشورت مع قميص. أمّا مينلي، فلم تكن قد ارتدت ثيابها بعد عندما وصل كوفي.

قالت لأدم: «يسرّني أنه حضر. سوف أستغلّ انشغالك معه لأرتاح قليلاً فيما تأخذ هانا قيلولتها. أودّ أن ألقى أصدقاءك القدامى بنشاط وحيويّة.»

كانت إيلين تقيم في تلك الليلة مآدبة عشاء على شرفهما في منزلها، ودعت إليها بعضاً من أصدقاء آدم الذين درج على تمضية الصيف معهم في كايب كود.

طوّق خصرها بيديه. قالت له: «عندما يقول لك أصدقاؤك كم أنت محظوظاً، إحرص على موافقتهم الرأي.»

حاولت الإفلات من قبضته وأضافت: «أرجوك، أتركني».

دقّ جرس الباب. نظرت مينلي إلى فرن الغاز. لا مجال لالتقاط زجاجة الحليب والخروج من المطبخ قبل دخول سكوت كوفي. شعرت بفضول للقاء الرجل الذي تعاطفت معه، لكنها فضّلت ألا تتدخّل بالقضيّة، في حال قرّر آدم عدم التوكّل عنه. في النهاية، تغلّب الفضول فقرّرت انتظاره في المطبخ.

توجّه آدم إلى الباب. حيّا سكوت كوفي بمودّة ولكن بشيء من التحفّظ.

وقفت مينلي تحدّق بالزائر. لا عجب أن تكون فيفيان كاربنتر قد وقعت في حبّه بهذه السرعة.

لقد كان سكوت كوفي وسيماً، قويّ الملامح، وقد اسمرت بشرته بفعل شمس الصيف. أمّا شعره، فأشقر مجعد ولو كان قصيراً. كان هزيل البنية، ولكن عريض الكتفين. عندما عرفه آدم بمينلي، انجذبت هذه الأخيرة أكثر ما انجذبت إلى عينيه. لقد كانتا بلون البندق الغامق، لكنّ سرّ جاذبيّته لم يكمن في اللون لوحده. لقد لمحت فيهما الحزن نفسه الذي رآته في عينيها عندما نظرت إلى نفسها في المرأة بعد موت بوبي.

قالت في نفسها إنّه بريء. كانت تحمل هانا على ذراعها اليمنى. ابتسمت له ونقلت الطفلة إلى الذراع الاخرى ومدّت يدها تصافحه. قالت له: «لقد تشرّفْتُ بمعرفتك.» ثمّ تردّدت. لقد كان في مثل سنّها وواحدًا من أصدقاء آدم. فيمّ تناديه؟ هل تقول له، سيّد كوفي؟ في ذلك تكلف. قالت «تشرّفْتُ... سكوت.» مدّت يدها تتناول زجاجة الطفلة. «هاك الحليب هانا، سوف نترككما لتتحدّثا بحريّة.»

مرة أخرى تردّدت قبل أن تضيف: «سبق وعبرت لك عن أسفي لما حصل لزوجتك، عبر الهاتف، لكنني أكرّر أسفي الآن». «شكراً». قالها بصوت منخفض عميق، وفيه رنة موسيقية. فكّرت في أنه حتماً شخص جدير بالثقة.

أبت هانا النوم. فعندما وضعتها في المهد، بدأت بالصراخ، دفعت بالزجاجة وبالغطاء. أما مينلي فهدّدتها بابتسامة قائلة: «سوف أعرضك للتبني». نظرت إلى السرير الصغير. وجدت عليه وسادتين. وضعت واحدة في المهد، مدّدت هانا عليها وغطّتها بلحاف خفيف. من ثمّ جلست عند حافة السرير وراحت تهزّ المهد. ما لبثت هانا أن هدأت وغطّت في النوم.

من ناحيتها، أحسّت مينلي بالنعاس، فقرّرت خلع لباس البحر قبل أن تغفو. لكنّه قد جفّ الآن، لا ضرر من البقاء فيه. تمدّدت على السرير وتناولت الغطاء المطوي في أسفله. أصدرت هانا أنيناً فهزّت مينلي المهد وقالت لها: «لا عليك، أنا هنا».

لم تدرك الوقت الذي مرّ قبل أن تصحو على وقع أقدام. فتحت عينيها، لا بدّ أنها تحلم. لم يكن أحد في الغرفة. لكنّها أحسّت بنسيم بارد. كانت النافذة مفتوحة. نظرت صوب المهد فرأت هانا تنام بسلام. كان المهد يهتزّ.

21

قال سكوت كوفي وهو يلحق بآدم إلى المكتب: «المنزل رائع. لقد توقّفنا، زوجتي وأنا، لتأمّله، قبل أيام قليلة من موتها. أعجبها وعقدت العزم على التقدّم بطلب لشرائه، مع حرصها على ألا تبدو متلهّفة لذلك».

ردّ عليه آدم: «لقد علمتُ بالأمر من إيلين». وأشار إليه بالجلوس على أحد المقاعد القريبة من النافذة، فيما جلس هو على المقعد المقابل. أضاف: «لا داعٍ لأن أقول لك إنّ قطع الأثاث بمعظمها مستعملة.»

علت ثغر سكوت ابتسامة خجولة وعلّق قائلاً: «كانت فيف تحب اقتناء قطع الأثاث القديمة وذلك لإضفاء صبغة السبعينيات على الغرف ومحتوياتها. لقد عملت الصيف الماضي فترة قصيرة لحساب مهندس ديكور، وأبدت حماسة كبيرة لإعادة تصميم المنزل.»
لم يقاطعه آدم.

تابع كوفي: «يجدربي الآن التطرّق إلى مسائل العمل. في البداية، أودّ أن أشكرك على مقابلتي. أعرف أنّك تمضي العطلة هنا، وأعرف أنّك لم تكن لتقبل القضية لو لم تطلب منك إيلين القيام بذلك.»
«هذا صحيح. إيلين صديقة قديمة وبرأيها أنت بحاجة إلى المساعدة.»

حرّك كوفي يديه بما يشبه العبثية، وقال: «سيد نيكولز.»

«آدم.»

«آدم، لا يخفى عليّ سبب الإشاعات الكثيرة التي تناولني.»

فأنا غريب عن المنطقة، وفيفيان كانت فاحشة الثراء. لكنني أقسم بالكتاب المقدس، بأنني لم أعرف حجم ثروتها. فهي كانت يائسة فاقدة للأمان، ومكتئمة. لقد أحببتني، لكنّها تأخّرت في إدراك الحبّ الكبير الذي أكّنه لها. فهي قد فقدت الثقة بنفسها. بنظرها، إنّما يكلمها الناس بسبب أصولها العائليّة أو ثروتها.»

«ما سرّ فقدانها الثقة بالنفس؟»

لدى سماعه السؤال، تجهم كوفي وردّ: «إنّها عائلتها اللعينة، لا توفر فرصة لإحباطها. فهي الطفلة التي لم يرغب والداها في إنجابها، وعندما ولدت حاولا تربيتها بحيث تكون نسخة عن اختيها. لكنّ جدّتها كانت الاستثناء الوحيد. فقد تفهّمت فيف، لكنّها لسوء الحظّ كانت سيّدة عاجزة مقعدة أمضت معظم حياتها في فلوريدا. لقد أخبرتني فيف بأنّ جدّتها قد تركت لها ثروة بقيمة مليون دولار، وبأنّها حصلت عليها، منذ ثلاث سنوات، لدى بلوغها الحادية والعشرين. علمت منها بأنّها اشترت المنزل بستّ مئة ألف دولار وبأنّها تعيش ممّا تبقى ولن تحصل على قرش إضافي قبل بلوغها الخامسة والثلاثين. برأي الجميع، كانت ثريّة لا ينقصها شيء، لكنني علمت بأن رصيد الشركة سيعود إلى جدّتها في حال أصاب فيفيان مكروه. صحيح أنني حصلت على المنزل على أثر وفاتها، لكن، لم يخطر ببالي يومًا، أن تكون ثروتها تتعدّى المنزل. لم أعرف أنّها قد حصلت على خمسة ملايين دولار.»

شيك آدم أصابعه ونظر إلى السقف، وهو يفكر بصوت عال. «حتّى لو كانت تساوي المبلغ الذي أطلعتك عليه، برأي الناس، وأنا أبرز لهم رأيهم، فأنت قد اصطدت ثروة لا بأس بها، في زواج لم يدم سوى ثلاثة أشهر.»

إلتفت إلى كوفي وعاجله بسؤال آخر: «هل ثمة شخص آخر على علم بأن زوجتك لم تطلعك على وضعها المادي الحقيقي؟»
«لا أعرف.»

«ألم يكن لها صديقة مقربة، تحفظ أسرارها؟»

«لا. لم يكن ليفيان صديقة مقربة بالمعنى الفعلي للتعبير.»

«هل كان والداها راضيين عن زواجكما؟»

«عندما عرفا به، كنا قد تزوّجنا. فيفيان قرّرت إخفاء الأمر عنهما. لقد أرادت زواجًا هادئًا وشهر عسل في كندا وحفل استقبال في المنزل لدى عودتنا. أعرف أنّ والديها قد صُدما ولا ألومهما على ردّة الفعل تلك. قد تكون قالت لهما بأنني لستُ على علم بحجم ثروتها. فهي، بقدر ما تحدّثتهما، سعت لكسب رضاهما.»

هزّ آدم رأسه وقال: «لقد أخبرتني، في اتّصالنا الهاتفي، عن تحرّج اتّي يسألك عن خاتم يعود لعائلة فيفيان.»

نظر سكوت كوفي إلى آدم وأجاب: «هذا ما حصل. فالخاتم من الزمرد وأظنّ أنه متوارث في العائلة. أذكر أنّ فيفيان كانت تضعه في إصبعها يوم الحادث. لا بدّ أنّها نقلته في صباح ذلك اليوم إلى يدها اليسرى. عندما كنتُ أفتّش بين أغراضها وجدت خاتم الخطوبة في درج الخزانة في المنزل. أما خاتم الزواج، فكان ضيقًا ومصنوعًا من الذهب. لقد اعتادت وضع خاتمي الخطوبة والزواج معًا.»

عضّ على شفته وأضاف: «لقد ضاق خاتم الزمرد على إصبعها، بحيث بات يقطع الدورة الدموية. في صباح ذلك اليوم، رأيت فيفيان وهي تحاول نزعها. عندما كنتُ أهتمّ بالخروج، نصحتها بوضع قليل من الصابون على يدها فيسهل سحبه. انتبهت لرضة طفيفة عليه. لدى

عودتي، ركبنا المركب ونسيت أن أسألها عنه. أمّا هي، فلم تفتاحني بموضوعه من جديد. لكنّها أبت الخروج من المنزل من دونه. عندما عاينت الجثة وتعرّفت إليها، لم أر الخاتم وافترضت أنّ سبب ذلك بتر يدها اليمنى».

بدت على وجهه علامات التشنّج والتوتّر. أضاف: «لن تفهم، لا أنت، ولا أحد غيرك، مقدار الألم الذي أعاني منه. لقد كنّا معاً، نسبح وكانت المياه صافية هادئة. أمّا هي فكانت سعيدة، كما الطفلة في مدينة الملاهي. وفجأة، تغيّر كلّ شيء.» وغطّى وجهه بيديه.

راح آدم يتفحص سكوت كوفي. قال له: «تابع.»

«تعرّكت المياه ولاحظتُ الذعر الذي انتاب فيفيان. أمسكتُ بيدها ووضعتها على حزامي. عرفت أنني أطلب منها التمسك بي. بدأت أسبح باتجاه المركب، لكنّه كان بعيداً. لا بدّ أنّ المرساة قد انتقلت من مكانها نظراً لقوّة التيار. لم نكن نتقدّم، فأفلتت فيفيان يدها من حزامي وبدأت تسبح إلى جانبي. لربّما اعتقدت بأننا نكسب الوقت لو سبح كلّ منّا بمفرده باتجاه المركب. لكن، وفيما كنّا نصعد إلى سطح المياه، أتت موجة عملاقة واختفت فيفيان. لقد اختفت.»

أنزل يديه عن وجهه وقال: «يا إلهي، كيف يمكن لأحدهم أن يظنّ بأنني تعمّدت قتل زوجتي؟ فأنا لا أنفكّ ألوم نفسي على التخلف عن إنقاذها. أنا مسؤول عن اختفائها، الذنب ذنبي أنني لم أتمكّن من العثور عليها، لكنني أقسم بالله أنني حاولت.»

سوّى آدم جلسته وتذكّر ليلة وفاة بوبي. تذكّر مينلي المفجوعة التي كانت تجهش بالبكاء وتقول: «الذنب ذنبي...» توجّه صوب سكوت وربّت على كتفه قائلاً: «سوف أتوكّل عنك. حاول الاسترخاء. سوف تتغلّب على المصيبة. سيكون كلّ شيء على ما يرام.»

22

وصلت إيمي في تمام الساعة لحضانة هانا. حيّت مينلي وجثمت قبالة أرجوحة الطفلة التي وضعها آدم في حجرة الطعام الصغيرة. قالت للطفلة بنعومة: «مرحبًا هانا. هل قصدت البحر للسباحة اليوم؟»

أما هانا فرمقت الزائرة بنظرة رضى.

ردّت مينلي: «كان يجدر بك أن تشاهديها وهي تلعب في بركة موحلة. فقد بدأت بالصراخ عندما سحبتها منها. هانا تعرف التعبير عن غضبها.»

إبتسمت إيمي ابتسامة خجولة وعلقت: «هذا ما كانت تقوله لي أمي.»

كانت مينلي على علم بخطوبة إيلين ووالد إيمي، لكنها لم تعرف ما إذا كان هذا الأخير أرملاً أو مطلقاً. بدا لها أنّ إيمي تستدرجها للسؤال. فقالت: «حدّثيني عن والدتك. أرى انها أحسنت تربيتك.»

«لقد توفيت عندما كنت في الثانية عشرة من عمري.» كان صوت الفتاة خالياً من أي عاطفة.

«لا بد أنّك تألمت لوفاتها.»

أرادت مينلي أن تقول لإيمي بأنّ إيلين ستكون حتماً والدتها الجديدة، لكنها شكّت في أن تشاركها إيمي الرأي. تذكّرت اعتراض أخيها على معاشرته والدتهما رجلاً آخر. لقد أعجب بها طبيبٌ ودأب على الاتصال بها، فراح أخوها جاك يردّ عليه بسخرية، ويُشَبِّهه بشخصية تلفزيونية كوميدية.

للأسف، لم تدم العلاقة طويلاً. لقد كان روجر رجلاً طيباً، ولربما كانت والدتها لتسعد معه. قرّرت مينلي أن تنتهز الفرصة خلال الشهر لتفتاح إيمي بالموضوع، فتنقبّل فكرة ارتباط والدها. قالت للفتاة: «حان الوقت لوضع الأميرة الصغيرة في السرير. لقد أعددت لك لائحة بأرقام الطوارئ: الشرطة، الإسعاف، الإطفاء ورقم إيلين.»

«هذا الرقم أعرفه.»

وقفت إيمي وسألت: «هل يمكنني أن أحمل هانا؟»

«أكد. إنها فكرة سديدة.»

بدأت إيمي، وهي تحمل الطفلة بين ذراعيها، أكثر ثقة بنفسها.

قالت لمينلي: «تبدين رائعة الجمال، سيّدة نيكولز.»

«شكراً.»

سُرت مينلي بالإطراء. أدركت أنها متوتّرة بعض الشيء للقاء أصدقاء آدم. فهي لا تتمتع بمواصفات عارضات الازياء اللواتي درج على معاشرتهنّ، لا بل أحضر عددًا منهنّ إلى كايب كود. ستكون موضوع تكهّنات. فالكلّ يعرف قصّتها. زوجة آدم التي اجتازت بسيّارتها سكة الحديد وخسرت طفلها. زوجة آدم التي لم تحضر معه إلى كايب كود الصيف الماضي.

فكرت في نظراتهم طوال السهرة. بعد محاولات فاشلة لانتقاء ملابسها، قرّرت أن تلبس فستاناً خفيفاً أزرق، مع حزام أزرق وأبيض وحذاء صيفي أبيض.

«لِمَ لا نضع هانا في سريرها قبل أن أذهب؟»

وارتقت السلالم إلى الطابق العلوي.

«جهاز التلفاز في هذه الردهة. لكنني أقترح عليك أن ترفعي صوت جهاز مراقبة تحركات الطفلة، وأن تدخلي الغرفة للإطمئنان على هانا كلّ نصف ساعة تقريبًا. فهي بارعة في رفس الغطاء، وقد وضعت عاملة التنظيف لباس النوم الطويل في الغسالة. والنشافة ليست موصولة بعد.»

«كاري بيل. هل حضرت لتنظيف المنزل؟» سألت إيمي بتعجب.
«لا. عاملة التنظيف اسمها هيلدي. سوف تحضر للتنظيف مرّة بالاسبوع. لماذا تسألين؟»

كانتا قد بلغتا أعلى السلالم. توقفت مينلي واستدارت لتنظر إلى إيمي.

احمّرت وجنتا إيمي وأجابت: «لا عليك. لم أقصد شيئًا. أسفة. لقد عرفت أنّ إيلين ستوصي بعاملة تنظيف أخرى.»

أخذت مينلي هانا من إيمي وقالت: «والدها يريد أن يتمنى لها ليلة سعيدة.» دخلت غرفة النوم الرئيسية. كان آدم يرتدي سترته الرياضية الكحلية. بادرته: «لقد أتت واحدة من معجباتك الصغيرات لتؤدي لك واجب الإكرام.»

طبع قبلة على جبين هانا وقال لها: «لا تخرجي مع الشبان في الليل، صغيرتي، وكوني مطيعة لإيمي.»

كذب الحنان البادي على وجهه نبرة صوته التي نمت عن حدة وخوف. شعرت مينلي بقلبها ينقبض. فأدم كان يحبّ بوبي حبًا كبيرًا، ماذا لو أصاب هانا أي مكروه...

لكنّها ما لبثت أن قالت لنفسها: «لِمَ تراودك هذه الافكار؟»
ردّت عليه بنبرة مازحة: «إبنتك تعتبرك وسيماً للغاية، وهي

تريد أن تعرف سرّ أناقتك، ربما لتؤثر في صديقاتك القديمات؟»
 أجاب آدم: «لا. لديّ فتاة واحدة تكفيني» ثم صحّ وقال:
 «لديّ فتاتان». وتوجّه إلى الطفلة بالقول: «هانا، قولي لأمك إنها تبدو
 جذابة وإنني لن أستبدلها بأي امرأة أخرى.»

قهقهت مينلي ضاحكة وأعادت الطفلة إلى غرفتها. كانت إيمي
 تقف إلى جانب المهد وقد أحنت رأسها إلى الامام، لكأنّها كانت
 تصغي إلى شيء ما. سألت مينلي: «سيّدة نيكولز، ألا يخالجبك شعور
 غريب وأنت في هذه الغرفة؟»

«ماذا تقصدين؟»

«أسفة. لا أعرف ما أقصد.» بدت إيمي مُحرجة وأضافت:
 «أرجوك، لا تبالي بكلامي التافه. أتمنّى لكما وقتًا ممتعًا. أعدك بأنني
 سأعتني بهانا ولن أتوانى عن الاتصال بك إن استجدّ طارئ. كما أنّ
 عنزل إيلين قريب.»

أمّا مينلي فتساءلت: «هل في غرفة الطفلة ما يدعو إلى الريبة
 والغرابة؟ ألم ينتابها هي أيضًا الشعور نفسه؟» حاولت طرد تلك الافكار
 السخيفة، فهزّت رأسها ومدّدت هانا في المهد. وضعت في فمها
 المصاصة مستبقة صرخة احتجاج منها.

23

كانت إيلين تسكن في منزل قديم يعود إلى سنة 1780 بالقرب من
 نزل تشاتهم. على مرّ السنوات، تمّ تجديده وتوسيعه، ليتلائم مع
 منازل المحيطة به.

عند السابعة، جالت إيلين في أرجاء المنزل تتحقّق من التحضيرات الأخيرة. لقد كان المنزل يشعّ نظافة وترتيبًا. مناشف الضيوف في مكانها في الحَمَّام، النبيذ في الثلاجة والمائدة موضوعة. لقد حضّرت سلطة الكركند بنفسها، ما استلزمها وقت طويل. أما الأطباق الأخرى فاستقدمتها من شركة لتأمين المأكولات. توقّعت عشرين ضيفًا، لذا استخدمت نادلًا ليسكب الطعام وآخر ليحضّر المشروبات.

عرض عليها جون الإهتمام بتقديم المشروب، لكنها رفضت عرضه، بل قالت له: «من المفترض أنّك ضيفي، أليس كذلك؟»
«إذا كان هذا ما تريدين.»

كانت إيلين تعرف مسبقًا ما سيقوله جون: «أيًا يكن ما تطلبه إيلين، فهي لا محالة تحصل عليه.»

بالفعل، ما لبث جون أن قال لها وهو يضحك: «أيًا يكن ما تطلبه إيلين، فهي لا محالة تحصل عليه.» لقد كان جون رجلًا قويّ البنية ضخّمًا، بطيء الحركة. كان في الثالثة والخمسين من عمره وقد غزا شعره الشيب. أما وجهه فبدت عليه علامات الدماعة واللفظ. قال لها: «إقتربي منّي حبيبتي.»

«جون لا تبعثر شعري.»

«أنا أحبّه مبعثرًا، لكنني لن أفعل. أودّ أن أقدم لك هدية.»
أخذت منه إيلين اللعبة الصغيرة وسألته: «جون، حبيبي، ما هذا؟»

«عبوة زيتون. هيّا افتحيها.»

لقد كانت عبوة زيتون، لكنّ داخلها غُلف بقماش أزرق.

نزعت إيلابن الغطاء وهي تسأل: «ماذا بداخلها، يا ترى؟»
بدأت تسحب القماش.

قال لها منبَهًا: «مهلاً. فحبات الزيتون هذه غالية الثمن.»
أمسكت بقطعة القماش بيدها وفتحتها. فيها وجدت زوجًا من
الأقراط مرصعًا بالالماس. صرخت «جون!»
«عرفت منك أنك ترتدين تنورة بلونَي الأسود والفضي، فأحضرت
لك هذا الزوج من الأقراط ليتناسق مع لباسك.»
عانقته وقالت: «لا يسعني أن أصف لطفك. لست معتادة على
الدلال.»

«سيكون من دواعي سروري أن أدللك. لقد أضنيت نفسك في
العمل، وأنتِ تستحقين هذه الهدية.»
أمسكت بوجهه وقربت شفثيه من شفثيها. قالت له: «شكرًا.»
دقّ جرس الباب. لقد وصلت الدفعة الأولى من الضيوف.

إنها حفلة موفّقة. هذا ما فكرت فيه مينلي، وهي تستعيد مكانها
على الكنبه بعد أن سكبت ما تأكله. لقد كان ستة من الأزواج من
المصطافين القدامى في كايب كود، فراحوا يسترجعون الذكريات.
«آدم، أتذكر اليوم الذي أخذنا فيه مركب والدك، إلى نانتوكت.
يا لغضبه من فعلتنا!»

ردّ آدم: «يومها، نسيْتُ أن اطلعه على ما خططنا له.»
أما إيلابن فتدخّلت قائلة: «يا لغضب والدتي! لم يعجبها أنني
كنت الفتاة الوحيدة بين خمسة شبّان. لقد خشيت كلام الناس.»
أضافت واحدة من المدعوّين: «أما نحن فلم نُدع، ما أثار

حفيظتنا واستياءنا. لقد كانت الفتيات جميعًا معجبات بآدم.»

سأل زوجها: «ألم تُعجبي بي أنا؟»

«بلى، في السنة التالية لذلك.»

وراحوا يسترجعون الذكريات الطريفة عن أيام صيف أمضوها معًا.

أما مينلي فابتسمت وبذلت جهدًا للاستماع إليهم، لكنّها كانت

مشتتة الفكر.

كان خطيب إيلين، جون نيلسون، يجلس على الكرسي القريب

من الكنبة. إلتفت إلى مينلي وسألها: «أخبرينا عن أيام مراهقتك.»

إستدارت مينلي نحوه بارتياح وردّت: «كنتُ أؤدّي وظيفة

إيمي نفسها، حضانة الأطفال. فقد أمضيت ثلاث سنوات متتالية في

كنف عائلة حيث عُهد إليّ برعاية خمسة أولاد.»

«لم تكن عطلة بالمعنى الحقيقي.»

«لقد استمتعت بذلك. كانوا أولادًا لطفاء. بالمناسبة، أودّ أن

أثني على إيمي. فهي فتاة رائعة، تجيد رعاية طفلتي.»

«شكرًا. أسمح لنفسي أن أقول إنها لا تتحمّل إيلين.»

«ألا تظنّ أن ارتيادها الجامعة وتعرّفها بأصدقاء جدد سوف

يغيّران ما تشعر به تجاه إيلين؟»

«أمل ذلك. لطالما تخوّفت من الوحدة التي سأعيشها عندما

ترتاد الجامعة. أمّا الآن، فهي تخشى أن تفقد منزلًا وعائلة، بعد أن أقترن

بإيلين. إنّها أفكار سخيفة، لكنّ الذنب ذنبي. فأنا من أوهمتها بأنّها

سيّدة المنزل، وها هي الآن ترفض أن تتنازل عن مكانتها لسيّدة أخرى.»

هزّ كتفيه وأضاف: «حسنًا، أظنّ أنّها ستتقبّل الفكرة في نهاية

المطاف. أمل، سيّدتى أنّك تستمتعين بالعطلة في كايب كود، كما

اعتدتُ أن أفعل. منذ عشرين سنة، أتينا من بنسلفانيا لتمضية العطلة هنا. أحببت زوجتي المكان، فاستقرينا فيه. حالفني الحظّ في بيع شركة التأمين التي كنت أملكها وشراء واحدة هنا في تشاتهام. لذا، لا عليك. فمتى قرّرتِ شراء منزل هنا، قدّمت لك عرض التأمين الأنسب. إنّ هذا المجال لمُبهرٌ، ولو أنّ الكثير من الناس لا يُدركون أهميّته». تناولت مينلي فنجانًا آخر من القهوة. لم توافق جون رأيه. قالتأمين لم يكن يومًا مجالها المفضل. فكّرت في جون نيلسون. كان رجلًا لطيفًا، ولكن بليدًا بعض الشيء.

إنضمّ إليها آدم، فيما كانت تعيد ملء فنجانها. سألتها: «هل تستمتعين بالحفلة، حبيبتي؟ لقد وجدتك مشغولة في الحديث مع جون. ما رأيك بأصدقائي؟»

«إنّهم رائعون.» حاولت أن تبدو له متحمّسة وسعيدة. لكنّها، في الواقع، جُلّ ما تمنّته أن تكون في المنزل معه، لوحدهما. لقد شارف الأسبوع الأول من العطلة على النهاية وقد أمضى يومين منه في نيويورك. بعد ظهر اليوم، عادا من الشاطئ إلى المنزل، بسبب مواعده مع سكوت كوفي، واللييلة يسهران مع أشخاص غرباء بالنسبة إليها. أمّا آدم، فكان يتطلّع يُمنّة ويُسرة. قال لها: «لم أحظّ بفرصة تحدّث مع إيلين على انفراد. أريد أن أخبرها عن اجتماعي بكوفي.»

ذكّرت مينلي نفسها بالسرور الذي غمرها عندما أطلعها آدم على قراره تولّي قضيّة سكوت.

دقّ جرس الباب، وإذ بسيّدة في الستينيات من العمر، تدخل من نون إذن. وثبت إيلين من مكانها وقالت: «جان، يسرّني حضورك.» قال آدم لمينلي: «لقد أخبرتني إيلين بأنّها دعت جان بالي،

مالكة ريممبر هاوس.»

ردّت مينلي: «إنها فكرة رائعة. ليتني أحظى بفرصة التحدّث إليها.» راحت مينلي تتأمّل السيّدة بالي وهي تعانق إيلين. لقد كانت جذّابة. لم تتبرّج، وتركت شعرها الاشب على طبيعته. أمّا بشرتها، فخطّتها تجاعيد خفيفة لم تهتمّ لإخفائها أو لإخفاء آثار الشمس عليها. كانت ابتسامتها دافئة وكريمة.

عرّفتها إيلين بمينلي وأدم. قالت لها: «أعرّفك بالمستأجرين

الجديدين.»

إنّبهت مينلي لومضة التعاطف تلمع في عيني المالكة. لا شكّ في أنّ إيلين قد أخبرتها قصّة بوبي. قالت لها بصراحة: «المنزل رائع، سيّدة بالي.»

«يسرّني أنّه يعجبك.» لم ترغب بالي بتناول الطعام، بل قالت لإيلين: «شكراً. لا داعٍ لتحضير طبق لي. لقد أتيت للتوّ من حفل عشاء في النادي. سأكتفي بفنجان من القهوة.»

كانت الفرصة سانحة لأدم لكي يطلع إيلين على وقائع اجتماعه بسكوت. أمّا مينلي، فتوجّهت إلى السيّدة بالي بالسؤال: «سيّدة بالي، ما رأيك، لو جلسنا هناك؟» وأشارت بيدها إلى كنبه خالية.

«ممتاز.»

جلست على الكنبه، وراحت جان بالي تسرد عليها واحدة من قصص الصيف الطويلة.

«لطالما رافقت زوجي إلى لقاءات قدامى المدرسة. في البداية، كنت أستغرب المحادثات والأشخاص، لكنني ما لبثت أن استمتعت بها.»

«أنا واثقة من أن هذا ما سيحدث لي.»

تابعت بالي: «أعتذر عن حالة الأثاث المزرية. فنحن لم نُكمل

ترميم المنزل وتجديده، بل اكتفينا باستعمال الأثاث الموجود.»

«إنّ قطع الأثاث الموجودة في غرفة النوم الرئيسية رائعة.»

«إنها كذلك. لقد انتقيتها من أحد المزادات. بالمقابل، وقعت

على المهد بين كومة من الأثاث العتيق في الطابق السفلي. يعود إلى

القرن السابع عشر، وبرأيي لقد كان بين قطع الأثاث الأصلية. لا شكّ

في أنك تعرفين تاريخ المنزل العظيم.»

«القصة التي سمعتها تُخبر عن قبطان سفينة شيّد المنزل

لعروسه، وما لبث أن هجرها بعد ان علم بخيانتها.»

«سوف أكمل لك القصة. يُحكى أنّ زوجته، ميهيتابيل، قد

أقسمت ببراءتها، ونذرت على فراش الموت، أن تبقى في المنزل،

إلى أن يعيدوا إليها طفلتها. تلك لم تكن الاسطورة الوحيدة التي طاولت

منزلًا في كايب كود. فمعظم منازل المنطقة كان موضوعًا لعدد من

الاساطير التي نُسجت عنه. حتّى أن بعض الاشخاص يُقسم بأنه عاش

في منازل مسكونة.»

مكتبة الرمحي أحمد

«مسكونة!»

«نعم. في الواقع، اشترى ثنائي من أصدقائي المقربين منزلًا

قديمًا. أعادا تجديده وترميمه. في صباح أحد الايام، وفيما كان

لزوجان غارقين في النوم، استفاقت الزوجة على وقع أقدام على

السلم. من ثمّ، فُتح باب غرفة النوم، وتُقسم بأنها رأت آثار الخطوات

على السجادة.»

«مكانها، كنت لأموت خوفًا.»

«لا. فالشعور الذي انتاب ساره كان شعورًا لذيذًا، شبّهته بشعور الطفل الذي يستفيق على أمه تغطيته. بعد ذلك، أحسّت بأحدهم يربت على كتفها وسمعت صوتًا يقول: «أنا مسرورة بما صنعته بمنزلي. لقد أحسنت الإعتناء به».

«كانت ساره واثقة من أنّ السيّدة التي كلّمته هي السيدة التي سُيّد المنزل لها، وقد أرادت أن تبدي لها رضاها عن أعمال الترميم والتجديد.»

«هل حصل لها أن رأّت شيئًا خلال إقامتها هناك؟»

«لا. ساره أرملة الآن وقد شاخت. تُخبر عن شعورها بحضور لطيف وودود، لكنّ سيّدتين تتشاركان متعة الإقامة في منزلهما.»

«هل تُصدّقين هذه القصة؟»

ردّت جان بالي ببطء: «لا أنفي حصولها.»

إرتشفت مينلي القهوة وسألّت بعد ان استجمعت شجاعتهها: «هل لاحظت ما يدعو إلى الاستغراب في غرفة الاطفال، في ريممير هاوس، تلك الغرفة الصغيرة المتاخمة لغرفة النوم الرئيسية؟»

«لا، لم نستعملها يومًا. بصراحة، أقول لك إنّني فكّرت لبعض الوقت في الاحتفاظ بالمنزل، بعد وفاة زوجي العام المنصرم. لكنّ مشاعر الحزن والكآبة التي كانت تنتابني بين الفينة والأخرى، حثّني على اتّخاذ قرار بيعه. لم يكن يجدر بي أن أشجّع توم على تنفيذ أعمال الترميم، وإن استمتعنا بها كثيرًا.»

تساءلت مينلي: «هل نشعر كلنا بالذنب عندما نفقد إنسانًا غاليًا على قلبنا؟» جالت بنظرها في القاعة. رأّت آدم جالسًا مع مجموعة من ثلاثة رجال. إبتسمت وهي تنظر إلى مارغريت، تلك الشابة السمراء

من تشاتهم، تنضمّ إلى المجموعة وتخصّ آدم بابتسامة عريضة. هل كانت واحدة من معجباته؟ على كلّ حال، لا يمكن إلقاء اللوم عليها.

قالت لها جان بالي: «لقد اشتريت لحفيدي مجموعة قصص دايفيد التي ألفتها. إنها رائعة. هل تكتبين قصّة في الوقت الحالي؟» «قرّرتُ ان أكتب عن كايب كود في أواخر القرن الخامس عشر.

لقد بدأت بالابحاث.»

«للأسف، فيبي سبراغ كانت الشخص الوحيد القادر على مساعدتك منذ بضع سنوات. لقد كانت مؤرّخة عظيمة، تهتمّ بكتابة مؤلّف عن ريمبر هاوس. لربّما سمح لك زوجها هنري، بالاطلاع على بعض أبحاثها.»

إنتهت الحفلة عند العاشرة والنصف. في طريق العودة، أطلعت مينلي آدم على اقتراح جان بالي. سألته: «برأيك، هل ينزعج السيد سبراغ من طلبت منه الاطلاع على ملاحظات زوجته، أو سؤالها عن مصدر المعلومات الافضل؟»

ردّ عليها آدم: «أنا أعرف الزوجين سبراغ منذ وقت طويل. لقد فكرت في الاتصال بهما. من يعرف؟ لربّما استمتع هنري بمشاركتك لابحاث التي أجرتها فيبي.»

كانت إيمي تشاهد التلفزيون في الردهة عندما وصلا. قالت لهما: «لم تستفق هانا. كنتُ أدخل غرفتها كلّ نصف ساعة للاطمئنان عليها.»

فيما كانت مينلي ترافق الفتاة إلى الباب، قالت إيمي بخجل: «لا تهتمي بما قلته من سخافات حول غرفة هانا. أظنّ أنني تأثرت بالقصة

التي ما انفكت كاري بيل تسردها، عن المهد الذي يهتز لوحده، وعن الفوضى في الغرفة، لكأن أحدهم جلس على السرير».

أحست مينلي بحلقها يجف وقالت: «لا علم لي بهذا كله. على كل حال، إنها سخافات».

«أظن ذلك. ليلة سعيدة، سيدة نيكولز.»

بعد انصراف إيمي، قصدت مينلي غرفة الطفلة. كان آدم قد سبقها إليها. أما هانا فكانت غارقة في نوم هانئ في الوضعية التي تفضلها.

همس آدم: «لا يمكننا بعد اليوم أن نصفها بصاحبة المزاج النكد.»

إندست مينلي في السرير وردت: «يا لها من طفلة مسكينة، نعتناها بكافة النعوت».

ضمها آدم إليه وقال: «ليلة سعيدة حبيبتي. أمل أن تكوني قد استمتعت بالسهرة».

«بالفعل، لقد أمضيت وقتًا ممتعًا». ما لبثت أن أضافت بعد دقائق قليلة: «لا أشعر بالنعاس. هل يُزعجك أن أقرأ قليلاً؟»

«تعرفين أن النور لا يمنعني من النوم.»

عصر وسادته وقال: «عندما تستفيق هانا، ايقظيني. سوف أعتني بها وأعوض لك عن استيقاظك المبكر معها طوال أيام الاسبوع».

«عظيم.» تناولت مينلي نظارات القراءة وبدأت تقرأ كتابًا وجدته في المكتبة، ويروي تاريخ كايب كود القديم. لقد كان ثقيل الوزن، وقد تجعد غلافه الرطب. في الداخل، كانت الصفحات مغبرة ومتقشرة. مع ذلك، بدت قراءته مشوقة.

ما أثار فضولها، كان قصة الصبيان الذين اعتادوا الإبحار وهم بعد في العاشرة من العمر، وقد أصبح بعضهم قبطان سفينته الخاصة، في حين لم يتجاوز العشرينات من عمره. قرّرت أن يكون بطل قصّتها في كتاب دايفيد الجديد، صبيًا من القرن السابع عشر، اتّخذ من الإبحار مهنة له.

وصلت إلى فصل فيه نبذة حياة موجزة عن أبرز الملاحين والبخّارة. من بينهم، الكابتن أندرو فريمان، الذي ولد في العام 1663 في بروستر، ونزل البحر طفلاً، ليصبح، في الثالثة والعشرين من عمره، قبطان سفينته، غود سبيد. عُرف بشجاعته، حتّى أنّ القراصنة اعتادوا تجنّب الاقتراب من سفينته. لكنّ هذه الأخيرة غرقت في العام 1707، على أثر تعرّضها لعاصفة. غرقت السفينة وقضى أفراد طاقمها جميعًا. أمّا حطامها، فلفظه البحر على شاطئ مونوموي الرملي.

قرّرت مينلي التعمّق في بحثها عنه. عندما وضعت الكتاب على الطاولة الصغيرة وأطفأت النور عند الثانية صباحًا، كانت قد رسمت مسار القصة في ذهنها، ما ملأها بهجة عارمة.

بدأت هانا تتلمل في السابعة إلا ربعًا. أيقظت مينلي آدم وأغمضت عينيها من جديد. لم تمض سوى دقائق قليلة حتى عاد إلى الغرفة حاملاً الطفلة التي لم تستفق تمامًا. سألتها: «مينلي، لماذا نقلت هانا إلى المهد البارحة؟»

جلست مينلي في السرير وحدّقت به.

كانت مشوّشة ولم تذكر أنها قصدت غرفة هانا. لكنها لم تجرؤ على مواجهة آدم بهذه الحقيقة، خوفًا من أن ينعتها بالجنون. عوضًا

عن ذلك ثأبت وتمتت: «عندما استيقظت هانا، كانت مضطربة فهزرتها قليلاً».

«هذا ما فكرت فيه».

رفعت هانا رأسها عن كتفه واستدارت. ثأبت، ابتسمت وتمطت.

كانت الغرفة مظلمة، فحُيِّل لمينلي أنها تنظر إلى بوبي، لما في وجه هانا من شبه مع وجهه. في ذلك اليوم المشؤوم، استفاق بوبي من النوم يبتسم ويتأبب ويتمطى هو أيضاً. رفعت مينلي رأسها تنظر إلى آدم. لم تشأ أن يلاحظ الذعر الذي بدأ ينتابها. فركت عينيها وقالت: «لقد استمررتُ في القراءة لساعة متأخرة. ما زلتُ نعسانة».

«نامي قدر ما شئت. قبليها قبلة الصباح وسوف أنزل بها إلى الطابق السفلي. سوف أعتني بها».

أعطاها الطفلة. قالت له مينلي: «أعرف أنك ستحسن رعايتها». ضمت هانا وهمست لها: «مرحباً يا ملاكي الصغير». ثم قالت لنفسها: «أبوك سيحسن رعايتك. أما أنا فأعدك: إنَّ اليوم الذي أعجز فيه عن رعايتك، سيكون اليوم الأخير في عمري».

7 أغسطس

24

جلس هنري وفيبي سبراغ إلى طاولة خارج نُزُل واي سايد. إنها المرّة الأولى في ذلك الموسم التي يصطحب فيها هنري زوجته لتناول غداء الأحد خارج المنزل. ارتسمت على شفتيها ابتسامة رضى. لطالما كانت فيبي مراقبة للناس، وفي ذلك اليوم، كان شارع تشاتهم الرئيسي ينبض بالحياة ويغصّ بالمارة وبرواد المطاعم. راحت فيبي تتأمل السيّاح وسكّان المنطقة يسرون في الشارع، يدخلون المتاجر ويخرجون منها أو يرتادون المطاعم المختلفة.

نظر هنري إلى لائحة الطعام التي أعطته إياها النادلة. قرّر أن يطلب طبق البيض الذي يختصّ به المطعم والذي كانت فيبي تُحبّ تناوله.

«صباح الخير. هل أنتما مستعدّان لطلب الطعام، سيدي؟»

رفع هنري عينيه وحدّق بالنادلة الشقراء الجميلة. كانت تينا، الشابة التي رآها في الحانة قبالة صالون التزيين في أوائل يوليو. تلك التي قال سكوت كوفي إنها ممثلة تعمل في مسرح كايب كود.

لم تتعرّف إليه. كيف ستفعل، وهي بالكاد رأتَه ذلك اليوم، قبل

أن تسرع في الخروج من الحانة؟

أجابها: «نعم، سوف نطلب الطعام.»

فيما كانا يتناولان طعامهما، راح هنري يعلّق على المازة. قال لزوجته: «أنظري فيبي إلى أحفاد جيم سنو. أتذكرين ارتيادنا المسرح مع آل سنو؟»

أجابته فيبي: «لا داع لتسألني ما إذا كنت أذكر ذلك. بالطبع أنا أذكر كل شيء.» وأكملت احتساء قهوتها. من ثمّ مالت إلى الأمام وراحت تجول بنظرها على الطاولات. تمتت: «المطعم يغصّ بالرواد. لا أريد البقاء فيه.»

تنهّد هنري. لقد أمل أن يكون نشاطها الظاهر مؤشراً إلى تحسّن ما. بالنسبة إلى بعض الاشخاص، كان التاكرين دواء مفيداً يوقف مؤقتاً تدهور حالة مرضى الألزهايمر. لقد وصفه الطبيب لفبيبي، وحُيّل لهنري أنها تمرّ في بعض الاحيان بلحظات من الصفاء والوضوح. هل كان يتعلّق بقشّة؟

أتت النادلة بالفاتورة. وضع هنري المال على الطاولة ونظر إليها. لقد بدا على وجهها القلق واختفت الإبتسامة. فكّر هنري في أنها قد عرفتة وهي حتماً تتساءل ما إذا كان سيكتشف علاقتها بسكوت كوفي. قام من مكانه، سحب كرسيّ زوجته إلى الوراء وقال لها: «هل أنت مستعدة للإنصراف عزيزتي؟»

قامت فيبي عن كرسيها، نظرت إلى النادلة وسألته: «كيف حالك تينا؟»

25

كان نات كوغان وزوجته ديبى يملكان مركبًا بمحرك صغير. إشترياه مستعملًا عندما كان ولدهما صغيرين. مع ذلك، كان في حالة ممتازة، نظرًا لاهتمام نات بصيانتته المنتظمة. لَمَّا كان الصبيان يمضيان بعد الظهر مع أصدقائهما ويشاهدان مباراة ريد سوكس، اقترح نات على ديبى أن يخرجوا في نزهة في الهواء الطلق على ظهر المركب. رفعت ديبى حاجبها فعَلَّق نات: «لا تُحبِّين النزهات في الهواء الطلق».

أما هي فأجابت: «لا أطيع الجلوس في الغابات فيما الحشرات تزحف من حولي.» أضافت: «خلتُك ستخرج لصيد الكركند ومن ثم تعود لتشاهد المباراة. أرى أنك منهمك في مسألة ما، وأنا لا أفهم ما يجري. حسنًا، سأحضّر بعض السندويشات.»

نظر نات إلى زوجته نظرة محبة وحنان. سوف يساعدها. قال لها: «لا، أنت ارتاحي بضع دقائق. سوف أهتمّ بالتحضيرات.» قصد المتجر حيث اشترى السلمون والبطائر والبسكويت الناشف والعنب.

من ناحيتها، علّقت ديبى وهي تضع الطعام في سلّة كبيرة: «يا له من طعام فاخر! لكن، أين النقانق؟ هل نفذت من المتجر؟» «لا. أنا اخترتُ هذه الأصناف دون سواها.» أخرج من الثلجة زجاجة النبيذ. قرأت ديبى الملصق على الزجاجاة وقالت له: «هل يُعقل أن تشتري هذا النوع الغالي الثمن؟»

«أعرف أنه كذلك. هيّا بنا. سوف يتغيّر الطقس بعد ساعات

رسا مركبهما على بعد ميل ونصف الميل من جزيرة مونوموي. لم يُخبر نات زوجته بأنّ فيفيان كوفي قد أمضت ساعاتها الأخيرة في تلك البقعة بالذات. فقد يُزعجها ذلك.

قالت ديبى: «فكرتك مسليّة. لكن، لم قرّرت التخلّي عن الكراسي على ظهر المركب؟»

«فكرت في التغيير.» مدّ على الأرض منشفة قديمة ووضع عليها الطعام. كان قد أحضر بعض الأرائك ليجلسا عليها. ثم سكب النبيذ في كأسيهما.

أما ديبى فاعترضت: «لا تسكب لي الكثير، لا أريد أن أثمل.»
سألها نات: «ولمّ لا؟ يمكننا الإستسلام لقيلولة قصيرة هنا بعد الغداء.»

كانت أشعة الشمس دافئة والمركب يهزهز برفق. احتسبا النبيذ، أكلا الجبنة والفتائر والقليل من العنب. بعد ساعة، نظرت ديبى إلى الزجاجة الفارغة وقد غلبها النعاس والكسل. قالت: «لا أصدّق أننا شربناها كلّها.»

جمع نات بقايا الطعام ووضعها في السلة. سألها، وهو يرتّب الأرائك على المنشفة: «أترغبين في قيلولة قصيرة؟»

«فكرة رائعة.» جلست ديبى على المنشفة وشرعان ما أغمضت عينيها.

أما نات فتمدّد إلى جانبها وراح يراجع بعضاً ممّا علمه في الأيام القليلة الماضية. فيوم الجمعة، وبعد أن أعاد النظر في صور التشريح، قصد سكوت كوفي في منزله. واجهه بالصور فكان التفسير أنّ زوجته قد نقلت، على الأرجح خاتم الزمرد إلى يدها الأخرى. لكنّ نات اعتبر

التفسير سطحياً ومُعدًا مُسبقًا.

نظر إلى زجاجة النبيذ الخالية تحت أشعة الشمس. بحسب تقرير التشريح، لقد شربت فيفيان كاربنتر عددًا كبيرًا من كؤوس النبيذ قبيل وفاتها. لكن، عندما سأل والديها عن عاداتها في ما خصَّ شُرب الكحول، أكّدا له أنها لم تكن تشربها في النهار. يكفي أن تشرب كأسًا واحدًا من النبيذ ليغلبها النعاس، خصوصًا إذا كانت جالسة تحت أشعة الشمس، تمامًا كما حصل مع ديبى.

هل يُعقل أن تُصر بعد أن شربت كأسًا من النبيذ وشعرت بنعاس لا يُقاوم، هي التي ما زالت مبتدئة في الغطس، أن تنضمَّ إلى زوجها في جولة قصيرة من السباحة تحت المياه؟
برأي نات، لم تكن لتفعل.

عند الثالثة، شعر نات بتغيّر خفيف في حركة المركب. كانت التوقعات قد أشارت إلى احتمال هطول أمطار غزيرة قرابة الثالثة والنصف.

وقف نات. كانا يقتربان من الميناء وراح يتأمل السفن تتّجه لترسو هناك.

تذكر مزاعم سكوت الذي أكّد أنّ العاصفة ضربت، بعد نزولهما البحر بعشرين دقيقة. ما يعني أنّه، قد رأى المراكب الصغيرة وهي تتّجه إلى الشاطئ، بعد ان استفاق من القيلولة. لا بدّ أنه استشعر قوّة التيار المتنامية.

في تلك الظروف، لا يتوانى أي شخص عاقل عن تشغيل الراديو والتحقّق من تقرير الأحوال الجوية.

سوّت ديبى جلستها وسألته: «ماذا تفعل؟»

«أفكر.» نظر إليها فيما كانت تتمطى. «هل تريد أن تسبحي قليلاً حبيبتي؟»
 عادت ديبى للتمدد وأغمضت عينيها. «إنس الأمر. أنا نعسانة.»

26

أمضى سكوت كوفي يوم الأحد في المنزل. فقد ارتاح لقرار آدم نيكولز التوكل عنه؛ مع ذلك، بقي يُفكر منزعجاً ببعض التحذيرات التي وجهها إليه آدم: «عندما تلقى زوجة ثرية حتفها في حادثة بعيد زواجها برجل لا يعرفه محيطها حق المعرفة، ولا يشهد على وفاتها سوى ذلك الزوج، يُفتح المجال للشائعات. لقد تعاونت مع الشرطة، وحسنًا فعلت. الآن كفّ عن التعاون. لا تردّ على أي سؤال بعد اليوم.»

نصيحة قرّر سكوت الإلتزام بها، كما والإلتزام بالنصيحة الثانية التي أسداها إياها نيكولز. «لا تُغيّر نمط عيشك. لا تبدأ بتبذير المال.» لم يكن في نيّة سكوت أن يفعل ذلك أصلاً.

أخيراً قال له آدم: «الاهمّ من هذا كلّه، تجنّب أن يراك أحدهم مع امرأة أخرى فيما الشرطة تشتبه بك.»

تينا. هل يجدر به أن يعترف لآدم بالعلاقة التي ربطته بها، قبل أن يلتقي فيفيان؟ وبأن العلاقة بدأت السنة السابقة فيما كان يعمل في المسرح؟ هل سيتفهم آدم بان سكوت قد قطع علاقته بتينا بعد لقائه فيفيان؟

يمكنه أن يقول إن تينا لم تعرف بعودته إلى كايب كود. بدأت عملها في نُزل واي سايد، حيث رأته يتناول العشاء مع فيفيان،

فعاودت الاتصال به. المرّة الوحيدة التي التقاها، كان هنري سبراغ، لسوء حظه، جالسًا بالقرب منه في الحانة. لم يكن سبراغ غيبًا. فهل يُخبر آدم بأنّ تينا قصدت منزل سكوت مرّة بعد وفاة فيف، لتقديم واجب العزاء؟

رنّ الهاتف عند الرابعة. قام سكوت من مكانه ليردّ. من الأفضل ألا يكون التحريّ. كانت إيلين أتكينز تدعوه لتناول العشاء في منزل خطيبها. قالت له: «سيحضر عدد من أصدقاء جون النافذين الذين يجب أن يشاهدك الكلّ برفقتهم. بالمناسبة، قابلت آدم البارحة، أخبرني بأنه سيمثلك.»

«شكرًا جزيلاً لما تفعلينه من أجلي، إيلين. ويُسعدني أن أكون معكم.»

فيما كان يقود سيارته متوجّهًا إلى منزل جون، انتبه لسيارة نات كوغان أمام منزل آل سبراغ.

27

كان نات كوغان قد فاجأ الزوجين سبراغ بزيارته، بدون أن يتّصل بهما مسبقًا. وقد فعل ذلك عمدًا، عن سابق تصوّر. فهو كان واثقًا من أنّ هنري سبراغ قد أخفى عنه معلومة خاصّة بسكوت كوفي وأمل أن يساعده عنصر المفاجأة على انتزاع إجابة سبراغ على السؤال الذي كان ينوي طرحه عليه.

لكنّ التحيّة الباردة التي استقبله بها سبراغ كانت بمثابة الرسالة التي توقّعها. فالزوجان كانا ليفضلاً اتّصالًا هاتفيًا مسبقًا يبلغهما فيه

بزيارته. لقد كانا ينتظران ضيوفاً.

«لن أبقى طويلاً، دقيقة واحدة.»

«في تلك الحالة، تفضل.»

سبق هنري سبراغ ضيفه بسرعة إلى الشرفة. وما إن وصلا إلى هناك، حتى أدرك نات السبب وراء استعجال هنري. فقد ترك زوجته بمفردها في الخارج؛ أما هي فاستغلت الدقيقة الواحدة من غيابه لتبدأ باجتياز العشب وصولاً إلى منزل كوفي/كاربنتر.

أمسك بها سبراغ بسرعة وأعادها إلى الشرفة. «إجلسي هنا حبيبتي. آدم وزوجته آتيان لزيارتنا.» لم يدع نات للجلوس.

أما هذا الأخير فقرر التحدث بصراحة بدون لفّ ودوران. «سيد سبراغ، أظنّ بأن سكوت كوفي قد تعمّد التخلي عن زوجته فيما كانا يغطسان، وسوف أبذل قصارى جهدي لإثبات ذلك. في لقائنا الأخير، شعرتُ بأنك تخفي عني معلومة هامّة. أعرف أنك من نوع الأشخاص المتكتمين، الذين لا يتدخلون في شؤون الغير، لكنّ القضية التي بين أيدينا تعنيك. تخيل الرعب الذي انتاب فيفيان وهي تغرق. تخيل شعورك إن عرض أحدهم زوجتك قصداً للخطر ومن ثمّ تخلى عنها.»

بعد أن كان هنري سبراغ يحاول بشجاعة الإقلاع عن التدخين، وجد نفسه في تلك اللحظة يمدّ يده إلى جيبه لتحسس الغليون. وعد نفسه بسحبه ما إن ينصرف التحريّ.

قال له: «أنت محقّ. ثمّة معلومة أخفيتها عنك. فقبل ثلاثة أسابيع من وفاة فيفيان، كنت في حانة شيشاير، بالتزامن مع سكوت كوفي.» تردّد قبل أن يُضيف: «دخلت الحانة شابّة اسمها تينا. أنا واثق من أنهما قد اتّفقا على اللقاء هناك. لكنه ادّعى أنه تفاجأ برؤيتها. أما هي فتلقّت

منه التعليمات وانصرفت. كانت المرة الاولى التي أراها فيها. لكنني عدتُ ورأيتها هذا الصباح. إنها تعمل نادلة في نُزل واي سايد.»
قال له نات بهدوء: «شكرًا.»

«ثمة معلومة أخرى. زوجتي تعرف اسمها. لا أدري كيف وأين التقتها، إلا...»

نظر إلى منزل فيفيان كاربنتر وأضاف: «لقد عمدت فيبي، مرات عدة في الآونة الأخيرة، إلى استغلال غيابي عن المنزل، لتقصد منزل كاربنتر. المنزل ليس مُكيّفًا ونوافذه تبقى مفتوحة. لربّما رأّت تينا هناك. إنه التفسير الوحيد الذي توصلت إليه.»

28

قال آدم فيما كانا يقتربان من وسط المدينة: «حسنًا فعلنا بأن طلبنا من إيمي المجيء لحضانة هانا لبضع ساعات. لقد فهمت من هنري أنّ فيبي لا تتحمّل الجلوس لفترة طويلة مع الضيوف. وأظنّ أنّها لن تكون قادرة على مناقشة مذكراتها. مع ذلك، يسرّني أنّ هنري أبدى استعدادًا لفكرة إطلاعنا على المذكرات.»

«أنا أيضًا يسرّني ذلك.» حاولت مينلي أن تبدو متحمّسة، وبذلت جهدًا جبّارًا لهذا الغرض. فمن المفترض أنّهما أمضيا يومًا ممتازًا. فقد قصدا الشاطئ لبعض الوقت، ومن ثمّ انكبّا على قراءة صحف الاحد، فيما استسلمت هانا لقيولة قصيرة. قرابة الثالثة والنصف، هبت العاصفة، فوقفا عند النافذة يتأملان المطر يجلد بقوة صفحة المحيط والأمواج ساخطة غاضبة. لقد كان يومًا مريحًا أمضياه معًا، يتبادلان الأحاديث. كان يومًا من الايام التي اعتادا تمضيتهما معًا.

مع ذلك، فقد لازم مينلي هاجس إصابتها بانزهار عصبي آخر. راحت تتساءل عما يحدث لها. فهي لم تخبر آدم عن نوبة الذعر التي انتابتها عند تقاطع سكة الحديد، مع أنها كانت واثقة من تفهمه. لكن، ماذا لو أخبرته عما حصل لها تلك الليلة التي أمضاها في نيويورك، عندما استيقظت على صوت قطار يهدر لكأته في المنزل! هل كان أي إنسان عاقل ليصدق تلك القصة؟ وماذا لو أخبرته بأنها لا تذكر دخولها غرفة الطفلة البارحة؟ لا، لن تخبره أبداً.

وهل تخبره عن العزلة التي أحسّت بها في حفلة إيلين، وسط مودة زملاء دراسة وأصدقاء طفولة. لديها الكثير من الاصدقاء، لكنها في هذا المكان كانت غريبة. فكّرت في ضرورة إقامة الصداقات هنا، في حال قررا شراء ريمبر هاوس. وقررت أن تدعو أصدقاءها لزيارتها. قال لها آدم: «لقد سكت فجأة.»

«مجرد تأملات.»

كانت حركة السير بعد ظهر ذاك الاحد ناشطة. شقا طريقهما بصعوبة في ماين ستريت. إنعطفا شمالاً عند الدوّار، وسارا مسافة ميل إلى أن بلغا منزل آل سبراغ على أوستر بوند. فيما كان آدم يوقف السيارة أمام المنزل، لمح سيارة تغادر المكان. كان هنري سبراغ واقفاً في الممر. حيّاهما بمودة، لكنّه بدا قلقاً.

همس آدم في أذن مينلي فيما كانا يلحقان بهنري إلى الشرفة: «أمل أن تكون فيبي بخير.»

كان هنري قد أطلع زوجته على زيارتهما. تظاهرت السيدة سبراغ بمعرفتها لآدم وابتسمت لمينلي ابتسامة فاترة.

فكرت مينلي في قسوة مرض الالزهايمر، حيث يفقد المريض كل اتصال بالواقع. لقد حصل لوالدتها، مرارًا، أن اعتنت بأشخاص مصابين بذلك المرض، في المستشفى حيث تعمل. حاولت مينلي أن تتذكّر بعضًا ممّا روته لها والدتها عن محاولاتها مساعدتهم على استعادة الذاكرة.

قالت لفيبي: «عرفت أنّك قمت بأبحاث كثيرة عن تاريخ كايب كود القديم. أنا أنوي كتابة قصة للأطفال عن كايب كود في القرن الخامس عشر.»

هزت السيدة سبراغ رأسها بدون أن تجيب.
أما هنري سبراغ فبدأ يُخبر آدم عن زيارة نات كوغان. قال له: «لقد لمت نفسي على الثرثرة، لكنني لا أرتاح لذلك الشاب سكوت كوفي، فهو يُخفي أمرًا ما. ماذا لو كان تسبّب بغرق تلك الشابة؟»
«برأي إيلين، لا علاقة له بحادثة غرق زوجته، هنري. لقد أرسلت سكوت كوفي لمقابلتي الاسبوع الماضي. وافقت على التوكّل عنه.»

«أنت! خلّتك هنا لتمضية العطلة آدم.»

«من المفترض أنني هنا لتمضية العطلة، لكنّ كوفي محقّ في مخاوفه. فالشرطة تراقبه. هو بحاجة إلى محامٍ يدافع عنه.»
«إذًا، كلامي ليس في محله.»

«لا. في حال وجّهت إليه تهمة التسبّب بمقتلها، يحقّ للدفاع أن يختار الشهود الذين سيستدعيهم. أنوي مقابلة تينا والتحدّث إليها.»
ردّ عليه هنري سبراغ: «لقد أراحتني كلامك.» ثمّ التفت إلى مينلي قائلاً: «لقد قمتُ، هذا الصباح، بجمع ما وجدته من الملفات

الخاصة بفيبي حول تاريخ كايب كود القديم. لطالما أخذت عليها الفوضى في مذكراتها، فكانت تردّ عليّ بأنّها عملت وسط فوضى منظّمة. سوف أحضرها لك.»

دخل المنزل وعاد بعد دقائق قليلة برزمة من الملفات. أما مينلي فوعدهته قائلة: «سوف أنتبه إلى هذه الملفات وأعيدها لك قبل عودتنا إلى نيويورك.» ثمّ نظرت إلى الملفات بحماسة وأضافت: «أنا واثقة من أن الغوص فيها متعة لا تُفوّت.»

أما آدم فقال لهنري: «هنري، نحن نفكر جدّيًا في شراء ريممبر هاوس. هل دخلته منذ أن تمّ ترميمه وتجديده؟»

فجأة، تبدّلت تعابير وجه فيبي سبراغ وبدا عليها الخوف. قالت: «لا أريد الذهاب إلى ريممبر هاوس. لقد أجبروني على الذهاب إلى البحر. هذا ما سيفعلونه بزوجة آدم.»

ردّ هنري عليها بصبر وهدوء: «حبيبتي، أنت مشوّشة الفكر. أنت لم تذهبي إلى ريممبر هاوس.»

بدت متردّدة، قبل أن تضيف: «خُيل إليّ أنني ذهبتُ إلى ذلك المنزل.»

«لا، لم تذهبي إليه. لقد كنت على الشاطئ القريب منه. زوجة آدم هنا.»

«حقًا؟»

«نعم، حبيبتي.»

خفض صوته وقال: «منذ بضعة أسابيع، خرجت فيبي من المنزل قرابة الثامنة مساءً. وراح الجميع يبحث عنها. لطالما استمتعنا بالتنزّه على الشاطئ، لذا قررت الذهاب إلى هناك. وجدتها على شاطئ البحر

القريب من منزلكما. وصلتُ في الوقت المناسب، فلو تأخرت عنها دقائق قليلة لكان الأوان قد فات».

أما فيبي سبراغ فقالت بحزن: «لم أستطع أن أرى وجوههم لكنني أعرفهم. لقد أرادوا أذيتي.»

8 أغسطس

29

صباح يوم الاثنين، إتصل آدم بِنُزُل واي سايد، وتأكّد من أنّ نادلة باسم تينا سوف تعمل هناك في ذلك اليوم. ثمّ اتّصل بسكوت كوفي وحدّد موعدًا للقائه في النُزُل.

من جهتها، اتّفقت مينلي مع إيمي على أن تأتي هذه الأخيرة لرعاية هانا، فيما تغوص هي في الملفات التي حصلت عليها من فيبي سبراغ. لقد كانت تتطلّع إلى تلك اللحظة بفارغ الصبر.

قال لها آدم ضاحكًا: «لن تشتاقني إليّ. فنظرتك أشبه بنظرة قرصان يسعى وراء سفينة محمّلة ذهبًا.»

أمّا مينلي فأجابته بحماسة ولهفة: «الإقامة في هذا المنزل تعود بك، بدون أيّ عناء، إلى الأيام الغابرة. هل كنتَ تعرف أنّ باب الردهة الرئيسيّة، إنّما صُمّم عريضًا، ليتمكّن مالكو المنزل من إدخال تابوت عبره؟»

ردّ عليها آدم: «روايات ممتعة. لطالما سردت لي جدّتي القصص والحكايا عن المنزل القديم الذي عاشت فيه. لقد نسيت معظمها.» توقّف عن الكلام هنيهة، وقد بدت عليه علامات الكآبة.

أضاف: «أنا أستعدّ للدفاع عن موكلي الجديد.» كانت مينلي تُطعم هانا وجبة الحبوب. تقدّم منها آدم وطبع قبلة على جبينها وربّت على قدم هانا قائلاً: «أنت مشغولة في تناول الطعام، لن يسعني تقبيلك.» وقف متردداً قبل مواصلة الحديث. فهل يُطلعها عل نيّته المرور بمكتب إيلين؟ لكنّه قرّر ألا يفعل، فهو لم يشأ أن تعرف مينلي سبب الزيارة.

وصل آدم إلى نزل واي سايد قبل سكوت كوفي بخمس عشرة دقيقة. لم يجد صعوبة في التعرف إلى تينا، وفقاً للأوصاف التي زوّده بها هنري سبراغ. دخل المطعم، فرأها تنظّف طاولة صغيرة قريبة من النافذة. طلب من المضيّفة أن تجلسه إليها.

أخذ منها لائحة الطعام. لقد كانت جذّابة، ولكنّها افتقرت إلى الذوق. شعرٌ أسود قاتم، عينان بُنيّتان تضجّان حياةً، بشرة بيضاء زهرية، أسنان مثاليّة كشفت عن ابتسامة مشرقة. كانت ترتدي بزّة ضيّقة أبرزت تضاريس جسمها بوضوح. شابّة في أواخر العشرينات، لا يخفى على الناظر إليها أنها محنّكة في أمور الرجال.

رحّبت به بحرارة وراحت تُتأمّله بإعجاب لم يشبه أيّ خجل. لقد كانت تُغازل بعينيها.

قال لها: «للوّقت الحاضر، أريد القهوة. فأنا أنتظر أحد الاصدقاء.» وصل سكوت كوفي في تمام التاسعة. إنّته آدم إلى تعابير وجهه عندما أدرك أنّ تينا هي من ستخدمهما. جلس إلى الطاولة، أتته بلائحة الطعام، فأخذها بدون أن يبدو عليه ما يفصح معرفته بها. وكذلك بالنسبة إليها، فقد خاطبته كمن تُخاطب غريباً.

«صباح الخير، سيّدي.»

طلبا العصير والقهوة. قال كوفي بنبرة هادئة: «أفتقر إلى الشهية هذه الأيام.»

ما كان من آدم إلا أن حذّره قائلاً: «ستضعف شهيتك أكثر فأكثر، في حال راوغت في التعامل معي.»

بدت على وجه كوفي علامات الدهول. فسأله: «ماذا تقصد بكلامك هذا؟»

كانت تينا تنظف طاولة مجاورة. أوماً آدم صوبها وقال: «أقصد أن الشرطة على علم بلقائك تلك الشابة في حانة شيشاير قبل وفاة زوجتك، وبأنها قد زارتك على الأرجح في منزلك.»

«إنه هنري سبراغ.» بدت على وجه كوفي علامات الإشمئزاز. «يعرف هنري سبراغ أنك لم تلتقيها صدفة في الحانة. لكنك ولسوء الحظ، زعمت له أنها تعمل ضمن فرقة التمثيل في مسرح كايب كود. لم يُصدّق الرواية، فأطلع التحري على الموضوع. لكن، كيف تعرّفت السيدة سبراغ إلى تينا؟»

«إنها لا تعرفها.»

«لقد عرفت فيبي تينا بالإسم. كم مرّة تردّدت هذه الأخيرة إلى منزلك؟»

«مرّة واحدة. لقد قصدتني على أثر وفاة فيفيان. السيدة سبراغ مُشوّشة الفكر، غريبة التصرف، تنظر عبر النوافذ أو تدخل المنازل فجأة، بدون استئذان. وهي تفعل ذلك، منذ أن تدهور وضعها الصحي. لا بدّ أنّها كانت تتسكّع بالقرب من المنزل، لدى وصول تينا في ذلك اليوم. لا تنس، آدم، أنني استقبلت الكثير من الناس في الاسابيع الماضية.»

«ما كان نوع العلاقة التي ربطتك بتينا قبل وفاة زوجتك؟»

«لا علاقة بيننا، منذ اللحظة التي التقيت فيها فيفيان. قبل معرفتي بفيفيان، ربطتني بها علاقة. لقد كنت أخرج معها السنة الماضية في أثناء عملي في المسرح.»

رفع آدم حاجبه وسأله: «تخرج معها؟»

«كنا على علاقة غرامية.» بدا سكوت كوفي قلقًا. «آدم، لقد كنتُ عازبًا. أنظر إليها. تينا فتاة مرحّة، حلوة المعشر. لقد كنا نعرف أنّ علاقتنا مؤقتة، وأنني سأترك كايب كود مع انتهاء الموسم. قبل لقائنا، كانت تعمل في نُزل دانيال ويبستر. لكنّها تدبّرت عملاً هنا، حيث التقيناها، فيفيان وأنا. اتّصلت بي مرّة واحدة وطلبت منّي لقاءها لتناول المشروب. قصدتني في المنزل لتعزّيني، على أثر وفاة فيفيان. هذا كلّ ما في الأمر.»

كانت تينا تتجّه إليهما حاملة ركوة القهوة.

سألت سكوت: «هل ترغب بفنجان آخر، سيّدي؟»

ردّ عليها سكوت: «تينا، أعرفك بالمحامي وكيلي، آدم نيكولز. سوف يتولّى الدفاع عنيّ. أنت على علم بالشائعات التي تطالني هذه الأيام.»

بدت مرتبكة لا تدري ما تقول.

طمأنها سكوت قائلاً: «لا تقلقي، تينا. السيّد نيكولز يعرف بعلاقتنا القديمة وبأنك قصدتني في المنزل لتقديم واجب العزاء.»

أمّا آدم فسألها: «لماذا طلبتِ مقابلة سكوت في حانة شيشاير،

في اليوم الذي كان فيه هنري سبراغ هناك؟»

نظرت إليه وأجابت: «عندما ترك سكوت كايب كود في نهاية الموسم، السنة الماضية، انقطعت عنيّ أخباره. لكنني شعرت بغضب

كبير، لرؤيته هنا مع زوجته. لقد خلتُ أنه كان يواعدها تزامناً مع خروجه معي. لكنني كنت مخطئة. فهو قد التقاها نهاية الصيف. مع ذلك، أردت أن أسمع تلك الحقيقة منه شخصياً».

قال لها آدم: «أقترح عليك أن تطلعي الشرطة على روايتك هذه، لأن الشرطة ستستدعيك للإستجواب. من فضلك، فنجان قهوة ثانٍ والفاتورة.»

عندما تركت الطاولة، مال آدم إلى سكوت وقال له: «أصغِ إلى ما سأقوله جيداً. لقد وافقت على التوكّل عنك، بالرغم ممّا يطغى على القضية من تفاصيل ليست لصالحك. لذا، قرّرتُ استخدام محقّق في القضية، على نفقتك الخاصة.»

«محقّق! لماذا؟»

«سوف يقوم بالعمل نفسه الذي تقوم به شرطة تشاتهم. علينا أن نكون مستعدّين للمثول أمام هيئة المحلّفين. يجب أن نعاين صور التشريح، بالإضافة إلى بزّة الغطس التي كانت زوجتك ترتديها، وأن نطلع على أحوال التيارات المائية في ذلك اليوم، والبحث عن بحّارة آخرين، ليشهدوا على قوة العاصفة التي هبّت في ذلك اليوم.»

توقّف عن الكلام قليلاً، فيما كانت تينا تضع الفاتورة على الطاولة. إنتظر انصرافها وأضاف: «نحن بحاجة إلى المزيد من الشهود مثل إيلانين، ليخبروا عن زواجكما السعيد. يهمني أن أنبّهك إلى أن المحقّق سيتقصّى خلفيتك، مثلما تفعل الشرطة في الوقت الحاضر. لذا، أنصحك بأن تطلعي على أي نقطة سوداء في سيرتك، لأتمكّن من الدفاع عنك وتبريرها.»

نظر إلى الفاتورة وسحب محفظة جيبه.

حاول سكوت انتزاع الفاتورة منه، قائلاً: «إسمح لي أن أسدّد الحساب».

غير أن آدم ابتسم وردّ عليه: «لا عليك. الفاتورة من ضمن نفقات القضية».

فيما كانا يخرجان من النزل، توقّفت سيارة الشيفروليه الزرقاء التي لمحها آدم وهي تغادر منزل سبراغ. علّق آدم بطريقة جافة، «إنّه زائر يطلب تينا»، فيما كان التحرّي كوغان يترجّل من السيارة ويدخل المطعم.

30

وصلت إيمي في التاسعة والنصف. ألقّت التحيّة على مينلي، وبدلاً من أن تسارع إلى غرفة هانا، وقفت عند طاولة الطعام، وقد تكدّست عليها الكتب والملفات التي كانت مينلي عازمة على مراجعتها.

«سيّدة نيكولز، لقد أقام والدي وإيلين مأدبة عشاء البارحة حضرتها ثلّة من الأصدقاء، ومن بينهم سكوت كوفي. يا لوسامته!»

قالت مينلي في نفسها: «الآن عرفت سبب سرورها هذا الصباح.» وردّت على إيمي: «أوافقك الرأي.»

«يسرّني أنّ السيد نيكولز سيتولّى الدفاع عنه، فهو لطيف والشرطة تضايقه.»

«هذا ما نعرفه عنه.»

«ما يدعو للغرابة هو أنّه وزوجته قد زارا هذا المنزل قبل يوم

أو يومين من وفاتها.»

«الأمر يدعو للغرابة حقاً.»

«وقف يُحدّثني لبعض الوقت. لقد توفيت والدته، وتزوج والده بأخرى. قال لي، إنه لم يحبّ زوجة أبيه في البداية، لكنّه أسف، بعد ذلك، على الوقت الذي أضاعه في إزعاجها. اليوم، تربطهما علاقة ودّ وصادقة.»

«يسرّني أنه أخبرك تجربته، إيمي. ألم تتغيّر نظرتك إلى زواج والدك وأصبحت تتقبّلين فكرة ارتباطه؟»

تنهدت الشابة وأجابت: «أظنّ ذلك. فتجربته عودتني على الفكرة التي أتقبّلها اليوم أكثر من أي وقت مضى.»

قامت مينلي عن الطاولة ووضعت ذراعيها على كتفي الفتاة وقالت لها: «أنا واثقة من أنّ الأمور ستكون على أحسن ما يرام.»

أجابت إيمي: «أظنّ ذلك... كلّ ما في الأمر أنّ... لا، سوف تجري الامور على أحسن ما يرام. لا تهمني سوى سعادة والدي.»
كانت هانا تلعب في ملعبها الصغير النقال وتتفحص خشخيشة ما لبثت أن هزتها بقوة.

نظرت مينلي وإيمي إليها، وقهقهتا ضحكًا.

قالت مينلي: «هانا تحبّ استرعاء الانتباه إليها. لمّ لا تضعينها في العربة وتجلسين معها في الخارج لبعض الوقت؟»

إنظرت مينلي خروجهما لتفتح الملفات التي حصلت عليها عن الزوجين سبراغ وحاولت ترتيبها. كانت ثروة من المعلومات التاريخية. وجدت بينها نسخًا عن رسائل تعود إلى القرن الخامس عشر؛ بالإضافة إلى وثائق وسلالات نسب وخرائط قديمة والمذكرات التي تركتها فيبي ودوّنت مصادرها.

وقعت مينلي على ملفات صنّفت ضمن عشرات الفئات، منها: حالات غرق السفن؛ القرصنة؛ دور الإجتماعات؛ المنازل والبيوت؛

البحّارة. كما حدّر هنري سبراغ، لم تكن الوثائق والملفات مرتّبة. كانت مثنويّة، وبعضها ممزّق، فيما احتوى البعض الآخر على بعض الفقرات التي وضعت عليها إشارة تدلّ إلى أهميّتها.

قرّرت مينلي تصفّح كلّ ملفّ على حدة، بحيث تتكوّن لديها فكرة عن محتواه ويتّضح لها الجوّ العام. كما أنّها كانت تترقّب أيّ ذكرٍ للقبطان أندرو فريمان، على أمل أن تعرف المزيد عن تاريخ ريممبر هاوس.

بدأت بالملفّ المعنون «المنازل والبيوت». وجدت فيه إشارة إلى المنزل الذي شيّده توبياس نايت للقبطان أندرو فريمان. «كان منزلاً كبيراً، يتّسع للأغراض التي كان يعود بها من رحلاته». أما التاريخ فسنه 1703. فكّرت مينلي في أنّها إشارة إلى ريممبر هاوس. في الملفّ نفسه، وقعت أيضاً على نسخة من رسالة كتبها القبطان فريمان إلى توبياس نايت، يملي عليه فيها بعض التوجيهات بخصوص تشييد المنزل. لفتتها جملة تقول: «إنّ زوجتي ميهيتابيل هزيلة القوى. أحكم شدّ وتثبيت ألواح الخشب بحيث لا يتسلّل منها أيّ هواء بارد يُزعجها».

ميهيتابيل. تلك الزوجة الخائنة. «هزيلة القوى... بحيث لا يتسلّل هواء بارد يُزعجها...» لم تُقدم أيّ امرأة على خيانة زوج يهتمّ لأمرها إلى هذا الحدّ؟ دفعت مينلي بالكرسي إلى الوراء، قامت عنه، مشت إلى الردهة الأمامية ونظرت إلى الخارج. لقد أوقفت إيمي عربة الطفلة عند طرف الجُرف وجلست بالقرب منها، تقرأ.

ما هي المدّة التي قضتها ميهيتابيل في هذا المنزل؟ هل كانت مغرمة بالكابتن فريمان؟ هل كانت تقف تنتظر عودته في ممشى الأرملة؟

كانت مينلي قد سألت آدم عن المُسطَّح ذي القضبان الذي توج أسطح معظم المنازل القديمة في كايب كود. قال لها إنه يُعرف بممشى الأرملة، ذلك أن زوجة القبطان كانت تقف فيه، منتظرة عودة زوجها من رحلته البحرية ومرتقبة ظهور سفينته في الأفق. ولما كان العديد من السفن والمراكب لا يعود من رحلته في تلك الفترة، فقد سُمي المُسطَّح بممشى الأرملة.

فكرت مينلي في منظر المحيط الخلاب، يستمتع به الناظر من ممشى الأرملة في ريممير هاوس. راحت تتخيل سيّدة رفيعة هزيلة البنية تقف فيه، وقررت أن يكون رسمها من ضمن الرسوم التي سيتضمّنها الكتاب.

إبتسمت ونظرت إلى عربة الطفلة حيث نامت هذه الأخيرة عستمتعة بأشعة الشمس. أحست بالهدوء والسلام. فكرت في أن حالتها سوف تتحسن، بفضل انهماكها في العمل.

عادت إلى المطبخ وبدأت تراجع المزيد من الملفات وتُصنّفها بحسب تسلسلها الزمني، أو ضمن فئات الملابس أو الاحوال الجوية. كانت الثانية عشرة والربع عندما نظرت إلى الساعة. فكرت في ضرورة تحضير الغداء وخرجت تبحث عن إيمي وهانا.

سرعان ما استسلمت هانا للنوم. علقت مينلي مبتسمة «إيمي، غريب الجو هنا، فهو أشبه بالمنوم. فطفلي لم يغمض لها جفن في الأسابيع الستة الأولى من حياتها!» ردّت عليها إيمي: «ما إن بدأت أجرّ العربة حتى غفت. يجدر بي تخفيض تعرفه الحضانة.»

«لن أحسم منها قرشاً. فوجودك هنا ساعدني على تصفح

الملفات، وقد استمتعت بها وبمضمونها الغني.»

نظرت إيمي إليها نظرة فضول وقالت: «خَيْلَ إِلَيَّ أَنِّي رأيتك واقفة هناك». وأشارت إلى ممشى الأرملة.

«إيمي، أنا لم أترك مكاني إلا لبضع دقائق نظرت فيها إلى الخارج من النافذة السفلية.»

لم تبدُ إيمي مقتنعة بكلام مينلي، لكنّها هزّت رأسها وقالت: «لربّما توهمت وجودك هناك، بسبب أشعة الشمس التي منعتني من التركيز.»

فيما كانت إيمي تُطعم هانا، صعدت مينلي إلى الطابق العلوي، حيث وجدت سلّمًا قابلاً للطيّ في إحدى الحجرات الصغيرة، يؤدّي إلى ممشى الأرملة. فتحت باب الحجرّة وشعرت بلفحة هواء بارد. تساءلت عن مصدرها. أنزلت السلّم، ارتقت الدرجات ومن ثمّ فتحت الباب الأفقي وخرجت منه. ضربت الارضية بقدمها ضربًا خفيفًا. كانت آمنة، لا خوف من انهيارها. مشت بضع خطوات ووضعت يدها على الدرايزون الذي كاد يلامس خصرها. هو أيضًا كان آمنًا.

تساءلت «ما الذي رأيته إيمي، يا ثرى، عندما خَيْلَ إليها أنّها كانت واقفة في هذا المكان؟» كان الممشى بطول أربعة أقدام، ويقع بين موقدين ضخمين. اجتازته ونظرت إلى حيث كانت إيمي تجلس، على بعد مئة قدم تقريبًا. من ثمّ، استدارت لتقيس المسافة وراءها.

هل كانت السلسلة المعدنية في زاوية الموقد الأيسر هي ما توقّف عنده نظر إيمي؟ لقد انعكست أشعة الشمس على المعدن، وخلفت ظللاً متحرّكة.

راحت مينلي تفكّر وهي تنزل السلّم في الالتباس الذي وقعت فيه إيمي. فهل يُعقل أن تختلط عليها الامور إلى هذا الحدّ؟ بلغت الحجرّة الصغيرة وارتعشت من شدّة البرد فيها. لكنّها ما لبثت أن

جمدت في مكانها، عند أسفل الدرجات، فيما راودتها خاطرة مفاجئة. هل يُعقل أن تكون إيمي محقّة؟ عندما تصوّرت ميهيتابيل واقفة في ممشى الأرملة تنتظر رجوع زوجها من البحر، هل أنت الصورة مفعمة بالحياة لأنني كنت قد قصدت هذا المكان بنفسني؟ شعرت باليأس وهي تفكّر في ما آلت إليه من تشوّشٍ في الأفكار.

31

ترك آدم سيارته أمام نُزل واي سايد، واجتاز المبنين اللذين يفصلانه عن مكتب إيلين أتكينز العقاري. عبر النافذة، رآها تجلس إلى طاولة العمل. كان محظوظًا، فهي بمفردها.

كانت واجهة المكتب مليئة بصور العقارات والمنازل المتوفّرة للبيع أو للإيجار. فيما استدار نحو الباب، استرعت انتباهه صورة ريمبر هاوس المأخوذة من الجوّ، فوقف يتفحصها. يا لها من صورة موفّقة. فقد أبرزت المنظر الذي يُطلّ عليه المنزل: المحيط، الشاطئ الرملي، الجرف ومركب الصيد؛ كلّها مُبيّنة بوضوح. قرأ البطاقة المرفقة بالصورة: للبيع: ريمبر هاوس. لا، لن يسمح لإيلين ببيعه.

فتح الباب، رفعت إيلين عينيها ورأته. قامت عن كرسيها وسارعت إلى ردهة الاستقبال. طبعت على وجنته قبلة خفيفة، وقالت: «آدم، يا للمفاجأة».

أمّا هو فلحق بها إلى المكتب حيث جلس على مقعد مريح. بادرها قائلاً: «ماذا تظنين نفسك فاعلة، صديقتي؟ هل تحاولين بيع المنزل من دون إعلامي بالأمر؟»

رفعت إيلين حاجبها وردّت عليه: «لم أكن على علم بأنك تنوي شراءه».

«الإحتمال وارد. وأنا لم أفاتحك بعدُ بالموضوع. مينلي تحبّ المنزل، لكنني لا أودّ استعجال المسألة. لدينا مهلة لغاية سبتمبر، أليس كذلك؟»

«بالفعل، وكنثُ واثقة من أنك تدرس إمكانية شرائه.»

«إذًا، ما الداعي للصورة التي علقتها على الواجهة؟»

ضحكت إيلين وقالت: «إنها لدواعي العمل. فهي تجذب الزبائن الذين يدخلون المكتب للسؤال عن المنزل، فأوجههم إلى عقار آخر.»

«لطالما كنتِ فتاة ذكيّة.»

«لم يكن لديّ خيار آخر. فأمي المسكينة لم تكن تصمد في أي وظيفة.»

لدى سماعه كلامها، أحسّ آدم بالتعاطف معها، فعلق قائلاً: «لم تكن حياتك سهلة، لاين. لا أحبّ إتحافك بالإطراء، لكنّ الحقيقة أنك أحسنت التصرف في سنوات حياتك الأولى.»

«يا للطفك، آدم.»

«إنّها الحقيقة. لا أذكر إن كنتُ شكرتك لتعاطفك معي الصيف الفائت، عندما قصدتُ كايب كود بمفردي.»

«في تلك الفترة، كنتُ تتألّم من خسارة بوب وانفصالك عن مينلي. لقد رثيت لحالك، وكنثُ سعيدة بالوقوف إلى جانبك.»

قال لها آدم: «الآن أنا بحاجة إلى مساعدتك.»

عاجلته إيلين بالسؤال: «هل من خطب؟»

«لا، كلّ ما في الأمر هو أنّني مضطر للسفر إلى نيويورك بين الفينة والاخرى. لست مرتاحًا لبقاء مينلي هنا بمفردها. أظنّ أنّها تُصاب من وقت لآخر بنوبات ما بعد الصدمة، وتودّ أن تتغلّب عليها بدون مساعدة أحد.»

«ما رأيك ببقاء إيمي معها؟»

«مينلي لا ترغب بذلك. ما أقترحه، في خلال غيابي عن المنزل، أن تُلازم إيمي هانا، في بعض الامسيات، حيث تدعوان، جون وأنت، مينلي للعشاء. فعندما أكون متواجدًا في المنزل، أفضل أن نمضي الوقت معًا. فنحن ما زلنا... لا عليك.»

«آدم، ما الأمر؟»

«لا شيء.»

كانت إيلين تُدرك أنّها عبثًا تحثّ آدم على إكمال حديثه. عوضًا عن ذلك، قالت له: «أعلمني برحلتك المقبلة إلى نيويورك.»

«بعد ظهر الغد.»

«سوف أتصل هذا المساء لدعوتكما إلى العشاء في الغد، ومن ثمّ أصرّ على مجيء مينلي.»

إبتسم آدم وردّ: «وأنا أيضًا سأصرّ على تلبيتها الدعوة. لقد أثلجتِ صدري. نسيت أن أخبرك أنني تناولت الفطور مع سكوت كوفي.»

سألته إيلين، والفضول بادٍ عليها: «وماذا رشح عن اللقاء؟»

«أتحفّظ عن الكلام. إنّها خصوصيات المحامي والزبون.»

قالت: «لطالما انتهى بي الأمر خارج الموضوع»، وتنهّدت. ثمّ ردفت: «الآن تذكّرت. لديّ خبر سعيد. إحجز يوم السبت الذي يلي عيد الشكر. إنه تاريخ زواجنا، جون وأنا.»

«رائع. متى اتفقتما على التاريخ؟»

«البارحة. أقمنا عشاء ودعونا سكوت كوفي. تكلم عن زوجة أبيه مع إيمي التي ما لبثت أن أعلنت لوالدها مباركتها لزواجنا. إتصل بي جون عند منتصف الليل. لقد كان لسكوت دور إيجابي في الموضوع.»

«لا تكفين عن مدح كوفي في حضوري.» قام من مكانه وأضاف:
«رافقينى إلى الباب.»

بلغا ردهة الإستقبال، فوضع آدم ذراعه على كتفي إيلين وسألها: «قولي لي، هل سيغضب جون إن أتيتك بمشاكلي بعد أن تكونا قد تزوّجتما؟»

«بالطبع لن يفعل.»

عند الباب، عانقها وطبع قبلة على خدها. ضحكت وعلقت:
«لقد كنت أكثر براعة في التقبيل.» ما هي إلا ثوان قليلة، حتى أدارت له وجهه وضغطت بشفتيها على شفتيه.

رجع آدم إلى الوراء وهزّ رأسه. قال لها: «لاين، ليست سوى ذكريات قديمة.»

32

إنتهت خدمة تقديم الفطور. لم يبقَ في المطعم سوى بعض الرواد الذين جلسوا يحتسون القهوة. كان المدير قد طلب من تينا الجلوس إلى إحدى الطاولات في مؤخر القاعة للتحدّث مع التحري. أما هي فجلبت القهوة لكليهما وأشعلت سيجارة.

قالت لانات بعد النفخة الأولى: «أحاول الإقلاع عن التدخين.
أعود عن قراري بين الحين والآخر.»
سألها لانات: «أتفعلين ذلك عندما تكونين متوترة؟»
ضاحت عينا تينا وردّت عليه: «لست متوترة. ولم قد أكون
كذلك؟»

أجابها لانات: «الجواب لديك. بالنسبة إليّ، قد أقول إنّ السبب
هو خروجك مع رجل متزوج حديثاً توفيت زوجته في حادثة. وفي حال
كانت وفاتها نتيجة جريمة قتل، قد يتساءل الناس عن مدى تورطك
مع الزوج. أنا أفترض هذا، لا أوكدّه.»

أما تينا فقالت له: «إسمعني سيّد كوغان. لقد خرجت مع
سكوت السنة الماضية. ولطالما كرّر لي أنّه سيهجرني ويرحل في نهاية
الصيف. لا شكّ في أنّك سمعت عن مغامرات الصيف الرومنسيّة.»
ردّ عليها آدم: «وسمعت أيضاً عن مغامرات لم تنته بانتهاء
الصيف.»

«لكنّ مغامرتنا انتهت. عدتّ والتقيته هنا مع زوجته وعرفت
ثمّه يخرج معها منذ أغسطس المنصرم، فجئن جنوني. كيف لا، وأنا قد
تخلّيت عن شابّ يعشقني ويريد الإقتران بي، وفضّلت عليه سكوت
كوفي؟»

«ألهدا السبب التقيت سكوت في تلك الحانة الشهر الماضي؟»
«أكرّر ما قلته للسيد نيكولز.»
«السيد نيكولز؟»

«إنه محامي سكوت. أتى إلى هنا مع سكوت هذا الصباح. قلت
ثمّه إنني كنت أنا من بادر إلى الاتصال بسكوت الذي رفض رؤيتي،

لكنني أصريت على مقابله. وعندما وصلت إلى الحانة، رأيت رجلًا يتحدث مع سكوت، وأدركت أنّ هذا الأخير لا يريد أن يعرف بعلاقتنا وبأننا قد تواعدنا على اللقاء، فلم أبقَ هناك طويلًا.»

«لكنك عدتِ وقابلته مرة أخرى.»

«لقد اتصلتُ به. طلب مني أن أقول له ما أريد قوله، عبر

الهاتف. فقلت له كل شيء.»

«قلت كل شيء؟»

«نعم، قلتُ له إنني نادمة على معرفتي به، ليته لم يأتِ إلى هذه المنطقة. فلولا دخوله حياتي، لكانت تزوجت من فريد ولكنك اليوم في أحسن أحوالي. لقد كان فريد مُغرماً بي وثريراً.»

«لكنك قلت لي، إنك علمت منذ البداية نية سكوت الرحيل

بعد انتهاء الموسم في المسرح.»

نفخت تينا سيجارته وتنهدت قائلة: «سيد كوغان، أصغِ إلى ما سأقوله: عندما يأتيني شابٌ بمواصفات سكوت ويعبر لي عن حبه المجنون، لا يسعني سوى أن أثق بإمكانية إيقاعه للأبد. فثمة الكثير من الفتيات اللواتي يوقعن برجال أقسموا بأنهم لن يتزوجوا في حياتهم.»

«قد تكونين محقة في ما تقولين. أفهم أنك تأخذين على سكوت

خروجه المحتمل مع فيفيان تزامناً مع مواعده إياك.»

«لكنه لم يفعل. فقد التفته، في الاسبوع الأخير قبل مغادرته

كايب كود. ثم عادت فراسلته. قامت بزيارته عندما تدبر وظيفة في

المسرح في بوكا راتون. طارده، وهذا ما يُعزيني.»

«هل سكوت من أخبرك بذلك؟»

«نعم.»

«بعد ذلك أتصلت به لتقديم واجب العزاء بوفاة زوجته. لربّما

أملت أن يرتمي في أحضانك في أوقات اليأس والوحدة.»

«حسنًا، لم يفعل.» قامت تينا عن الكرسي وقالت له: «لم يكن

يلقى العزاء لو فعل. فأنا أخرج مع فريد من جديد، لا داعي لإزعاجي.

تشرفتُ بمعرفتك، سيّد كوغان. لقد انتهت استراحة القهوة.»

في طريقه إلى الخارج، توقّف نات عند مكتب شؤون الموظفين

لتلاّطلاع على الطلب الذي ملأته تينا لوظيفة نادلة. فعرف أنّها من نيو

بيدفورد، وأنّها في كايب كود منذ خمس سنوات، وقبل حصولها على

لوظيفة في واي سايد، عملت في نُزل دانيال ويبستر، في ساندويتش.

من بين المعارف المقربين الذين ذكرتهم، وقع على الإسم

نذي كان يبحث عنه. فريد هيندين، نجارٌ من بارنستايل القريبة

عن ساندويتش. كان واثقًا من أنّ فريد هيندين هو ذاك الثري الذي

تخلّت عنه تينا السنة الماضية، ومن ثمّ عادت إليه. لم يشأ أن يكثر من

لأسئلة حوله، خوفًا من أن تعمد تينا إلى تحذيره من احتمال استجوابه.

أعجبتَه فكرة التحدّث إلى عريس تينا الصبور وإلى زملائها

موظّفين في نُزل دانيال ويبستر.

شابّة وقحة، هذا ما خلّص إليه نات وهو يعيد طلب الوظيفة

خاصّ بتينا. ومعتدّة بنفسها. تظنّ أنّها سخرت منّي. سوف نرى.

33

إستمتعت أن وغراهام كاربنتر باستقبال الضيوف في منزلهما خلال عطلة نهاية الأسبوع. فقد زارتهما كل من ابنتيهما إيميلي وباربارا مع عائلتيهما. خرج الكلّ في نزهة بحريّة، من ثمّ لعب الكبار الغولف، فيما أمضى الاحفاد المراهقون الثلاثة الوقت مع أصدقائهم على شاطئ البحر. ليلة السبت، تناولوا العشاء في النادي. شعرت أن بغياب فيفيان، سيّما وأنّ هذه الأخيرة كانت تزرع الخلافات في كلّ مرّة تجتمع فيها العائلة. فكّرت أن «لم يحبّها أيّ منّا الحبّ الذي أرادته». خاطرة لم تفارقها يومًا، كما أنّها كانت مهووسة بمصير خاتم الزمرد. فهو كان أعزّ شيء على قلب فيفيان. فهل انتزعه من إصبعها الشخص الوحيد الذي أحبّته وبادلها شعورها؟ سؤال لم يفارق ذهن أن كاربنتر طوال عطلة نهاية الأسبوع.

صباح الإثنين، وفيما كانت تتناول الفطور مع زوجها، أثارت موضوع الخاتم.

«غراهام، لقد أبدت إيميلي وجهة نظر سديدة بشأن الخاتم.»
«ما هي حبيبتي؟»

«أشارت إلى أنّ الخاتم ما زال يستفيد من تغطية بوليفة التأمين. برأيها، يجدر بنا أن نبّلع عن اختفائه. في هذه الحالة، ألا نحصل على تعويض؟»

«الأمر وارد. لكنّ المال سيعود لزوج فيفيان كونه الوريث الوحيد.»

«أعرف ذلك. لكنّ الخاتم قدّر بقيمة 250 ألف دولار. برأيك، في

حال أبلغنا شركة التأمين بأننا سألنا سكوت عن اختفائه، أُن تعمد إلى تعيين محقق في القضية؟»

«التحري كوغان يهتم بالتحقيق. تعرفين ذلك، أن.»

«ما الضرر في أن تشاركه شركة التأمين التحقيق؟»

«لست من رأيك.»

هزت أن برأسها، فيما تقدّمت مدبرة المنزل منهما حاملة ركوة القهوة.

«أرغب في المزيد من القهوة، سيّدة ديلون، شكرًا.»

ارتشفت القهوة صامتة لدقائق قليلة، ثم قالت: «ذكرتني إيميلي

بأن فيفيان كانت قد شكت من ضيق الخاتم عندما سحبته من اصبعها

لتنظيفه. هل تذكر؟ لقد كسرت ذلك الاصبع عندما كانت طفلة وتم

توسيع المفصل. إلا أن الخاتم كان مرتاحًا في مكانه. أمّا أن تكون قد

نقلته إلى اليد الأخرى، بحسب ما زعم سكوت، فأمر غير منطقي.»

إغرورقت عيناها بالدموع وهي تقول: «ما زلت أذكر الروايات

نتي قصتها لي جدتي عن حجر الزمرد. منها ما يقول إنّ خسارة ذلك

حجر تجلب الحظ السيء. ومنها ما يقول إنّ حجر الزمرد سرعان ما

يعود إلى صاحبه.»

34

عضت جان بالي يوم أحد هادئًا. بالنسبة إليها كان الأحد من أصعب

أيام الأسبوع. فيه تسترجع ذكريات عديدة عن أحدٍ ممتعة أمضتها

مع زوجها توم، يقرأ أن الصحف، يتسلّيان بالكلمات المتقاطعة

ويتنزهان على الشاطئ.

كانت تسكن في بروستر، في المنزل نفسه الذي اشترياه منذ ثلاثين سنة. كانا قد خططا لبيعه ما إن تُنجز أعمال الترميم والتجديد في ريممير هاوس. وها هي اليوم سعيدة لأنهما لم يكونا قد انتقلا بعد إليه عندما فقدت توم.

مع حلول يوم الإثنين، أحسّت جان بالإرتياح واستأنفت أنشطة الأسبوع. فقد تطوّعت مؤخراً للعمل في مكتبة بروستر للسيدات بعد ظهر الإثنين. إستمتعت بتلك الهواية المفيدة وبرفقة السيدات الأخريات.

في ذلك اليوم، فيما كانت تقود سيّارتها إلى المكتبة، فكّرت في مينلي نيكولز. لقد أحبّت تلك الشابة ما إن تعرّفت بها، سيّما وأنها كانت مُعجبة بالكتب التي ألّفها. سرّها أن تكون كايب كود مسرح أحداث الكتاب التالي من مجموعة كتب دايفيد. ليلة السبت، وفي معرض حديثهما، مينلي وهي، عن ريممير هاوس، أشارت مينلي إلى إمكانية أن تستعمل الكابتن أندرو فريمان نموذجًا لقصة صبي صغير يكبر ويختار الإبحار.

تساءلت جان إن كانت مينلي قد عملت بنصيحتها في أن تطلب من هنري سبراغ الملفات والأبحاث التي جمعتها زوجته فيبي. ما لبثت أن مرّت ببالها خاطرة أخرى، فيما كانت تسلك الطريق العام. في بداية القرن الثامن عشر، درج قبطان السفينة على اصطحاب زوجته، لا بل أولاده، في الرحلات الطويلة. ومن بين الزوجات، مَنْ كتب يوميات عن تلك الرحلات، حُفظت في مجموعات في مكتبة بروستر للسيدات. لم يتسنّ لها قراءتها، لكنّها ارتأت تصفّحها في ذلك اليوم، علّها تقع بينها على يوميات كتبتها زوجة الكابتن فريمان.

كان يومًا رائعًا. في موقف السيارات، وجدت سيارة واحدة تخصّ أُلانا مارتين، المتطوّعة الأخرى ليوم الاثنين. قالت جان في نفسها: «سيتسنى لي ما يكفي من الوقت لتصفّح اليوميات.»

بعد ساعة من وصولها، تمتت لزميلتها، فيما جلست إلى واحدة من الطاولات الطويلة، حيث تكدّست عشرات اليوميات المكتوبة بخطّ اليد: «جابت أولئك السيدات العالم. فقد كتبت إحداهنّ أنّها امضت سنتين على ظهر المركب. فقصدت الصين والهند، وأنجبت طفلًا في خلال عاصفة ضربت المحيط الأطلسي وعادت إلى منزلها هادئة مطمئنّة بالرغم من الصعوبات التي واجهتها في البحر.»

كانت اليوميات مسلّية مشوّقة، لكنّ جان لم تجد فيها إي إشارة إلى زوجة الكابتن أندرو فريمان. في النهاية استسلمت وتوقّفت عن القراءة.

«أظنّ أنّ زوجة الكابتن فريمان لم تكتب شيئًا، أو أنّها، إن فعلت، فهي لم تترك أثرًا ليومياتها.»

كانت أُلانا ترتّب بعض الكتب على الرفوف. توقّفت، خلعت نظاراتها، ما اعتادت أن تفعله كلّما حاولت أن تتذكّر أمرًا ما.

قالت: «الكابتن فريمان. أذكر أنّي وجدت مذكّرات عنه بقلم غيبي سبراغ. يُخيّل إليّ أننا نحتفظ برسم عنه في مكان ما هنا. لقد ترعرع في بروستر.»

أما جان فردّت عليها: «لم أكن أعرف ذلك. خلته من تشاتهم.»

وضعت أُلانا نظاراتها من جديد، وقالت: «سوف ألقى نظرة.»

بعد بضع دقائق، كانت جان تتصفّح حوليات عن بروستر وبعض مذكّرات الوجيزة. فعرفت أنّ والده أندرو كانت إليزابيث نيكرسون، بنتة ويليام نيكرسون من يارموث، وقد تزوّجت في العام 1653 من

سامويل فريمان، الذي كان مزارعًا. يوم زفافها، حصلت من والدها على هدية عبارة عن أراضٍ شاسعة في مونوموي، المعروفة اليوم بتشاتهم.

هل تمّ تشييد ريممبر هاوس على تلك الأراضي، يا تُرى؟
رُزق سامويل وإليزابيث ثلاثة أبناء، كاليب وسامويل وأندرو،
لم يعش منهم سوى الأخير. في سنّ العاشرة، نزل أندرو إلى البحر على
ظهر مركبٍ شراعيّ بإمرة الكابتن ناثنيل بايكر.

في العام 1702، وفي سنّ الثامنة والثلاثين، تزوّج أندرو من
ميهيتابيل وينسلو، إبنة الكاهن جوناثان وينسلو من بوسطن، وقد
كانت في السادسة عشرة من عمرها. في تلك الفترة، كان أندرو قبطان
سفينته الشخصية، غود سبيد.

غمرت جان حماسة عارمة؛ فهي كانت تتوق لإطلاع مينلي
نيكولز على المعلومات التي جمعتها. لا شكّ في أنّ مينلي، قد سبق
لها قراءة ملفّات فيبي والاطلاع على المعلومات تلك.

«هل توذّين إلقاء نظرة على رسم للكابتن أندرو فريمان؟»

رفعت جان عينيها. طالعتها ألانا بابتسامة عريضة وقالت لها:
«كنت واثقة من وجود رسم له. لا بدّ أنّ واحدًا من بحارته قد رسمه.
ألا يبدو لك مثيرًا للإعجاب؟»

كان الرسم يُصوّر الكابتن أندرو فريمان وراء دفة مركبه غود
سبيد. لقد كان رجلًا ضخم البنية، طويل القامة، ذا لحية سوداء
قصيرة وملامح قويّة: فمّ مكتنز وعينان متقلّصتان، لكأنّه كان ينظر إلى
الشمس. بانّت على مظهره علامات الثقة بالنفس وسِمات القيادة.

علّقت ألانا على الرسم قائلة: «لقد عُرف بشجاعته؛ وهي لا
تخفى على الناظر إلى الرسم، أليس كذلك؟ أوّكد لك صديقتي، ترعبني

فكرة أن أكون الزوجة التي تخونه، ومن ثم يفضح أمرها.»
 أما جان فسألتها: «هل تمنعين أن أحتفظ بنسخة عن الرسم؟
 سوف أكون حذرة.»
 «بالطبع يمكنك ذلك.»

عندما عادت جان بعد ظهر ذلك اليوم إلى المنزل، اتصلت
 بمينلي تُبلغها بأنّها تحتفظ ببعض المستندات التي قد تثير اهتمامها.
 قالت لها: «من بين المستندات واحدٌ مُميّز. سوف أجلب لك كلّ
 شيء في الغد. هل تكونين في المنزل قرابة الرابعة؟»

ردّت عليها مينلي: «الوقت مناسب لي. لقد نفّذت اليوم
 بعض الرسوم للكتاب، واستفدت من ملقات السيدة سبراغ. شكرًا
 لأنك نصحتني بالاستعانة بها.» تردّدت قليلاً وسألتها: «برأيك، هل من
 احتمال أن نجد رسمًا لميهيتابيل بين الملفات؟»

ردّت جان: «لا أعرف. لكنني لن أوقف البحث.»
 عندما أقفلت جان الخطّ، إستغرقت في التفكير. صحيح أن
 مينلي بدت مسرورة بالاحبار التي نقلتها لها، لكنّ جان تحسّست في
 صوتها ما أزعجها وكدرها. ما كان ذلك يا ترى؟ تساؤل لم يفارق ذهنها
 في تلك الليلة.

لقد أصيب توم بالنوبة القلبية في ريمبر هاوس. كان قد دخل
 المنزل لتوّه وهو يشكو من ألم في صدره. مدّته جان ومن ثمّ سارعت
 إلى الاتصال بالطبيب. عندما عادت إليه، أمسك بيدها وأشار إلى
 الموقد: «جان، لقد رأيتُ للتوّ...»

ما الذي رآه توم، يا ترى؟
 لسوء الحظّ، لم يسعه إكمال جملته؛ فالموت كان أسرع منه.

35

أوصلت مينلي إيمي إلى المنزل عند الثانية بعد الظهر، بعد أن استسلمت هانا لقيلولة بعد الظهر.

لقد تنبّهت مرارًا للفتاة تتفحصها، ما أثار حفيظتها، سيّما وأنها لمحت في عينيها ما اعتادت أن تراه في نظرة آدم. لذا، أحسّت بالارتياح عندما انطلقت إيمي بسيّارتها خارج المنزل.

لن يصل آدم إلى المنزل قبل ساعة أو ما شابه. فبعد لقائه سكوت، كان على موعد للعب الغولف، مع ثلاثة من اصدقائه التقاهم في الحفلة التي أقامتها إيلين. لقد كان آدم مولعًا برياضة الغولف، فكانت مينلي سعيدة لأنه سيلقي اصدقاءه ويمضيان بعض الوقت معًا.

لقد كانت مُشوّشة الفكر، لا تدري إن سمعت هدير القطار في الحقيقة، أو إن كانت هي من وضع هانا في المهد. لم تدّر إن وقفت في ممشى الأرملة حيث حُيّل لإيمي رؤيتها. مع ذلك، لا تعجبها فكرة أن يستخدم آدم رفيقة دائمة لها، تلازمها ليل نهار. طردت من رأسها تلك الذكريات المؤلمة التي كانت تعود بها إلى الشهر الاول من عمر هانا، عندما كانت تُصاب بنوبات القلق، ما اضطر آدم لاستخدام ممرضة تلازمها. كانت لا تزال حتى تلك اللحظة تسمع ذلك الصوت المزعج يدعوها إلى الابتعاد عن الطفلة: «سيّدة نيكولز، لم لا تأخذين قسطًا من الراحة؟ سوف أعتني بهانا».

لن تسمح بأن يتكرّر ذلك السيناريو، وبأن تعيش الجحيم نفسه. ذهبت إلى المغسلة ورشقت وجهها بالماء البارد. قالت في نفسها: «يجب أن أتغلّب على تلك الذكريات.»

جلست مينلي إلى طاولة الطعام واستأنفت تصفح ملفات فيبي سبراغ. لفتها الملفّ المُعنون «حالات غرق السفن». فقد وُجد تحت ريممبر هاوس بالذات، الكثير من حطام السفن والزوارق والمراكب، في خلال القرنين السابع والثامن عشر. في تلك الأيام كانت ضفة مونوموي تُعرف بمقبرة المحيط الاطلسي.

وقعت في الملفات على إشارة إلى سفينة «غود سبيد» التي تغلّبت، وسط عاصفة هوجاء، على هجوم للقراصنة، وخلصها من قبضتهم الكابتن المقدام أندرو فريمان.

فكرت مينلي في شجاعة فريمان وإقدامه. وبدأت تكوّن في ذهنها صورة عنه. وجه نحيف وبشرة مجعّدة، وقد قسّتها الشمس والهواء. لحية مخلوقة. ملامح قويّة وغير منتظمة، وعينان خارقتان. تناولت دفتر الرسوم وما لبثت أن حوّلت الصورة الذهنية إلى رسم على ورق.

كانت الساعة الثالثة والربع عندما رفعت عينيها عن الملفات. سوف يصل آدم قريبًا، وهانا لن تتأخّر في الاستيقاظ من القيلولة. لديها ما يكفي من الوقت لإلقاء نظرة على ملفّ آخر. إختارت ذلك المعنون دور الاجتماعات. في الماضي، كان سكان كايب كود يجتمعون في الكنائس.

بدا لمينلي أنّ فيبي سبراغ قد نسخت السجلات القديمة التي اعتبرتها مثيرة للاهتمام. روت صفحاتها قصصًا عن كهنة وواعظين يلقون على المجتمعين العظات عن الإله المُحبّ والشيطان المُضلل؛ أخبرت الصفحات عن كهنة في سنّ الشباب، قبلوا، لشدة خجلهم، راتب خمسين باوندًا بالسنة، بالإضافة إلى منزل، وقطعة أرض وكميّة من حطب التدفئة، الذي كانوا يحصلون عليه مُقطّعا. إستغربت مينلي

عادة فرض الغرامات بحق مَنْ يُخالف التقاليد والعادات الدينية. في 10 ديسمبر من العام 1704، وفي أحد الاجتماعات، وقفت بعض الزوجات الصالحات تُخبرن عن تلك الزيارات التي كان توبياس نايت يقوم بها لميهيتابيل فريمان في أثناء غياب زوجها. وبحسب الروايات، كانت ميهيتابيل حاملاً في الشهر الثالث في تلك الفترة، وقد أنكرت المزاعم. لكنّ توبياس نايت اعترف بواقعة الزنى وقبل عقوبة تطهير روحه.

قضى الحُكم الذي أصدره الكهنة بغرامة قدرها خمسة باوندات، يُسدّدها نايت للفقراء؛ ولَمَّا كان قد اعترف بخطيئته، لم يُفرض عليه أي قصاص علني. أما ميهيتابيل، فَعُرض عليها التخلي عن عفتها. غير أنّ رفضها القاطع للعقوبة وتشهيرها الفظّ بكلّ من توبياس نايت والاشخاص الذين وجّهوا إليها التهم قرّرا مصيرها. فكان القرار بأن تُجلد الزانية ميهيتابيل فريمان أربعين جلدة، في الاجتماع الأوّل لسكان المدينة بعد ستة أسابيع من إنجابها الطفل.

يا لفظاعة الحكم! رثت مينلي لحال ميهيتابيل التي لم تتجاوز في تلك الفترة الثامنة عشرة من العمر، وكانت هزيلة البنية. وقعت مينلي في معرض قراءتها على تعليق بخطّ يد فيبي يقول: «عاد المركب غود سبيد من رحلة إلى انكلترا في الأوّل من مارس وأبحر من جديد في الخامس عشر منه. هل حضر الكابتن ولادة طفلته؟ تظهر السجلات أن الولادة قد تمّت في الثلاثين من يونيو، وان الطفلة هي من أندرو وميهيتابيل. بالتالي، لم يكن من شكّ في نسب الطفلة، ولا من اعتراض على أبوة أندرو.

عاد الكابتن في منتصف أغسطس، الفترة التي كانت ستُنفَذ فيها العقوبة بحق زوجته. لكنّه ما لبث أن أبحر من جديد، حاملاً

الطفلة، وغاب ما يناهز السنتين. سُجّلت عودة غود سبيد التالية في أغسطس من العام 1707».

طوال هذا الوقت، لم تعرف ميهيتابيل مكان طفلتها، أو ما إذا كانت على قيد الحياة.

«أراك منشغلة بتلك الملفات.»

رفعت مينلي عينيها مذهولة: «أدم!»

«هذا هو اسمي!»

بدا عليه الإسترخاء وعلت ثغره ابتسامة. كان قميص الرياضة الأزرق الذي يرتديه مفتوحًا عند الرقبة، فأبرز بشرته المسمرة. أضف إلى أنّ شمس الصيف قد تركت أثرها على ذراعيه وساقيه أيضًا. مال نحو مينلي وطوّقها بذراعيه. قال لها: «عبئًا أسألك إن اشتقت إليّ، عندما أراك منهمكة إلى هذا الحدّ في أبحاثك.»

حاولت مينلي العودة بفكرها إلى الحاضر، فأسندت رأسها على ذراعه. ردّت عليه: «كنتُ أعدّ الدقائق في غيابك.»

«كيف حال طفلتنا الشقيّة؟»

«لقد غفت بسرعة.»

رفعت مينلي عينيها ورأته ينظر إلى جهاز مراقبة تحرّكات الطفلة. يريد التحقق من أنه يعمل. أحسّت بغصّة في قلبها، كانت على شفير البكاء. تساءلت: «لِمَ لا تثق بي، حبيبي؟»

36

سلك فريد هيندين بسيّارته الممرّ المؤدي إلى منزله المتواضع في بارنستايل. سُرعان ما أدرك أنّ الرجل الجالس في السيارة في الجانب الآخر من الشارع كان ينتظره. لحق به نات إلى الباب وبادره بالقول: «سيّد هيندين؟»

نظر فريد إلى شارة الشرطي، وبادره بتعليق لاذع وابتسامة توشي بالتهكّم. أمّا نات فردّ عليه بلطف: «سيّدي، أنا لا أبيع التذاكر لحفلة الشرطة!»

كان فريد هيندين في أواخر الثلاثين من العمر، من أصولٍ سكاندينافيّة. متوسّط الطول، قويّ البنية، أشقر الشعر. إرتدى سروالاً وقميصاً يكاد يُعصر من العرق.

أدخل هيندين المفتاح في قفل الباب. «تفضّل.» كان يتعمّد انتقاء كلامه وتصرفه، لكأنّه تدرّب مسبقاً على ذلك. دخلا غرفة ذكّرت نات بالمنزل الاوّل الذي اشتراه في بداية زواجهما. كان المنزل مؤلّفاً من غرف صغيرة، لكنّه تميّز بحرارة لطالما استمتع نات بها.

إنّته إلى أثاث غرفة الجلوس. لا بدّ أنّ هيندين قد انتقاه من أحد الكاتالوجات. كنبه من الجلد المُقلّد وقد نُسّق معها متكأً، طاوولات صغيرة من خشب الجوز، طاولة صغيرة للقهوة؛ بالاضافة إلى باقة منسّقة من الازهار الاصطناعية، وسجّادة وستائر بلون البيج.

أمّا التجهيزات الكهربائيّة الباهظة الثمن فلم تكن في محلها:

تلفزيون 40 إنشًا، وجهاز ستيريو مع جهاز سي. دي. إنتهت إلى الرفوف المثقلة بشرائط الفيديو، وراح يتفحصها. صفر إعجابًا وقال لهيندين: «لديك مجموعة رائعة من الافلام الكلاسيكية». ثم انتقل إلى الكاسيتات وأقرص السي. دي.

«أرى أنك تميل إلى موسيقى الأربعينات والثلاثينات. زوجتي وأنا مولعان بها.»

أما هيندين فردّ عليه: «أنا أجمع الشرائط منذ سنوات طويلة.» على الرفوف العلوية، كانت بضع عشرات من المنحوتات الخشبية التي تمثل مراكب وسفنًا. مدّ نات يده وأمسك بإحدى المنحوتات المنقوشة المُميّزة وقال لهيندين: «أعذرني إن كنت متطفلاً، لكن، هل أنت من قام بنحتها؟»

«حسنًا، لنقل إنني أنحت وأنا أسمع الموسيقى. إنها هواية جميلة. تساعد على الاسترخاء. وانت، ماذا تفعل بينما تستمع إلى الموسيقى؟»

مكتبة الرمحي أحمد

أعاد نات المنحوتة إلى مكانها واستدار ليووجه هيندين. ردّ عليه: «في بعض الاحيان، أصلح شيئًا ما في المنزل، أو في السيارة. في غياب الأولاد، نرقص زوجتي وأنا.»

«لستُ بارعًا في الرقص. سوف أجلب كأس جعةً لي. ماذا عنك؟ هل ترغب في زجاجة صودا؟»

«لا، شكرًا.»

راح نات يُراقب هيندين وهو يختفي وراء الباب ويدخل المطبخ. كان رجلًا مثيرًا للاهتمام. نظر من جديد إلى الرفوف العليا وقد أخذته روعة المنحوتات. لا شك في أن هيندين حرفي بارع. مع ذلك، لم يسعه أن يتخيل هذا الرجل مع تينا.

عاد هيندين من المطبخ حاملاً الجعة والصودا. قال، وهو يضع الصودا أمام نات: «الصودا هنا، في حال غيّرت رأيك. والآن، ماذا تريد مني؟»

«إنها مسألة روتينيّة. لا بدّ أنك سمعت أو قرأت عن مقتل فيفيان كاربنتر كوفي؟»

ضاقت عينا هيندين وأجاب: «أعرف، وأعرف أيضًا أنّ سكوت كوفي كان يخرج السنة الماضية مع فتاتي، وأنت هنا لتسأل عن علاقة محتملة ما زالت تربط بينهما اليوم.»

هزّ نات كتفيه وقال: «أنت لا تضيّع الوقت، سيّد هيندين.»

«فريد.»

«حسنًا، فريد.»

«أنا وتينا ننوي الزواج قريبًا. لقد بدأت علاقتنا الصيف الماضي، بعدها، ظهر سكوت كوفي. نصحتُ تينا بالإبتعاد عنه، برأيي لم يكن جدّيًا في علاقته معها، لا شكّ في أنّك قابلته. فقد أُعجبت به ووقعت في غرامه.»

«ما رأيك بالموضوع؟»

«حسنًا، أنا أشعر بالأسف لتينا. فهي ليست بالصلابة التي تبدو

عليها.»

لم يوافق نات الرأي، فبرأيه كانت قويّة الشخصية.

تابع هيندين: «حصل ما توقّعتّه. فقد اختفى كوفي في نهاية

الصيف.»

«وعادت تينا إليك نادمة، متلهّفة.»

إبتسم هيندين وقال: «وهذا ما أحبه فيها. كانت متلهّفة

وغاضبة. ذهبت لأقابلها في النزل حيث تعمل نادلة. قلت لها إنني عرفت بهجران سكوت إياها، وبأنني اعتبره خسيسًا. فنصحتني ألا أرثي لحالها».

عاجله نات بالسؤال: «هل يعني ردها بأنها ما زالت على اتصال به؟»

«قطعًا لا. لقد قصدت بكلامها أنها لن تكون ممتنة لتعاطفي معها. فنحن لم نخرج سوى مرّات قليلة خلال الشتاء. لقد تواعدت مع شبّان آخرين. وفي الربيع، عادت إليّ مقتنعة بأنني لست بالرجل السيء.»

«هل أخبرتك بأنها اتّصلت به عندما عاد للإستقرار هنا؟»

بدت علامات الإنزعاج على وجه هيندين، وهو يُجيب: «لم تُخبرني بالأمر في حينها، بل فعلت منذ بضعة أسابيع. تينا لا تتساهل في بعض الأمور. لقد كانت غاضبة، وعازمة على طرده من حياتها». أضاف وهو يشير بيده: «أترى هذه الغرفة، هذا المنزل؟ لقد كان منزل والدتي، وقد انتقلتُ إليه منذ بضع سنوات، بُعيد وفاتها». شرب جرعة من الجعة، وأردف قائلاً: «عندما بدأنا تينا وأنا نتحدّث عن زواجنا الوشيك، أبلغتني بأنها لا ترضى السكن في هذا المنزل. وهي محقّة. فأنا لم أغيّر في المنزل شيئًا، باستثناء الرفوف حيث ربّبتُ الافلام والشرائط الخاصّة بي. تينا ترغب في منزل أكبر. ما أقصد قوله هو إن تينا صريحة في رأيها».

ألقي نات نظرة على الملاحظات التي سبق أن دوّنها، وقال:

«تينا تسكن في مُجمّع في يارموث».

«صحيح، على بعد بضعة أميال من هنا؛ ما يناسب كلينا.»

«لماذا تركت وظيفتها في نُزل دانيال ويبستر وقصدت تشاتهم للعمل؟ يلزمها أربعون دقيقة للوصول إلى مكان عملها، وسط زحمة الصيف.»

«لقد أحببت العمل في نُزل واي سايد. فالدوام أفضل، وكذلك البقشيش. إسمع، كوغان. إبتعد عن طريق تينا.»
وضع هيندين الجعة على الطاولة ووقف. لقد رفض متابعة الحديث عن تينا.

أمانات، فغرق في مقعده وقال: «لا بد أنك تغاضيت عن زيارتها لسكوت كوفي على أثر وفاة زوجته.»
نظرت إلى هيندين، ولم يخفَ عليه الغضب الذي بدا على وجهه وتبدل ملامحه. قال هيندين بفتور: «أظن أننا استفضنا في الحديث.»

37

لقد كان يومًا ممتعًا وهادئًا، عرفت في خلاله فيبي، وخلافًا للعادة، لحظات قصيرة من صفاء الذهن. سألت عن أحوال ولديها، فسارع هنري إلى الاتصال بهما، واستمع هو أيضًا إلى المكالمات، فتبين فرحة ريتشارد وجوان وهما يكلمان والدتهما. كان تواصل فعلي لدقائق قليلة. لكن فيبي ما لبثت أن سألت: «وكيف حال...؟»
كانت فيبي تحاول أن تتذكر أسماء أحفادها، فسارع هنري إلى تزويدها بها.

أما هي فردت مستاءة: «أنا أعرف الأسماء. هذه المرة أقله لم تبدأ جملتك بعبارة هل تذكرين...» وتنهت غاضبة عاتبة.

في تلك اللحظة، قالت جوان، وهي على وشك البكاء: «أبي...»
«لا عليك، كل شيء على ما يُرام.»

غير أنّ فيبي وضعت السماعة في مكانها، ووضعت معها حدًا
للحظات الهدنة. أما هنري فلم يقطع الاتصال، بل أخبر ولديه بأن
المصحّ سيستقبل المرضى ابتداءً من الأول من سبتمبر.

قال ريتشارد بحزم: «إحجز لها مكانًا فيه. سأتي وعائلي
لزيارتكما في عيد العمّال.»
«ونحن أيضًا»، قالت جوان.

علّق هنري: «أنتما ولدان صالحان.» كان يحاول التغلّب على
الغصّة في صوته.

أما ابنته، فتابعت: «أودّ أن أكون مع شخص يدلّني كما لو
كنت طفلة صغيرة»، فيما وعده ريتشارد: «نراك بعد أسابيع قليلة،
أبي. أصمد، لن نخذلك.»

كان هنري يتحدّث من سماعة غرفة النوم، فيما تجلس فيبي
في المكتب. فسارع يتحقّق من وجودها هناك، خوفًا من أن تكون
قد تسللت خارج المنزل، كما اعتادت أن تفعل من وقت إلى آخر.
لكنها في تلك المرة، لازمت مكانها، فوجدها جالسة إلى مكتبها، حيث
اعتادت ان تمضي ساعات في العمل المنتج البتاء.

إنّته للدرج السفلي، الذي كان يغصّ بالملفات عادةً، فوجده
مفتوحًا وخاليًا. كانت فيبي جالسة تُحدّق به. أما شعرها الذي اعتادت
رفعه على شكل كعكة، فأفلتت بعض خصله من مكانها.

إستدارت ما إن سمعته يدخل الغرفة. «مذكّراتي.» قالتها وهي
تُشير إلى الدرج الخالي. «أين هي يا تُرى؟»

لم يشأ إخفاء الأمر عليها، بل أجابها: «لقد أعرّثها لزوجة آدم نيكولز. إنَّها بحاجة إليها لكتاب تؤلّفه. سوف تأتي على ذكر اسمك، فيبي.»

«زوجة آدم.» قالت، وقد بدت على وجهها علامات استفهام.

أما هنري ففسّر لها: «لقد أتت إلى هنا بالأمس. فهي تقيم مع زوجها في ريممبر هاوس. توّد تأليف كتاب عن تاريخ المنزل، مستعينة بقصّة الكابتن فريمان.»

قالت له: «يجدر بأحدهم تبرئة ميهيتابيل. هذا ما أردت فعله. يجدر بأحدهم القيام بالتحقيقات عن توبياس نايت.»

أغلقت الدرج بقوة وقالت: «أنا جائعة. أنا دومًا جائعة.»

فيما اتّجه هنري صوبها، قالت وهي تنظر إليه مباشرة: «أحبّك هنري. أرجوك ساعدني.»

38

عندما استفاقت هانا من النوم، بعد ظهر ذلك اليوم، قصدت مينلي وأدم البحر للسباحة. لقد استفاد الزوجان، بحكم إقامتهما في ريممبر هاوس من خصوصيّة السباحة على الشاطئ القريب.

كان الخريف على الأبواب، فلطّف حدّة شمس الظهر. نسيم بارد، وشاطئ خال من المتنزهين.

جلس آدم قريبًا من هانا القابعة في عربتها، فيما نزلت مينلي إلى البحر لتسبح. قال للطفلة، وهو يراقب مينلي تتحدّى الأمواج الهائجة: «أمك تُحبّ المياه، صغيرتي.» لكنه سرعان ما تأهّب واقفًا، وقد تخوّف من ابتعاد مينلي عن الشاطئ، فراح يُلوّح لها بيده، يرجوها العودة.

هل إنها لم تره بالفعل، أم ادّعت ذلك؟ لقد كانت تبتعد أكثر فأكثر. إنتبه لموجة قوية تتكسر على صفحة المياه. غاصت فيها لتعود فتطلّ برأسها وهي تبتسم وتُخرج فقاعات المياه من فمها. أمّا شعرها فتدلّى على وجهها مُشبعًا بالمياه المالحة.

قالت له بنشوة وحماسة: «رائع!»

«وخطير، مينلي. أنتِ في المحيط الاطلسي!»

«أرجوك بدون مُزاح! لقد خلت المحيط بركة صغيرة!»

سارا على طول الشاطئ إلى المكان حيث جلست هانا بلطف وهدوء تراقب طير نورس يقفز من مكان إلى آخر.

«أنا لا أمزح معك مينلي! أمتنعك من السباحة مسافة بعيدة في

أثناء غيابي.»

توقّفت ونظرت إليه قائلة: «لقد نسيت أن تُذكرني بتشغيل جهاز مراقبة تحركات الطفلة وبأن أطلب من إيمي البقاء معنا ليلة، أصحيح ما أقوله؟ ألم تُهددني ضمناً باستخدام مرافقة دائمة، تحسبًا لظهور عوارض القلق؟ ألسْتُ أنا من تسبّب بالحادثة وبمقتل ابنك؟»
أمسك آدم بيديها وردّ قائلاً: «توقّفي عن هذا الكلام مينلي. تأخذين عليّ أنني لم أسامحك على موت بوبي. لا داع لتلوميني. فالمشكلة هي أنّك أنت لا تسامحين نفسك.»

عادا إلى المنزل، وقد أدرك كلّ منهما أنّه جرح الآخر في الصميم، وأنه يجدر به مقاربة الموضوع بصراحة. فتحا الباب على رنة الهاتف وأسرع آدم ليردّ. أما مينلي فوضعت منشفة فوق ثوب السباحة المبلّل، رفعت هانا من العربة وراحت تُصغي إلى زوجها وهو يتحدّث عبر الهاتف.

«إيلين! كيف حالك؟»

إنتبهت مينلي للقلق الذي بدا على وجهه. ماذا كانت إيلاين تقول له، يا ثرى؟ وما الذي قصده هو برده «شكراً لأنك أخبرتني بذلك»؟

لكنه ما لبث أن قال لإيلاين بنبرة مرحة: «مساء الغد؟ آسف، لكنني أغادر بعد قليل إلى نيويورك. لكن، لربما تمكنت مينلي...»
أما مينلي فقالت في نفسها «لا، يا إلهي!»
وضع آدم يداً على السّاعة وقال لمينلي: «إيلاين وجون يُقيمان عشاء مساء الغد في أحد مطاعم هاينيس. وأنت مدعوة لمشاركتهما المناسبة.»

«شكراً جزيلاً لهما، لكنني أفضل البقاء في المنزل والعمل. سوف ألبّي الدعوة في مناسبة أخرى.» حكّت وجه الطفلة بأنفها وهمست لها: «أنت طفلة رائعة.»

«إيلاين تُصرّ على حضورك. يُزعجني أن تبقي هنا بمفردك. ما المانع في خروجك للعشاء؟ يمكنك أن تطلبي من إيمي ملازمة هانا لبضع ساعات.»

فكرت مينلي: «إنّه التهديد الضمني بعينه.» فإمّا أن تحضر المناسبات الإجتماعية وإمّا أن يستخدم آدم أحدهم لملازمتها طوال الوقت. أرغمت نفسها على الإبتسام وردّت: «إنّها فكرة مذهلة!»

أمّا آدم فرفع يده عن السّاعة وخاطب إيلاين: «لاين، يسّر مينلي تلبية دعوتكما. سوف تكون جاهزة اعتباراً من السابعة.»
وضع يده مرّة أخرى على السّاعة وقال لمينلي: «برأي إيلاين وجون، يُستحسن أن تُمضي إيمي الليلة هنا. فهما لا يُحبّذان أن تعود بمفردها إلى المنزل في ساعة متأخرة.»

نظرت مينلي إلى آدم. أدركت أنّ هانا تشعر بالتوتر الذي انتابها.

فقد توقفت الطفلة عن الابتسام وبدأت تئن. قالت لآدم: «أرجوك ان تُبلع لاين» - لفظت الاسم على طريقته - «بأنني قادرة على النوم بمفردي في هذا المنزل أو في غيره، وإن كانت إيمي لا تقوى على العودة إلى المنزل في العاشرة من أمسية صيفية، فهي حتمًا تفتقر إلى النضوج الذي يُخولها رعاية طفلة.»

بدأ الجوّ بالتحسن عند العشاء. ففيما أطعمت مينلي الصغيرة وحممتها، قصد آدم السوق وعاد ببعض الكرنكند الطازج والبقلة والفاصوليا الخضراء ولبعض الخبز الإيطالي.

تشاركا تحضير العشاء واحتسبا القليل من النبيذ بانتظار جهوز الكرنكند. بعد ذلك، حمل كلّ منهما فنجان القهوة ووقفوا عند النافذة يتأملان تكسر الأمواج على الشاطئ.

استمتعت مينلي بالنسائم المشبعة بملح البحر، فهدأت قليلاً. قالت لنفسها: «أتفهم آدم. فلو كان هو من يعاني من أزمات القلق والإنهيار العصبي التي أعانيها، لكنّ حتمًا قلقْتُ عليه.»

عندما قصدا الفراش في ساعة متأخرة من تلك الليلة، دخلا غرفة هانا للإطمئنان عليها للمرة الأخيرة. كانت قد غيرت وضعيّة نومها، فسوّاها آدم وغطّاها، وقد لفّها بذراعه لثوان قليلة.

في تلك اللحظة، استرجعت مينلي بعض ما قرأته في ملفات فيبي. ففي الأزمنة الغابرة، أطلق سكان كايب كود تسمية خاصة على الحبّ الذي يربط الأب بابنته.

خرجا من الغرفة، وفيما كانا يقصدان غرفتهما للنوم، متعانقين، لم يتمالك آدم نفسه من السؤال: «قولي لي، لماذا أنكرت أمام إيمي أنك كنت واقفة في ممشي الأرملة؟»

39

عندما وصل نات كوغان إلى عمله صباح الثلاثاء، وجد على مكتبه مذكرة موقّعة من فرانك شيا، رئيس الشرطة، يقول فيه: «أودّ مقابلتك». تساءل عن سبب الإستدعاء، وهو يتّجه إلى مكتب رئيسه. هناك، جلس فرانك يتحدث عبر الهاتف إلى المدّعي العام. كان يدقّ بأصابعه على الطاولة وقد بدا على وجهه التجهّم.

جلس نات على أحد المقاعد، يصغي إلى بعض من الحديث الدائر عبر الهاتف، ويحاول تكهّن البعض الآخر.

لقد كانت القضية تتفاعل. فشركة التأمين التي يتعامل معها غراهام كاربنتر قد تحرّكت وتبنّت فرضيّة كاربنتر القائلة بأنّ ابنته وقعت ضحية احتيال زوجها، الذي انتزع من اصبعها خاتم الزمرد وهو يحتفظ به.

رفع نات حاجبيه وأدرك فحوى الجزء الثاني من الحديث. فقد دار حول التيارات المائية في المحيط. إستنتج منه استعداد خفر السواحل بأن يدلوا بشهادتهم بشأن غرق فيفيان، فيؤكّدوا بأنّه، في حال كانت هذه الأخيرة تمارس الغطس كما ادّعى زوجها، لكانوا وجدوا جثّتها في ستايج هاربور وليس في مارتاز فاين يارد.

أنهى شيا المكالمة والتفت إلى نات قائلاً: «نات، يسرّني أنّك صدّقت حدسك في هذه القضية. فالمدّعي العام راضٍ عن مسار التحقيق الذي بدأنا به. أمّا أنا فسعيد بالبداية الناجحة وأتوقّع للتحقيق أصداء إيجابية مع نشر وقائعه عبر الاعلام. أتذكر الأنجاز الذي حقّقناه في قضية فون بولو؟»

«طبعًا أذكره. أضف إلى أننا نواجه بعض المشاكل التي واجهها الإِدعاء في حالة فون بولو. فقد حصل هذا الأخير على حُكم لصالحه، بفضل جهود محاميه اللامع. أنا واثق من تورط كوفي، لكنّ إثبات ذلك موضوع آخر. لقد استعان هو أيضًا بمحام لامع، هو آدم نيكولز.»

«سوف نختبر كفاءة نيكولز قريبًا جدًّا.»

«نحن نقرب من جمع أدلّة جديدة قاطعة. واستنادًا إلى خاتم الزمرد الضائع وكلّ ما نعرفه سوى ذلك، يُحضّر المدعي العام مذكرة تفتيش لمنزل كوفي ومركبه. ويهمّني وجودك أثناء التفتيش.»

قام نات من مقعده وقال: «أتوق إلى تلك اللحظة.»

ما إن بلغ نات مكتبه واختلى فيه، حتى أطلق العنان لبعض من الإستياء الذي انتابه. فمع تناقل وسائل الإعلام الخبر، سوف يطلب المدعي العام من شرطة الولاية تولّي التحقيق. فكّر نات: «ليس الأمر مجرد طموح إلى فكّ لغز هذه القضية بنفسي، بل هو الطموح إلى البحث عن أدلّة قاطعة قبل المثلول أمام هيئة المحلّفين.»

خلع سترته، رفع أكمام قميصه وأرخى ربطة العنق، ف شعر بالإرتياح. لطالما تمّنّت ديبى عليه ألا يرخي ربطة عنقه عندما يخرجان لتناول العشاء. فتقول له: «نات، تبدو وسيماً وأنيقاً، لكنك ما إن ترخي ربطة العنق وتفتح الزرّ العلوي من قميصك حتّى تُشوّه شكلك. لا شكّ في أنّك قد قضيت شتقًا في حياة سابقة، لذلك لا تطيق ربطة العنق.»

بقي نات وراء مكتبه لبضع لحظات إضافية، يفكّر في ديب. لقد كان محظوظًا بزواجه منها. فكّر في رابط الحبّ والثقة الذي جمع بينهما.

أمسك بكوب القهوة وقصد الآلة في الرواق حيث سكب القليل من القهوة وعاد إلى مكتبه شارد الذهن.

الثقة. كلمة توحى بالكثير. إلى أي حد وثقت فيفيان كاربنتر بزوجها؟ فهي لم تثق به ما يكفي لتطلعه على حجم التركة التي آلت إليها.

عاد نات للجلوس وراء مكتبه، أسند ظهره وراح يحتسي القهوة وهو يحدّق بسقف الغرفة. لو كانت فيفيان متقلقلة الشخصية كما وصفها الجميع، ألم يجدر بها الحذر من سكوت كوفي؟

فكر نات في الإتصالات الهاتفية. هل حصل واتّصلت تينا بكوفي في منزله، وفي حال فعلت، هل علمت فيفيان بالأمر من فواتير هاتف المنزل؟ فهي حتمًا من يسدّد تلك الفواتير. لكن، هل كان كوفي ليرتكب خطأ الاتصال بتينا من المنزل؟ ليس غيبًا إلى هذا الحدّ. يجدر بنات التحقق من الأمر.

تفصيل آخر. محامي فيفيان، الذي حرّر وصيّتها الجديدة بعد زواجها. قد تكون زيارته مفيدة.

قطع رنين الهاتف على نات حبل أفكاره. كانت ديب. قالت له: «كنت أسمع الاخبار وعلمت بتحقيق جارٍ حول وفاة فيفيان كاربنتر. هل توقّعت حدوث ذلك؟»

«سمعت بالخبر للتوّ». أوجز نات لزوجته وقائع اجتماعه بجاك شيا وبما ينوي هو القيام به. لطالما كان واثقًا من أنّ ديب هي خير مستمع له.

قالت له: «التحقّق من فواتير الهاتف فكرة سيّدة؛ مع أنني واثقة من أنه على درجة من الذكاء تمنعه من الاتصال بصديقه من

منزله. لكنني عرفت منك أن تينا نادلة في نُزُل واي سايد. بالتالي لن يشكّ أحد في اتصالات يُجريها بالنزل. مع ذلك، أنصحك بالتأكد من تلقّي تينا بعض الاتصالات الشخصية في مكان عملها، وبأن تسأل زملاءها عن هوية المتصلين.»

ردّ عليها نات بإعجاب: «فكرة ذكيّة. لقد أخذت منّي روح

الشرطي.»

«دعك منّي. أنصحك بأن تقصد صالون التزيين الذي كانت فيفيان ترتاده. هناك تستنتج الكثير من ثرثرة الزبونات. أو لديّ فكرة أفضل، يجدر بي أن أقصده انا من اليوم فصاعدًا. فقد أسمع خبرًا من هنا أو من هناك. سبق وقلت لي إنها تقصد صالون «تريسيز»، أليس كذلك؟»

«بلى.»

«سوف أتدبر موعدًا لبعد الظهر.»

سألها نات: «أنت واثقة من أنك تقصدين الصالون بدافع العمل،

لا غير؟»

«لا. فأنا أتوق منذ زمن لتجعيد شعري. وهم مختصّون بذلك،

ولكن بكلفة عالية. لا، لا أريد أن أشعر بالذنب. إلى اللقاء حبيبي.»

40

بعد أن سأل آدم مينلي عن السبب وراء إخفائها حقيقة وقوفها في ممشى الأرملة عن إيمي، توقّف الزوجان عن التحدّث وتمدّدا في السرير جنبًا إلى جنب، حزينين، متباعدين، وقد أدرك كلّ منهما أنّ

الأخر لم ينم بعد. قبيل بزوغ الفجر، قامت مينلي من السرير وقصدت غرفة هانا للاطمئنان عليها. كانت الطفلة تغط في نوم هانىء، دافئ. وقفت مينلي بجانب المهد، وراحت تتأمل ملامح الطفلة الناعمة: الأنف الدقيق، الفم الناعم الرقيق والرموش التي أرخت بظلالها على الوجنتين المستديرتين. أما الشعر، فأشقر بلون الذهب تدلى على وجه الطفلة خصلًا متجعّدة.

فكرت مينلي: «لا يسعني أن أجزم بأنني لم أكن في ممشى الأرملة عندما لمحتني إيمي. لكنني واثقة من أنني لن أهمل هانا يومًا، لن أنساها، لن ألحق بها الاذى. يجدر بي أن أتفهّم هواجس آدم. مع ذلك، لن أَرْضَى بحاضنة أطفال ترفع إلى صديقتة إيلين التقارير بشأنى.»

بعد اتّخاذها هذا القرار الجازم، بات سهلًا عليها العودة إلى الفراش. وعندما مدّ آدم ذراعه وضَمَّها إليه، لم تبعده.

في الثامنة صباحًا خرج آدم لبيتاع الفطائر الطازجة والصحف. فيما راحا يتناولان الطعام ويحتسيان القهوة، أدركت مينلي أنّ كليهما كان يتجنّب صبّ الزيت على النار وتحريك ما بقي من آثار التوتّر الذي ساد بينهما الليلة السابقة، سيّما وأنّ آدم يغادر بعد ظهر ذلك اليوم إلى نيويورك.

قدّم لها آدم مجموعة الصحف التي تطالعها يوميًا. إبتسمت وعلقت قائلة: «تريد أن تبدأ بتصفّح نيويورك تايمز، أليس كذلك؟»

«حسنًا، هذا ممكن.»

«جيد.» قالتها وبدأت بقراءة الصفحة الأولى من كايب كود تايمز. ما لبثت أن صرخت: «يا إلهي، أنظر إلى هذا الخبر.» ومزّرت له الصحيفة.

قرأ آدم الخبر الذي أشارت إليه ووثب من مكانه. «تبًا! الشرطة
والمحققون وراء سكوت. أنا واثق من أن ضغطًا هائلًا يُمارَس حاليًا على
المدعي العام ليطلب انعقاد هيئة محلفين.»

«يا للمسكين سكوت. هل من احتمال لإدانته؟»

«برأيي، إن عائلة كاربنتر عازمة على اتّهامه وهي تتمتع بنفوذ

كبير. يجدر بي التحدّث إليه.»

سئمت هانا من اللعب بالقلم، فحملتها مينلي، أجلستها في
حضانها وأعطتها قطعة من فطيرة تتسلى بقضمها. سألتها: «إنها شهية،
أليس كذلك؟ أتوقّع ظهور بعض الأسنان قريبًا.»

حمل آدم بيده سماعة الهاتف، وقال لها: «كوفي ليس في
المنزل ولم يشغل آلة تسجيل المكالمات. لا بدّ أنه قرأ الخبر في
الصحيفة ويجدر به الاتصال بي.»

أما مينلي فردّت عليه: «إلا في حال كان قد خرج لصيد السمك
في ساعة مبكرة.»

«حسنًا، إن فعل، أمل في ألا تجد الشرطة أي دليل مثير للاهتمام
في منزله. فأنا واثق من أن القاضي سيوقّع مذكرة تفتيش قبل انتهاء
اليوم.» وضع السماعة بقوة على الطاولة وقال: «تبًا!»

من ثمّ هزّ برأسه ومشى نحوها. قال لها: «إسمعي، للأسف، أنا
ذاهب إلى نيويورك، ولا يسعني أن أتخذ أي إجراء، إلى أن يتصل بي
سكوت كوفي. لذا، هيّا نستفيد من الوقت معًا. هل ترغبان، يا فتاتي،
بالذهاب إلى البحر؟»

«بكلّ تأكيد. سوف نرتدي لباس البحر.»

كانت مينلي تلبس فستانًا من القطن مزينًا برسوم زهرية.

إبتسم لها آدم وقال: «تبدين في الثامنة عشرة من العمر». داعب شعرها ومن ثمَّ خدّها. «مينلي ماك كارثي نيكولز، أنتِ سيّدة رائعة الجمال!»

رقّ قلب مينلي وفكرت في اللحظة؛ كانت واحدة من أروع اللحظات. قالت لنفسها: «كم أحبّه!»

لكنّ آدم سألها: «متى ستحضر إيمي؟»

كانت قد قرّرت في صباح ذلك اليوم إبلاغه بأنّه اليوم الأخير لإيمي في عملها لحسابهما. لكنّها لم تشأَ افتعال شجار. لم يكن الظرف مؤاتياً. ردّت عليه بنبرة أرادتها طبيعيّة: «لقد طلبتُ منها الحضور عند الثانية. أنوي العمل على الكتاب ما إن أعود من المطار. نسيْتُ أن أخبرك بأنّ جان بالي قد وجدت بعض الوقائع المثيرة للاهتمام عن الكابتن أندرو فريمان. وهي ستأتيني بها قرابة الرابعة.»

ردّ عليها وهو يهزّ برأسه: «عظيم!» كانت تدرك أنّ حماسة آدم نابعة من رغبته في رؤيتها محاطة بالناس.

فكرت: «أرجوك، لا تقترح أن تمضي جان بالي الليلة هنا.» أمسكت بالطفلة فيما أزاحت يده وقامت عن مقعدها.

41

عندما خرج سكوت كوفي إلى البحر على متن مركبه صباح الثلاثاء، راح يُفكّر في اللقاء الذي جمعه بآدم، وأدرك مدى الإزعاج الذي سبّبه له. عند شروق الشمس، في السادسة، كان مركبه قد رسا في النقطة حيث تمّ العثور عليهما، فيفيان وهو، يوم الحادث.

جلس مكانه بهدوء حاملاً الصنارة، وراح يُفكر في التحذيرات التي وجهها إليه آدم نيكولز. فقد أبلغه هذا الأخير بأنه سوف يستخدم تحريماً يتقضى ماضيه، للتأكد من خلوه من أية شوائب.

في تلك اللحظة، تذكر أنه لم يتصل بوالده وزوجته منذ خمس سنوات. فكر في أن الذنب ليس ذنبه، فقد انتقلا إلى سان ماتيو. هناك، تقيم عائلة زوجة أبيه معهما فلا يبقى له مكان للمبيت عندما يقصدهما. لكن، قد يتساءل المحققون عن السبب وراء غياب عائلته عن حفل زفافه كما عن جنازة فيفيان. قرّر الاتصال بوالده وزوجته طلباً للدعم.

كان يوماً رائعاً من أيام أغسطس، مشمساً، برطوبة منخفضة. أما المحيط، فمُنقَط بالمراكب، الكبيرة منها والصغيرة.

لقد أصرت فيفيان على اقتناء مركب شراعي، وقالت له: «لقد اشتريته حتى أتعوّد على قيادة المراكب بنفسني. لهذا السبب أسميته «فيفز توي»».

اليوم، وهو يقود ذلك المركب الذي يحمل إسمها، شعر بالكآبة تثقل صدره.

عندما كان يتمشى في الصباح على الرصيف، لمح عددًا من الرجال الواقفين بالقرب من المركب، ينظرون إليه ويتحدثون بصوت منخفض. لا شك في أنهم كانوا يُطلقون التكهّنات بشأن الحادث. ما إن ينتهي التحقيق، سوف يغيّر اسم المركب، لا بل سوف يبيعه. أحسّ بشيء ضخم يشدّ الصنارة، ويعيده إلى الحاضر. لقد كانت سمكة كبيرة ما لبثت أن حلّت ضيفة عليه بعد عشرين دقيقة.

كان العرق يتصبّب منه للمجهود الجبار الذي بذله. راح يُراقب السمكة وهي تصارع للبقاء على قيد الحياة، فأحسّ بأشمئزاز وقرق،

وما كان منه إلا أن قطع الصنارة وأمسك بالسمكة العالقة فيها ورمهاها في المحيط. لم يكن بمزاج مناسب للصيد في ذلك اليوم، فقرّر العودة إلى الشاطئ وقصد أحد المطاعم لتناول الغداء. كان مطعمًا يعجّ بالرواد، وفي الغرض. فهو بحاجة إلى بعض الرفقة. جلس إلى البار وطلب كأسًا من الجعة وطبق همبرغر. لم تخفّ عليه النظرات التي راح بعض الاشخاص يرمقونه بها. ما لبثت أن جلست بالقرب منه شابتان جذّابتان. فراحتا تحدّثانه وتُخبرانه بأنّها زيارتهما الاولى إلى كايب كود. طلبتا منه أن يدلّهما إلى بعض الأماكن المسيّية.

ابتلع سكوت اللقمة الأخيرة من الهامبرغر وقال ممازحًا: «أنتما في أفضل الأماكن». أشار إلى النادل بإحضار الفاتورة. لا ينقصني سوى أن يدخل سبراغ ويرانى برفقة الفتاتين. يا لحظّي إن حصل ذلك! على الأقلّ سوف يُمضي ليلة هادئة. فقد دعتّه إيلاين أتكينز وخطبها لتناول العشاء في أحد المطاعم في هاينيس. وسوف تكون مينلي نيكولز برفقتها، هي التي أبدت تعاطفًا معه.

في طريق عودته إلى المنزل، توقّف ليشتري صحيفة. وضعها على المقعد الخلفي ولم يفتحها إلى أن بلغ المنزل. فتفاجأ بالعنوان العريض على الصفحة الرئيسية: «عائلة كاربنتر تريد أجوبة».

تمتم قائلًا: «يا إلهي!» وأسرع إلى الهاتف. إتصل بآدم نيكولز لكنّ هذا الأخير لم يردّ عليه.

بعد ساعة من ذلك، دقّ جرس الباب. ذهب إلى الباب وفتحه، فتفاجأ بعدد من الرجال متجهمي الوجوه. لم يعرف من بينهم سوى التحري الذي سبق له أن استجوبه. كان يُلوح له بورقة، ومن ثمّ سمع تلك الكلمات المخيفة: «معنا مذكرة لتفتيش منزلك».

42

أوصلت مينلي آدم إلى المطار وعادت إلى المنزل في الثانية إلا ربعًا. فتحت الباب على رنة الهاتف فأسرعت لتردّ، فيما كانت تحمل هانا بين ذراعيها.

كانت والدتها تتصل من إيرلندا. تبادلنا التحيات الحارة، وراحت تطمئن والدتها على صحتها وتؤكد لها أنّ كل شيء على ما يُرام.

«ماذا تقصدين أمي بقولك إنك تستشعرين خطبًا ما؟ أنت مخطئة. الطفلة بأفضل حال. ونحن نستمتع بالعطلة. المنزل الذي استأجرناه رائع. حتّى أننا نفكر في شرائه. الآن، حدّثيني عن إيرلندا. ماذا عن برنامج الرحلة الذي وضعته لك؟»

كان قد سبق لها وزارت إيرلندا مرّات عدّة للعمل، لذا، تمكّنت من وضع برنامج الرحلة لوالدتها. أحسّت بارتياح عندما علمت أنّ الترتيبات كانت مرضية. سألت والدتها: «وكيف حال فيليس وجاك؟»

أجابت الوالدة: «إنّهما يمضيان أوقاتًا ممتعة.» من ثمّ خفضت صوتها وأضافت: «لا داع لأقول لك إنّ فيليس منهمكة في بحثها حول نسب عائلتها. لقد أمضينا يومين في بويل فيما كانت تراجع بعض الملفات القديمة. لكنّها حققت نجاحًا. فقد تمكّنت من تحديد موقع المزرعة التي يملكها أحد أجدادها في بالي موت.»

علّقت مينلي وهي تضحك: «لم أشكّ يومًا في قدراتها.» وراحت تُقنع هانا بأنّ تحيي جدّتها على طريقتها.

قبل انتهاء المحادثة، طمأنت مينلي والدتها مرّة أخرى بأنّها في صحّة جيّدة، لا تشكو أيّا من عوارض التوتّر التي كانت تصيبها.

ما لبثت إيمي أن وصلت بعد دقائق قليلة. سلّمت عليها مينلي ببرودة وأدركت أنّ إيمي ذكيّة بما يكفي لتنتبه إلى التغيّر في موقفها. وضعت إيمي الطفلة في العربة وخرجت بها، فانصرفت مينلي إلى مراجعة ملفّات فيبي سبراغ. فتوقّفت بحيرة عند مذكرة لفيبي حول دار الإجتماعات المُشيّدة في العام 1700. في البداية عرض لمساحة الدار، تلاه تعدادٌ لأسماء الرجال الذين كُلفوا تنفيذ أعمال الخشب والنجارة وتأثيث الدار. وقد كتبت السيدة سبراغ «لقد كان «ريمبر مي» أكبر من دار الإجتماعات، ما أثار استياءً في المدينة وتسبّب بإشاعات مغرضة بحق ميهيتابيل فريمان».

وقعت في مذكرة لاحقة على إسم توبياس نايت وقد وضعت فيبي خطأ تحته وأعقبته بعلامة استفهام.

توبياس نايت. هو من بنى دار الإجتماعات. ما دوره في تلك

القصة؟

قبيل الثالثة، اتّصل سكوت كوفي وطلب التحدّث إلى آدم. لقد كان مضطرباً. أخبر مينلي بأنّ الشرطة قد حضرت إلى منزله بمذكرة تفتيش. أراد أن يسأل عمّا قد يفعله لمنع رجال الشرطة من تفتيش المنزل.

ردّت عليه مينلي: «لقد حاول آدم الاتصال بك هذا الصباح.» أعطته ارقام المكتب في نيويورك وأضافت: «أنا على علم بهذه الإجراءات. فعندما يُصدر القاضي مذكرة تفتيش، لا يحقّ للمحامي إلغائها، لكنّه قد يثيرها في المحكمة في وقت لاحق.» أضافت بنعومة «أسفة، سكوت.»

وصلت جان بالي عند الرابعة. سلّمت مينلي عليها وسرعان ما

وثقت بها. قالت لها: «لطفٌ منك أن تساعدني في الابحاث.»

«لا داع لتشكريني على ذلك. فعندما أصبحنا، توم وأنا، مهتمين بشراء المنزل، بدأنا نتردد على فيبي سبراغ لنعرف تاريخه. لقد كانت مولعة بقصة ميهيتابيل المسكينة. يسرتني أن هنري قد أعارك ملفات فيبي.»

نظرت إلى الطاولة وأضافت: «أرى أنك منهمكة في قراءتها». خرجت مينلي تطمئن إلى الطفلة مع إيمي، وعادت فوضعت غلاية الشاي على النار، وحضرت كوبين مع السكر والحليب. «قد لا تُصدّقين ما سأقوله. لديّ جهاز كمبيوتر وطابعة والتجهيزات كافة في المكتبة، مع ذلك، ثمة ما يشدني إلى العمل في هذا المطبخ، أو في حجرة الطعام الصغيرة. فأنا أشعر بسعادة لا توصف عندما أعمل فيهما.»

هزت جان بالي رأسها علامة التفهم. ثم مررت يدها على قرميدة ناتئة في الموقد الضخم. ردّت على مينلي: «ألاحظ الارتياح الذي تشعرين به في هذا المنزل وتكيفك مع تاريخه. ففي الماضي، كان الناس يمضون معظم أوقاتهم في حجرة الطعام الصغيرة. ولما كان فصل الشتاء باردًا، درجت العائلة على النوم في غرف النوم تحت عشرات الأغطية، لتعود فتلجأ إلى هذه الحجرة. لا شك في أنك تنتبهين، عند إقامتك حفلة في المنزل، لدخول تضيوف المطبخ، مهما كان المنزل كبيرًا. المبدأ نفسه. الدفء والطعام والحياة.»

أومأت بيدها إلى الباب المفضي إلى حجرة المؤن قبالة الموقد. وأضافت: «لقد كانت حجرة الولادة. فيها كانت المرأة تنجب أطفالها أو يوضع المريض، إمّا لرعايته أو لانتظار موته. والسبب منطقي. فالحجرة تلك تستفيد أيضًا من حرارة الموقد.»

لمعت عينها لوهلة وحبست دموعًا أوشكت أن تذرفها. قالت لمينلي: «أمل أن تقرّرا شراء المنزل. فقد تحوّلاه إلى منزل رائع، وأنت تتكيفين بأجوائه.»

وافقتها مينلي الرأي قائلة: «أظنّ ذلك». أوشكت أن تُخبر تلك السيّدة الذكيّة والمتعاطفة معها عن الطيف الغريب الذي لمحتة إيمي في ممشى الأرملة، وعن انتقال هانا ليلاً من مهدها، كما عن هدير القطار المُسرّع داخل المنزل. لكنّها لم تقوَ على ذلك. فهي لم تشأ أن تدع جان تشكّك، هي أيضاً، في استقرارها العقلي والعاطفي. عوضاً عن ذلك، تقدّمت من موقد الطبخ، حيث كانت الغلاية تصفر، فسكبت الماء المغلي في إبريق الشاي ومدّت يدها لتناول علبة الشاي.

علّقت جان بالي بالقول: «أنت تتقنين تحضير الشاي.»
«أمل ذلك. فجذّتي لم تُحبذ يوماً أكياس الشاي. برأيها، يُتقن الإيرلنديون والإنكليز تحضير كوب لذيذ من الشاي.»
أما جان بالي فقالت: «لقد درج الكثير من البحارة على حمل الشاي ضمن بضائعهم.»

فيما جلستا تحتسيان الشاي وتأكلان البسكويت، تناولت جان حقيبة يدها، وبادرت مينلي قائلة: «سبق وأخبرتك بأنني وقعتُ على بعض المواد المثيرة للاهتمام بشأن الكابتن فريمان». أخرجت من الحقيبة مغلفاً وسلّمته إلى مينلي. «في الحقيقة، راودتني خاطرة. تذكّرتُ أنّ والدّة الكابتن فريمان تتحدّر من عائلة نيكرسون. ومنذ البداية، راحت فروع العائلة المختلفة تكتب الإسم وتلفظه بطرق مختلفة، منها: نيكرسون، نيكولسون أو نيكولز. فهل يكون زوجك سليل ويليام نيكرسون الأول؟»

«لا فكرة لديّ عن الموضوع. كل ما أعرفه هو أنّ سلفه قدم إلى كايب كود في أوائل العام 1600. فأدم لم يهتمّ يوماً لتأريخ نسب العائلة.»

«حسنًا، في حال قرّرتم شراء المنزل، قد يصبح مهمتًا بالأمر. على الأرجح، قد يتبيّن أنّه ابن عمّ الكابتن فريمان، من درجة قريبة.»
راحت جان تراقب مينلي وهي تتصفّح الملفّات التي أحضرتها لها من مكتبة بروستر. قالت لها: «الخبر الهامّ الذي وعدتك به موجود في الصفحة الأخيرة.»

«عظيم.» مدّت مينلي يدها إلى الطاولة لتناول أحد الملفّات. قالت لجان: «هذه بعض من المعطيات التي جمعتها إلى هذا اليوم. أودّ لو تلقي نظرة عليها.»

وصلت مينلي إلى الصفحة الأخيرة من ملفّ بروستر، وما لبثت أن سمعت اعتراض جان: «أرى أنّك سبقتني إلى نبش صورة للكابتن فريمان، وقد خلّث أنّي أسديك خدمة كبيرة بنبشها لك.»

إنتاب مينلي بعض التوتّر. لقد كانت جان تنظر إلى الرسم الذي نفّذته مينلي وصورّت فيه الكابتن أندرو فريمان تمهيدًا لوضعه في كتابها الجديد. أما هي فحدّقت بصورة الكابتن التي وجدتها جاين: كان الوجه هو نفسه في الصورتين.

43

خرج سكوت كوفي إلى الشرفة، حاملًا كأسًا من الجعة، فيما فريق المحقّقين والتحريّين يفتّش المنزل. كان متجهّم الوجه. جلس وقد

أدار ظهره لمنزل آل سبراغ. لم يشأ أن يراه هنري سبراغ في هذا الموقف. لم يمنع نفسه من التفكير: «لو لم يظهر إسم تينا في هذه القضية، لما كانت الشرطة تفتش منزله في تلك اللحظة».

مع ذلك، حاول أن يهدأ. فلا داع للقلق، هو لم يقم بأي سوء. ماذا توقعت الشرطة أن تجد في المنزل؟ فليفتشوا ليل نهار، لن يجدوا لديه ما يدينه.

لقد نصحه آدم نيكولز بملازمة المنطقة إلى أن تنجلي الحقيقة بشأن وفاة فيفيان وتُسوّى مسألة وصيّتها. لكنّ سكوت أدرك أنّه بدأ يكره المنزل وكايب كود أيضًا. فقد أصبحت إقامته في المنزل كإقامته في سجن.

لقد عمل في الشتاء السابق في أحد مسارح بوكا راتون، في فلوريدا. راقه العمل هناك، حيث ينوي شراء منزل والاستقرار، ما إن ينتهي من هذه القضية. لربّما اشترى أيضًا مسرحًا هناك.

عاد وكرّر لنفسه «لا تملك الشرطة أي دليل ضديّ. مجرد اشتباه وحسد ونميمة. لا شيء جدير بأن يُرفع إلى المحكمة.»

بعد الإنتهاء من التفتيش، أعلن أحد المحققين لنات كوغان: «المنزل نظيف.»

أمّا نات، فردّ عليه بحدّة «إنه بمنتهى النظافة» وتابع تفتيش المكتب. كلّ ما وجدوه كان بعض البريد الشخصي الموجه إلى فيفيان، عدد من الرسائل من أصدقاء لها للتهنئة بزواجها وبعض البطاقات البريدية من أوروبا أرسلها لها بعض الاقرباء؛ بالإضافة إلى رزمة صغيرة من الفواتير المدفوعة. لا أقساط، لا رهونات، لا قروض لشراء سيارة.

راجع نات فاتورة الهاتف، التي لم تكن عالية. لقد حفظ عن ظهر قلب رقم هاتف تينا. لم يجد ضمن لائحة الاتصالات أي اتصال بها خلال الأشهر الثلاثة الماضية.

أما حسابات المصرف، فكانت مثيرة للاهتمام. لم يكن ليفيان سوى حساب مصرفي واحد باسمها في المصرف المحلي، وكان باسمها لوحدها. أما كوفي فلم يكن له أي حساب في المصرف. ما يؤكد أنها كانت تمدّه بالمال، وأنها لم تشأ يوماً إطلاعها على حجم ثروتها.

كان الزوجان كارينتر قد أخبرا نات بأن المنزل خالٍ من أي صورة ليفيان. في معرض البحث، وجد نات الصور في غرفة الضيوف، بالإضافة إلى صندوق مليء بأغراض فيفيان الشخصية، كان سكوت قد حضّره ليعيده إلى العائلة. لكنّه لم يضع فيه أي صورة تجمعها بفيفيان، ما وصفه نات بمراعاة لمشاعر العائلة.

أما صور سكوت وفيفيان معاً، فكانت مقدّسة على أرضية حجرة صغيرة، مخصّصة للتخزين. لم يكن المكان المناسب لحفظ أغراض شخصية عاطفية.

أما بالنسبة إلى ملابس فيفيان، فقد وُضبت بترتيب في حقيبة السفر خاصتها. من يكون المرسل إليه يا ترى؟ لن تكون تينا. فالملابس لا تناسب مقاسها. كان نات واثقاً من أنّ الملابس مُرسلة إلى محلّ لبيع الملابس المستعملة.

لم يتوقع أن تجد الشرطة أي أثر لخاتم الزمرد. فحتى لو كان الخاتم بحوزة كوفي، لن يكون هذا الأخير غيباً ليحتفظ به في المنزل حيث تعثر عليه الشرطة. يبدو ان فيفيان لم تكن تهوى المجوهرات. لقد وجدت الشرطة بين أغراضها خاتم الخطوبة وبعض الأساور

والأقراط، كلَّها في علبة مجوهرات صغيرة في غرفة النوم الرئيسية. لا شيء منها كان نفيسًا، باستثناء خاتم الخطوبة.

قرَّر نات تفتيش مرآب السيارات بنفسه. لقد كان مرآبًا تابعًا للمنزل، كبير المساحة، يتسع لسيَّارتين. وجد نات فيه رفوفًا حملت بعضًا من عُدة الصيد والغطس، وبعض الأدوات، بالإضافة إلى عُدة الغطس التي كانت فيفيان تضعها عندما لفظ البحر جثتها.

لم يملك كوفي وفيفيان سوى سيَّارة واحدة، وهي بي.أم من الطراز الأحدث. كان نات يعرف أنَّ السيارة باسم فيفيان. في تلك اللحظة، استرجع نات كلام والدته تعليقًا على زواج أختها الكبرى منذ بضعة سنوات: «لقد عملت جاين طوال هذه السنوات وجمعت ثروة. ماذا أعجبها في ذلك البائس؟ فقد تزوجها وهو مفلس». تلك كانت حال كوفي.

نظر نات إلى السيارة ولمعت عيناه. لقد كانت البي.أم مركونة في الناحية اليسرى من المرآب. أما الأرض من الناحية اليمنى، فحملت آثار زيت.

جثم نات على ركبتيه. لم يرَ اي رشح للزيت من سيارة البي.أم. وتذكَّر أنه لم ينتبه لأي آثار زيت في الممرّ المؤدي إلى المنزل.

مَن قد ركن سيَّارته هنا، مرَّات عدَّة وليس مرَّة واحدة. ولأَي سبب تُركن سيَّارة ضيف في المرآب؟ لسبب وجيه، حرصًا على ألا يعرف أحدٌ بوجود ذلك الضيف.

في تلك اللحظة، قرَّر نات خطوته التالية: التأكَّد من أن سيارة تينا لا ترشح زيتًا.

44

كانت ديب كوغان تمضي أوقاتاً رائعة. فقد اعتادت غسل شعرها بنفسها وتجعيده، ومن ثمّ تنشيفه. لم تكن تقصد صالون التزيين المتواضع في الجانب الآخر من المدينة سوى مرّة كلّ ستّة أسابيع. لقد كانت تلك زيارتها الأولى إلى صالون «تريسيز»، صالون التزيين الأول في تشاتهم.

أحسّت بالإسترخاء وهي تتأمل ديكور الصالون الأنيق، بلونَي الزهر والأخضر. كما استمتعت بغسيل الشعر الذي تضمّن تدليكَاً للرقبة. أحبّت طريقة تجعيد شعرها والخصل الذهبية التي موجت شعرها البني المتوسط الطول. كم استمتعت بتقليم أظافر يديها ورجليها. وهي لم تختبر عبثاً هذا كلّهُ، بل كان ذلك انطلاقةً من رغبتها في التحدّث إلى أكبر عدد من العاملات في الصالون، اللواتي أبدين تجاوباً معها ما لبث أن بدّد مخاوفها الأولىّة. أما حديث الساعة، فدار عن إمكانية إدانة سكوت كوفي بقتل زوجته.

لم تجد ديب عناية في حمل بيث، التي غسلت لها شعرها، على التحدّث عن فيفيان كاربنتر كوفي. لكنّ كلّ ما عرفته منها هو أنّه كاد يُغمر عليها عندما علمت بحجم ثروة فيفيان.

قالت لديبي: «لم يحصل أن أعطتني البقشيس يوماً. أما مصفّف الشعر فتكرّمت عليه بالقليل. وإن دخلت أذنيها بالخطأ نقطة ماء، في أثناء غسل شعرها، راحت تصرخ وترثي لحالتهما. أشكّ في أن تكون طبلتنا أذنيها حسّاستين إلى هذا الحدّ. كانت دوماً تتبجّح بتعلّمها الغطس.» من جهته، كان مصفّف الشعر أكثر رفقا في الحكم عليها.

«لقد انتابنا الخوف عندما أصبحت فيفيان زبونة الصالون. فهي لطالما قلقت على شكلها وتسريحتها، واعتادت أن تُحمّل العاملين في الصالون المسؤولية، في حال لم ترضها النتيجة النهائية. أنا أشفق عليها. فقد كانت سيّدة جميلة ولكن نزقة الطباع متقلّبة، تغضب من كلّ شيء. كانت لتحوّل القديس مجنوناً.»

أما المسؤولة عن تقليص الاظافر، فكانت لها حصّة هي أيضًا في الثروة. لكنّ كلامها لم يقدّم ولم يؤخّر.

كانت مُتيمّمة بزوجها. أليس وسيماً؟ في أحد الأيام، وفيما كان يجتاز الشارع ليقلمها، لمحته واحدة من العاملات الجديديات في الصالون، فقالت: «عذراً، سوف أخرج إلى الشارع وأرمي بنفسي أمام ذلك العملاق». قالتها ممازحة، من دون أن تدري أنها تقلّم أظافر فيفيان. فصرخت هذه الأخيرة في وجهها: «لماذا ترغب كلّ ساقطة في هذا العالم بمغازلة زوجي؟»

سألته ديبى: «متى حصل ذلك؟»

«قبل أسبوعين أو ثلاثة من غرقها.»

لم تُدرك ديبى الجدوى من زيارتها الصالون، إلا عندما دخلت الغرفة المخصّصة لتقليم أظافر الرجلين. لقد كانت غرفة منفصلة، وضع فيها كرسيّان فوق حوضين لغسل الأرجل.

قالت لها الموظّفة ماري: «لا تحركي أصابع رجلك، سيّدة كوغان. فأنا لا أريد أن أجرحك.»

أما ديبى فردّت: «لا يسعني منع نفسي من القيام بذلك. فأصابعي حسّاسة.»

ضحكت ماري وقالت: «هذه كانت حال واحدة من زبونات

الصالون. لم تُقلّم يوماً أظافر رجليها. لكن لما تزوّجت أقنعناها بضرورة ترتيب رجليها لتظهرها بمظهر حسن».

في تلك اللحظة أثارَت ديبى إسم فيفيان. «المسكينة فيفيان كاربنتر، لم تعش سوى ثلاثة أشهر بعد زواجها.»
قالتها وتنهّدت.

«أعرف ذلك. كانت حادثة فظيعة. ساندرًا، الزبونة التي حدّثتك عنها، تلك التي كانت ترفض تقليم أظافر رجليها.»
«لقد تذكّرتها.»

«حسنًا، يوم زواجها، أتت إلى الصالون وجلست على هذا الكرسي بالذات وكانت فيفيان تجلس بالقرب منها. راحتا تتحدّثان. ساندرًا من نوع النساء اللواتي يُخبرنك كلّ شيء عنهنّ.»
«عمّ كانت تتكلّم في ذلك اليوم؟»

«كانت تخبر فيفيان بأنّها في طريقها إلى مكتب المحامي للقاء خطيبها وتوقيع اتفاق ما قبل الزواج.»

سوّت ديبى جلستها وسألت: «وما كان تعليق فيفيان؟»
«حسنًا، قالت ما يشبه: برأيي، إن لم يكن الزواج مبنياً على حبّ وثقة، لا فائدة من إتمامه.»

مسحت ماري قدمي ديبى بقليل من الغسول وراحت تدلّكهما.
«أخبرت ساندرًا فيفيان بأنّها قد تزوّجت من قبل وانفصلت عن زوجها بعد ثلاث سنوات من الزواج. كانت ساندرًا تملك عددًا من المحال التجارية، وقد ادّعى زوجها بأنّه ساعدها في الأعمال. لقد كان في الواقع جاهلاً لا يعرف شيئًا عن إدارة المحلات. برأي ساندرًا، عندما يملك أحد الزوجين المال، يدفع منه الكثير في حالة الانفصال.»

سألته ديبى: «وما كان رأي فيفيان؟»

«لقد بدت فيفيان منزعة بعض الشيء. وصفت وجهة نظر ساندرنا بالمثيرة للاهتمام. وأضافت: لربّما يجدر بي الاتصال بالمحامي.»

«هل كانت تمزح؟»

«لا أعرف. من الصعب قراءة أفكارها.»

أشارت ماري إلى مجموعة مستحضرات طلاء الأظافر. وسألت ديبى: «هل ترغبين باللون نفسه الذي وضعته لك على أظافر يديك، أي الأحمر؟»

«نعم، من فضلك.»

رجّت ماري قارورة طلاء الاظافر، نزعت الغطاء وبدأت بطلاء أظافر ديبى بعناية ودقّة. تنهّدت وقالت: «إنه لأمر مؤسف. لقد أخفت فيفيان في أعماقها امرأة طيّبة، ولكن تفتقر إلى الأمان. رأيتها للمرة الأخيرة في ذلك اليوم الذي جلست فيه تتحدّث مع ساندرنا. وقد لقيت حتفها بعد ذلك بثلاثة أيام.»

45

كان المطعم في نادي اليخوت في هيانيس يطلّ على الميناء. ولمّا كان جون عضوًا في النادي منذ زمن بعيد وواحدًا من رواد المطعم المعتادين، فقد حجز طاولة في القاعة الزجاجية التي أضيفت إلى المطعم. أصرّ على أن تجلس مينلي قبالة النافذة لتستمتع بمنظر الميناء والمراكب الشراعية واليخوت، وبرؤية البواخر التي تنقل السياح من مارتاز فاين يارد ونانتوكت وإليهما.

عندما تركت مينلي ريممبر هاوس في السابعة إلا ربعًا، كانت هانا قد استعدت للنوم. في تلك اللحظة، وفيما كانت تحتسي الشمبانيا، راودتها خاطرة. هل كان من صورة للكابتن أندرو فريمان في ملفات سبراغ، صورة لمحتها وانطبعت في لا وعيها، فيما كانت تتصفح كومة الاوراق تلك؟ هذا ما أوهمت جان بيلى به. ومن ثم تساءلت كم مرة استعملت في الأيام القليلة الماضية مصطلحي «اللاوعي» و«ما دون الوعي». ذكرت نفسها بأن المهدئات التي تتناولها بين الحين والآخر قد تكون مسؤولة عن التشوش الذي يُصيبها.

هزت رأسها لثبعت الأفكار التي تلهيها وتصرف انتباهها عما يدور من حولها. كانت سعيدة بتلبية دعوة جون وإيلين إلى ذلك المطعم. قد يكون هذا السبب وراء تخوف آدم من بقائها وحيدة، وإصراره على إحاطتها بالناس. لطالما كانت ودية، لكنّها وجدت صعوبة في إبداء أي اهتمام بالأشخاص أو بالأشياء بعد وفاة بوبي.

في خلال فترة حملها بهانا، كانت تؤلف الكتاب الأخير من مجموعة كتب دايفيد، وأحست بالرضى والسعادة لانشغالها بإنهائه. في تلك الفترة لاحظت أنّها، في أوقات الراحة حيث تنقطع لبعض الوقت عن الكتابة، كانت تستسلم للأفكار السلبية وتستشعر خطرًا قد يتمثل بإجهاضها الطفلة.

منذ ولادة هانا وهي تصارع نوبات القلق والإنهيار العصبي بينما تقع فريسة للذكريات المؤلمة، فتسترجعها مرارًا وتكرارًا. فكّرت في التوتر الذي تُسببه مشاكلها لآدم، سيّما وأنّه يعيش حياة عملية صعبة. صحيح أنّها لم تُحبذ الجهود الظاهرة التي بذلها لحملها على الخروج، لا سيما طلبه من إيبي تمضية الليل في منزلها، غير أنّها تمّنت في تلك اللحظة لو أنه إلى جانبها في المطعم.

كانت مينلي تعرف أنّها استعادت شكلها الأصلي قبل الولادة. فقد عاد خصرها إلى ما كان عليه. في تلك الليلة، اختارت أن ترتدي بذلة بلون الرمادي الفاتح مع سترة قصيرة فوقها وبنطالاً فضفاضاً. أما شعرها فربطته إلى الوراء على مستوى العنق. أكملت بذلتها بعقد من الألماس وزوج متناسق من الأقراط، هديّة من آدم في فترة خطوبتهما. أدركت أنّها مرتاحة للإهتمام بهندامها بعد أن أهملته لفترة طويلة.

سرّها أن ترى سكوت كوفي ضيقاً على مائدة إيلين وجون. وانتبهت لنظرة الإعجاب والتقدير التي رمقها بها عندما أوصلها مدير المطعم إلى الطاولة. أمّا هو فكان ساحراً، وقد كمن بعض من سحره في تناسيه وسامته. لقد كان خجولاً بعض الشيء، ويتمتع بنعمة الإصغاء ملياً لأي شخص يوجّه إليه الحديث. أشار باقتضاب إلى مذكرة التفتيش. قال لها: «مينلي، لقد كانت نصيحتك سديدة. لقد اتّصلت بآدم وأبلغني باستحالة الاعتراض على المذكرة. لكنّه أصرّ على أن أطلعه على كلّ جديد بانتظام، وعلى أن أترك آلة تسجيل المكالمات مفتوحة.»

مكتبة الرمحي أحمد

إبتسمت إيلين وعلقت قائلة: «آدم رجل حاسم.»

أما كوفي فردّ عليها: «يسرّني أنّه إلى جانبي.» ثمّ أضاف: «لا أريد إفساد الأمسية بالتحدّث في هذا الموضوع. إنّهُ لانتهاك فظيع أن تدخل الشرطة منزلك بحثاً عن دليل يُدينك، لكن ثمة فرق بين أن تتعرّض للإهانة وأن تشعر بالقلق والخوف.»

من ناحيتها علّقت إيلين بحماسة: «لا يسعني منع نفسي من التّدخل. كان يجدر بآل كاربنتر أن يبداوا نصف الإهتمام هذا تجاه

فيفيان عندما كانت على قيد الحياة. لا نفع من ذلك الآن وقد رحلت. عندما اشترى لها هذا المسكين المنزل منذ ثلاث سنوات، بدت وحيدة بائسة. جئت إليها بزجاجة من الشمبانيا وأبدت لي امتناناً يدعو إلى الشفقة عليها. كانت في المنزل وحيدة.»

قال لها جون، بما يُشبه التحذير: «إيلين.»

إنتهت إيلين لدموع تلمع في عيني سكوت، فعصّت على شفقتها وقالت: «يا إلهي! سكوت، أنا آسفة. أنت على حقّ. فلنغيّر الموضوع.» قال جون: «هذا ما سأفعله. حسنًا، نحن نقيم حفل زفافنا هنا، وأنتما أوّل من ندعوه رسميًا لحضور الحفل الذي سيقام عند الرابعة من يوم السبت الواقع فيه 26 نوفمبر. حتى أننا قرّرنا لائحة الطعام: يخنة ديك الحبش.» وقهقهه ضاحكًا.

«لا تنسيا، حفل الزفاف يصادف بعد يومين من عيد الشكر.»

وضغط على يد إيلين.

فكرت مينلي في أنّ إيلين كانت تبدو عروسًا. إنتهت إلى عنقها الأبيض الذي زينه عقد من الذهب واللؤلؤ. أما شعرها الأشقر الناعم، فقد أبرز وجهها النحيف، فيما كانت الماسة الطويلة في يدها اليسرى خير دليل على سخاء جون.

خلال تناول التحلية، خلّصت مينلي إلى أنّه يجدر بجون التحدّث بشؤون التأمين بدلًا من إخبار النكات. فقد كانت معتادة على ظرف آدم وسرعة بديهته، وازعجها أن تسمع جون يعيد على مسمعهم عبارة «هذا يُذكرني بقصة حول...»

حتى انها انتهت، في إحدى المرّات، لسكوت كوفي يرفع حاجبه وينظر إليها، لكأنّه يشاركها رأيها بجون.

مع ذلك، كان جون رجلاً طيبًا وصلب البنية. لا شك في أن الكثير من النساء حسدن إيلين عليه.

مع انتهائهم من الطعام، أحست مينلي بضرورة ملحة للعودة إلى المنزل. اقترح جون أن يلحق بها مع إيلين إلى الباب للتأكد من سلامة وصولها.

أما هي فقالت له: «لا داع لذلك، يمكنني العودة بمفردي». بذلت جهدًا لتخفي انزعاجها.

عندما وصلت مينلي إلى المنزل وجدت هانا غارقة في نوم هانئ. قالت لها إيمي «لقد كانت لطيفة ومطبعة. هل تريدين مني الحضور غدًا في التوقيت نفسه، سيّدة نيكولز؟»

أما مينلي فردت عليها: «لا، لا داع لذلك. سوف أتصل بك عند الحاجة.»

ندمت على ردّة فعلها، سيّما وانها أدركت الأذى الذي سببه كلامها لإيمي، لكنها سرعان ما أقنعت نفسها برغبتها في البقاء بمفردها مع هانا لحين عودة آدم من نيويورك في اليوم التالي.

في تلك الليلة، لم يجد النعاس سبيلًا إليها. فهي ما انفكت تُفكّر في رزمة الصور والرسوم التي وقعت عليها ضمن ملفات فيبي سبراغ. بالكاد ألقت عليها نظرة. كانت بمعظمها رسومًا تظهر المستعمرين الأوائل، لم يحمل بعضها أي تسمية؛ أو خرائط لبعض المنازل أو رسومًا للمراكب الشراعية.

هل يُعقل أن تكون قد وقعت على رسم بدون اسم مرفق بالملف، فنسخته باللاوعي في محاولة لتصوّر شكل الكابتن أندرو فريمان؟ لم

يكن غريب المظهر. لقد علمت أن الكثير من بخارة القرن الثامن عشر تميّز بلحية داكنة وقصيرة.

سخرت من نفسها فيما تساءلت: «هل يُعقل أن أكون قد لمحت رسمه ومن ثم صوّرت وجهه؟» من جديد ردّدت مصطلحي «اللاوعي» و«ما دون الوعي» وقالت: «يا إلهي، ماذا يحدث لي؟»

توقّفت عن عملها ثلاث مرات قبل الثانية صباحًا، ودخلت غرفة هانا للاطمئنان عليها، فوجدتها غارقة في نوم عميق. فكّرت: «لم يمض على وصولنا إلى كايب سوى أسبوع واحد، وها أنا أراها قد كبرت. داعبت ذراع الطفلة الممدودة.»

سُرعان ما أثقل النعاس جفونها وأدركت أنها لن تلبث أن تغفو. مدّت يدها إلى وسادة آدم ولمستها. إشتاقت إليه كثيرًا. هل أتصل هذا المساء؟ على الأرجح أنه لم يفعل. فلو فعل، لكانت إيمي أبلغتها بذلك. لكن، لماذا لم يحاول الاتصال قرابة العاشرة والنصف؟ فهو يعرف أنها ستكون قد عادت إلى المنزل في تلك الساعة.

فكّرت: «لربّما كان يجدر بي الاتصال به لأخبره عن الأمسية الممتعة التي أمضيتها. على الأرجح لم يجرؤ على الاتصال بي خوفًا من أن أخبره بأنني لم أستمتع بالسهرة. يا إلهي، كم أودّ أن أكون طبيعية.»

إستفاقت عند الرابعة فجرًا على هدير قطار يهزّ أرجاء المنزل. كانت واقفة على تقاطع سكة الحديد تحاول أن تجتازها قبل وصوله. لكنّ القطار كان يقترب منها.

سدّت أذنيها في محاولة لخنق الصوت وهُرعت إلى غرفة الطفلة. يجب أن تنقذ بوبي.

كانت هانا تصرخ، فيما تُحاول إزاحة الغطاء عنها.

فكرت مينلي في أن القطار سيقتل هانا هي أيضًا. كانت تحاول أن تتبين بعض الحقيقة في خضمّ التشوّش الذي أصابها. لكنّ القطار ما لبث أن ابتعد وتلاشى صوت عجلاته في الليل. أما هانا فواصلت الصراخ. ما كان من مينلي إلا أن صرخت هي أيضًا «كُفّي عن ذلك، توقّفي عن الصراخ!» ازداد زعيق الطفلة. قامت مينلي من سريرها وتمدّدت في السرير المقابل لمهد الطفلة وهي ترتجف، لا تجرؤ على حمل هانا. تنهى إلى مسمعها من الطابق السفلي صوته. لقد كان بوبي يناديها «أمي، أمي!» مدّت مينلي ذراعيها وهي تصرخ باسمه وتهبّ لنجده.

10 أغسطس

46

حدّد المدعي العام اجتماعًا بعد ظهر الأربعاء في مكتبه الكائن في دار العدل في بارنستايل. على قائمة الحضور، المحققون الثلاثة الذين شاركوا في تفتيش منزل كوفي، بالإضافة إلى الطبيب الذي أجرى التشريح، وخبيرين من فرقة خفر سواحل وودس هول، يُستجوب أحدهما عن أحوال التيارات البحرية يوم غرق فيفيان كاربنتر، فيما يناقش الثاني حالة غُدّة الغطس التي كانت ترتديها.

كان نات كوغان هو أيضًا من المدعّوين. عن الموضوع، قال لزوجته: «عليّ مباشرة عملي في ساعة مبكرة يوم الأربعاء. فأبدأ بمعاينة سيارّة تينا للتأكد من أي تسرّب محتمل للزيت منها، ومن ثمّ أقابل محامي فيفيان لسؤاله عن أي اتّصال أجرته به قبل وفاتها.» قالها فيما كانت ديبى تضع في صحنه بعض الفطائر. كان إبناهما قد انتهيا من تناول الفطور وذهب كلّ منهما إلى عمله الصيفي.

قالت ديبى بحسرة: «لا يجدر بي أن أقدم لك الفطائر، من المفترض بك أن تخسر بعض الوزن.»

«أنا بحاجة الى الطاقة اليوم، حبيبتي.»

هزّت ديبى رأسها وأجابت: «لا شكّ في ذلك». أمّا نات، فراح يتأمل بإعجاب خُصل شعرها الفاتحة التي صبغتها مؤخرًا وقال لها: «الليلة أدعوك لتناول العشاء خارج المنزل، أريد أن يرى الجميع جمالك. بالمناسبة، لم تطلعي على كلفة صبغ شعرك وتغيير تسريحته». ناولته ديبى الشراب وردّت عليه: «أنصحك بالتهام الفطائر. ذاك أفضل من أن تعرف الكلفة».

كانت محطة نات الأولى في نُزل واي سايد، حيث وجد تينا تعمل في غرفة الطعام. من ثمّ قصد المكتب. لم يكن هناك سوى السكرتيرة، فبادرها بالقول: «لديّ سؤال وحيد عن تينا». هزّت كتفيها بلا مبالاة وردّت عليه: «يمكن أن تسأل ما تشاء. فقد سمحوا لك في ذلك اليوم بمطالعة ملفّها». سألتها نات: «مَن قد يعرف هنا إذا كانت تتلقّى مكالمات شخصية؟»

«لم تكن تتلقّى مكالمات شخصية. ففي الحالات الطارئة، نحن من يتلقّى المكالمات. نُسجّل الرسالة، ومن ثمّ تعاود النادلة الاتصال في وقت الاستراحة.»

بدا لنات أنّه أمام حائط مسدود. مع ذلك تابع قائلاً: «هل تعرفين نوع السيارة التي تقودها تينا؟» أشارت السكرتيرة بإصبعها إلى مرآب السيارات في الخارج وقالت: «إنّها سيّارة التويوتا الخضراء المتوقّفة هناك». لم تكن سيارة حديثة الطراز. إنتهى نات لبقع الصدأ على رفراف

العجلات، جثم بعض الشيء وألقى نظرة على محمل السيارة. بانث له بعض بقع الزيت على الأرض.

لم يتفاجأ نات بما رآه، فقد توقَّعه. وقف على رجليه ونظر عبر نافذة السائق إلى داخل السيارة. لقد كان الداخل قذرًا. أشرطة مبعثرة هنا وهناك على المقعد المحاذي لمقعد السائق. عبوات مشروب فارغة على الأرض. ألقى نظرة عبر الزجاج الخلفي، حيث تكومت الصحف والمجلات على المقعد. على الأرض، لمح عبوتين من الزيت فارغتين وقد غطتهما جزئيًا أكياس من الورق.

أسرع إلى المكتب من جديد. بادر السكرتيرة بالقول: «لدي سؤال أخير. هل تعمل تينا دوامًا محددًا في مكتب الحجز؟»

ردت عليه السكرتيرة: «نعم. دوامها هناك من الحادية عشرة إلى الحادية عشرة والنصف، خلال استراحة كارن.»

«بالتالي، قد تكون تلقّت اتصالات شخصية هناك؟»

«ذلك ممكن.»

«شكرًا جزيلًا.»

غادر نات النزل بارتياح كبير وقصد محامي فيفيان.

إتخذ ليونارد ويلز مجموعة من المكاتب في أحد المباني القريبة من ماين ستريت في هاينيس مقرًا لأعماله. كان رجلًا في العقد الخامس من العمر، متحفظًا، يضع نظارات لم تُخف عينيه البنيتين العميقتين. إرتدى بزة خفيفة بلون البيج. لم يكن من النوع الذي يفتح ياقة قميصه ويُرخي ربطة العنق علنًا.

«حضرة التحري كوغان، أنت على علم بالزيارة التي خصني

بها مساعدو المدّعي العام، وكذلك بزيارة محامي آل كاربنتر وممثل شركة التأمين التي أجرت التأمين على خاتم الزمرد. بالتالي، كيف لي أن أساهم أكثر من ذلك في التحقيق؟»

ردّ عليه نات بلطف: «لربّما لا يمكنك المساهمة، لكن ثمة احتمال أن تكونَ قد غفلتَ عن تفصيل معيّن. أنا على علم ببنود وصيّتها.»

«إنّ أموال فيفيان، بالإضافة إلى المنزل والمركب والسيارة والمجوهرات، كلّها تعود إلى زوجها الجديد.»
قالها المحامي بنبرة من الاستياء.

«مَن كان المستفيد من وصيّتها السابقة؟»

«لم يكن من وصيّة سابقة. لقد أتت فيفان إلى مكّتي منذ ثلاث سنوات، يوم حصلت على تركتها البالغة قيمتها خمسة ملايين دولار.»

«لِمَ أتت إليك بالذات؟ أقصد القول، لمِ لم تستشر أحد محامي عائلتها؟»

«في ذلك الوقت، نصحتها أحد أصدقائها باستشارتي، وقد كان راضيًا عن أدائي. أمّا فيفيان فلم تشأ توكيل أحدٍ من المستشارين القانونيين الذين يعملون لحساب عائلتها. سألتني أن أقترح عليها مصرفًا تودع أموالها في خزنة من خزائنه. كما سألتني عن مستشار مالي جدير بالثقة تراجع معه ثروتها الضخمة، وعن رأيي بورثتها المحتملين.»
«لقد أرادت تحرير وصيّة؟»

«لا، لم تُرد القيام بذلك. جلّ ما أرادت معرفته هوية وريثها في حالة الوفاة. قلتُ لها إنّ أفراد عائلتها هم الورثة المحتملون.»

سأله نات: «وهل كانت راضية عن الجواب؟»

«لم تشأ أن تترك لهم ثروتها هدية لأنهم لا يستحقونها. لكنهم كانوا سيحصلون عليها قانوناً وبحكم الواقع، بما أنها لم تكن مرتبطة بأحد. إلا أن الوضع تغير عندما التقت كوفي.»

«هل أصريت عليها بضرورة تحرير اتفاق ما قبل الزواج؟»

«كان الأوان قد فات. فقد تزوجت. مع ذلك، سألتها بإلحاح تحرير وصية أكثر تعقيداً، تضم أحكاماً وبنوداً خاصة بالأولاد. فالوصية كانت لصالح زوجها، هو الوريث المطلق للثروة الكاملة. لكنها ردت عليّ بأنها ستفكر في تعديل الوصية عندما تحمل. كما أنني لفت نظرها إلى بعض الاجراءات الكفيلة بحماية ثروتها، في حال فشل الزواج.»

جال نات بنظره في أرجاء الغرفة. أعجبت به الجدران المُعتقة والرفوف وراء المكتب حيثُ تكدست كتب القانون. لوحات تُصوّر مشاهد صيدٍ في الريف الانكليزي وسجادة شرقية: كلُّها تنم عن ذوق رفيع. لقد ارتاح نات لشخصية ليونارد ويلز وأحسّ تجاهه بالإحترام والتقدير.

«سيد ويلز، هل كانت فيفيان تُكثر من التردّد إلى مكتبك

للاستشارة؟»

«لا. كانت تستشيرني في ما يتعلق بحساب متواضع احتفظت به في أحد المصارف المحلية. فقد كانت راضية عن عمل الخبير المالي الذي عرّفها به وكانت تجتمع به فصلياً في بوسطن. بما أنّها تركت مفتاح الخزانة في مكتبي، كانت تأتي من وقت لآخر لأخذه، فنتبادل النكات.»

سأله نات: «لم تركت مفتاح الخزانة هنا؟»

«لقد كانت فيفيان مهملة وطائشة. أضاعت المفتاح مرتين السنة الماضية واضطرت لتسديد ثمن باهظ للمفتاح البديل. وبما أنّ المصرف قريب من هنا، فقد قرّرت تعيين أمينٍ على الخزنة. في حياتها، كانت الوحيدة المُخوّلة فتح الخزنة. بوفاتها، أُفرغت الخزنة وخضعت محتوياتها للجردة.»

«هل اتّصلت بك فيفيان قبل ثلاثة أيام من وفاتها؟»

«نعم. لقد ورد الاتصال فيما كنت أمضي إجازتي.»

«هل عرفت سبب اتّصالها؟»

«لا. لم يكن بسبب مفتاح الخزنة ولم تُطلع شريكي على سبب الاتصال. إكتفت بإبلاغي بضرورة الاتصال بها لدى عودتي من الإجازة. للأسف، عندما عدتُ كان قد مضى على وفاتها يومان.»

«بأي لهجة كلّمت السكرتيرة؟ هل بدت لها حزينة غاضبة؟»

«لطالما شعرت فيفيان بالغضب والحزن عندما يغيب عنها الأشخاص الذين ترغب في مقابلتهم.»

تابع نات: «هل سبق لك وقابلت سكوت كوفي، سيّد ويلز؟»

«مرّة وحيدة. لدى تلاوة الوصيّة.»

«ما رأيك به؟»

«إليك رأيي به. قبل لقائه، تصوّرتَه في ذهني صائد الثروات الذي أغوى شابّة رقيقة حساسة، ليستفيد من ثروة آل كاربنتر، هو الغريب عن العائلة. لكنني ما لبثت أن غيّرت رأيي به. فقد بدا لي متأثراً بوفاة زوجته، وقد أبدى ذهولاً واضحاً لدى إطلاعه على حجم ثروتها، هذا إن لم يكن ممثلاً بارعاً.»

47

استشعر هنري سبراغ أمرًا مريبًا. فبعد ظهر الثلاثاء، راقب سيارات الشرطة وهي تتوقف أمام منزل سكوت كوفي. راح يتلصص من النافذة الجانبية ورأى الشرطي يسلم كوفي مذكرة تفتيش. بعد ذلك بوقت قليل، وفيما جلس مع فيبي في الشرفة، لمح كوفي على شرفة منزله وقد بانّت عليه علامات اليأس والاكتئاب.

لم يغمض لهنري جفن في تلك الليلة وهو يكرّر لنفسه أنه لم يكن ليشتبه بسكوت كوفي، لولا رؤيته مع تلك الشابة تينا في حانة شيشاير. راح يتذكّر اللقاء الأول الذي جمعه بفيبي. في تلك الفترة، كانت طالبة دكتوراه في جامعة يال. أمّا هو فكان قد حاز شهادة الماجستير من جامعة أموس تاك وأسس شركة استيراد وتصدير. منذ اللحظة الأولى التي وقع عليها نظره، أيقن أنّ جميع الفتيات اللواتي عاشرهنّ من قبلها كنّ عابرات سبيل لا غير. من بينهنّ فتاة تدعى كايت، لم تكفّ عن الاتصال به، وقد ألمها فراقه.

فكّر: «لنفترض أنني وافقت على لقاء كايت بعد الزواج، في جلسة مصارحة لا أكثر، وأساء بعضهم تفسير اللقاء. هل يُعقل أن تكون تلك الحالة نفسها مع سكوت وتينا؟»

صباح الأربعاء، قرّر ما عليه فعله. لقد حضرت بيتي، عاملة التنظيف التي يعرفانها منذ زمن طويل، وترك فيبي في عهدها. لم يتصل بسكوت ليعلمه بحضوره، فقد أراد مباغتته. في تمام العاشرة قصد منزله ودقّ جرس الباب. عبر حجاب النافذة، تبين سكوت جالسًا إلى طاولة المطبخ يشرب القهوة ويطلع الجريدة.

كان هنري واثقًا من أنّ جاره لن يُسرّ كثيرًا بزيارته. تقدّم سكوت من الباب لكنّه لم يفتحه. «ماذا تريد منّي، سيّد سبراغ؟»
 أمّا هنري فلم يتصنّع الردّ بل قال: «أنا أدين لك باعتذار».
 كان كوفي يرتدي قميصًا رياضيًا مع شورت بلون الكاكي وحزامًا جلديًا. أما شعره الأشقر، فكان مبللًا، كأنه استحمّ لتوّه. إختفت علامات العبوس عن وجهه وبادر ضيفه بالقول: «تفضّل بالدخول».
 تناول كوبًا من الخزانة وسكب فيه القهوة لضيفه بدون أن يسأله. قال له: «لقد عرفْتُ من فيفيان أنّك مدمن على القهوة».
 استمتع هنري بالقهوة، فقد كانت لذيدة، لا بل ممتازة. جلس قبالة كوفي إلى الطاولة نفسها وراح يرتشف القهوة بهدوء لبضع لحظات. لكنّه ما لبث أن أبدى لسكوت، بكلمات اختارها بعناية، أسفه وندمه على إخباره التحرّي باللقاء الذي جمع سكوت وتينا في الحانة، بعد ظهر ذلك اليوم. من ناحيته، لم يعترض سكوت على الكلام ولم يبد أي احتجاج، فشرع هنري بالإرتياح لذلك. فقد ردّ سكوت عليه قائلاً: «إسمعني سيّد سبراغ، أنا أتفهم تصرفك، فأنت قمت بما رأيته واجبًا عليك. كما أتفهم تدخل الشرطة وموقف عائلة فيف وأصدقائها. مع ذلك، ألقت نظرك إلى أنّ فيفيان لم تكن محاطة بكثير من الاصدقاء الذين يهتمون لأمرها. يسرّني أنّك تدرك ما أتخبّط به اليوم: فأنا مشتاق لزوجتي من جهة، وعرضة لشكوك الناس بي واعتباري قاتلها، من جهة أخرى.»

«نعم، أظنّ أنني بدأت أدرك ألمك.»

سأله سكوت: «أو تُدرك ما المخيف في الموضوع؟ إنّها الطريقة التي يعتمدها آل كاربنتر في إثارة النفوس وتجييشها. فثمة احتمال

قَوِي أَنْ تُوجِّهَ إِلَيَّ بِنْتِجَتِهَا تَهْمَةَ الْقَتْلِ.»

وقف هنري وقال لمُضيفه: «عليّ العودة إلى المنزل. لا توفّرني إذا احتجت إلى مساعدتي. لم يكن يجدر بي الثرثرة. لكنني أعدك: في حال استدعيْتُ للشهادة، سأقول جهراً وبصراحة أنني شهدت، منذ لحظة زواجكما، على تحوّل تلك الشابة التعيسة إلى شابة سعيدة ومتفائلة.»

«هذا ما أسألك فعله، سيّدي. يكفي أن يقول كلّ شخص الحقيقة، فأفلت من تهمة القتل.»

«هنري.»

إستدار الرجلان فيما فتحت فيبي الباب ودخلت المنزل. جالت بنظرها في أرجاء القاعة وسألت بشيء من التوتّر والغموض: «هل سبق لي أن اخبرتكما قصّة توبياس نايت؟»

«فيبي... فيبي...» كانت جان بالي تقف وراءها. قالت لهنري: «أسفة. لقد مررتُ بمنزلكما للحظات قليلة وطلبتُ من بيتي الإهتمام بعملها، بما أنني أجلس مع فيبي وأرعاها. لكنني، ما إن غفلت عنها قليلاً، حتّى...»

أما هنري فردّ: «لا عليك، أنا أتفهم ما حدث. تعالي معي حبيبتي.»

سَلَّم على سكوت مودّعاً، ومن ثمّ طوّق زوجته بذراعه وسار بها، بصبر وهدوء، إلى المنزل.

48

عبثًا فَتَشَت مِينلي مسعورةَ غِرف الطابِق السفلي. فِهي لم تَتَبِين مصدر صوت بوبي. لَكَنها، ما لبثت أن سمعت نحيب هانا يخرق وِعيها. فعادت أدراجها إلى غِرفة الطفلة. دخلت على الصغيرة التي استحال نحيبها إلى حازوقة وِغصّة.

أدركت أنّ هانا تبكي منذ وقت طويل، فاقتربت منها وهمست: «طفلي العزيزة». رفعتها من المهد، لَفَتها بالغطاء ومن ثمّ تمدّدت على السرير المقابل للمهد.

وضعت الطفلة على ثديها لترضع. فتوقّفت الحازوقة وما لبثت الصغيرة أن غفت راضية.

أرادت أن تُبقي الطفلة على صدرها، لكنّ التعب أخذ منها كلّ مأخذ واستسلمت لحالة أشبه بالغيبوبة. وكما فعلت منذ أيام قليلة، وضعت وسادة في المهد، ثمّ مدّدت هانا وغطّتها. أما هي فغرقت في سبات عميق، وقد وضعت يَدًا على المهد، فيما التفّ إصبع الطفلة حول إبهامها.

إستفاقت عند الثامنة على رنين الهاتف، خلافًا لهانا التي بقيت غارقة في النوم. سارعت إلى غرفتها للردّ على الاتصال. لقد كان آدم.

بادرها بالسؤال: «أيعقل ان تكونا، هانا وأنت، نائمتين إلى هذه الساعة؟ ولماذا لا يطول نومها الصباحي أثناء وجودي في المنزل؟»

عرفت مينلي أنه كان يمزح. فنبرة صوته نمت عن حنان ومرح. لم عليها دومًا أن تبحث عن المعاني المبطنة في كل ما يقوله؟
ردت عليه: «لطالما تباهيت بهواء المحيط العليل والمنعش. يبدو أنّ هانا قد بدأت تصدق كلامك.» فكرت في العشاء وأردفت: «آدم، لقد أمضيتُ أمسية رائعة.»

«يسرتني ذلك. لم أشأ أن أسألك لئلا تغضبي.»

وتابع: «هل اقتصر الحضور عليك، وإيلين وجون؟»

«لقد حضر أيضًا سكوت كوفي.»

«بادرة جيدة. فقد شددتُ له على ضرورة أن يلازم المدينة، حتى أتمكن من الاتصال به ومقابلته متى شئتُ ذلك. هل أتى على ذكر مذكرة التفتيش؟»

«إكتفى بوصف الأمر بالتطفل. برأيه ليس هناك ما يدعو للقلق.»

«جيد. ماذا عنك حبيبتي؟ هل أنت بخير؟»

قالت مينلي في نفسها «أنا بخير. خيل إليّ سماع هدير قطار في المنزل وابني المتوقفي يناديني. فرحت أبحث عنه، فيما هانا تنتحب وتصرخ.»

ردت عليه: «نعم، أنا بخير.»

«لم ينتابني شعور بأنك تخفين عليّ أمرًا ما؟»

«لأنك محام ذكي، مدرّب لالتقاط المعاني المبطنة.» قالتها وأرغمت نفسها على الضحك.

«لا نوبات؟»

«قلتُ لك إنني بخير.» أرادت إخفاء استيائها وذعرها. لطالما تمكن آدم من فضح مشاعرها الحقيقية. حاولت تغيير الموضوع.

قالت: «لقد كان العشاء ممتعًا، لكنّ جون لم ينفكّ يردّد عبارته الشهيرة: هذا يذكّرني بقصة...» ويسترسل في الكلام. ضحك آدم ضحكة خافتة وردّ عليها: «إيلين مغرمة به. وإلا، لما كانت احتملت تصرفاته وكلامه. هل تقلّيني من المطار عند الخامسة؟»

«سأكون هناك.» مكتبة الرمحي أحمد ٥٥

بعد أن حمّمت هانا وأطعمتها ووضعتها في حظيرة اللعب النقالة، اتّصلت مينلي بالطبيبة النفسية التي كانت تعالجها في نيويورك. إعترفت لها: «أنا في مأزق.»

«أخبريني، كليّ أذان صاغية.»

إنّتقت مينلي كلماتها بعناية وأخبرت الدكتور كوفمان عن استيقاظها ليلاً وسماعها هدير قطار وصوت بوبي يناديها. «وقرّرتِ ألا تحملي هانا فيما كانت تبكي؟»

لم يخفّ على مينلي أن الدكتور كوفمان كانت تحاول أن تعرف ما إذا خافت أن تؤذي الطفلة. قالت لها: «كنت أرتجف، فخفت أن أحملها فأوقعتها أرضًا.»

«هل كانت تبكي؟»

«لا، بل تصرخ.»

«هل أغضبك صراخها مينلي؟»

تردّدت مينلي، ثمّ قالت همسًا: «نعم، أغضبني. جلّ ما أردته أن تكفّ عن البكاء والصراخ.»

«لقد فهمت. برأيي، لا مفرّ من زيادة جرعة الدواء الذي

تتناولينه. قد أكون أخطأت في تخفيفها الأسبوع الماضي. سوف أرسلها لك بالبريد.»

فكرت مينلي في احتمال أن توصل الدكتور هوفمان الدواء إلى مكتب آدم. لكنها لم تشأ أن يعرف باتصالها بها. ردّت عليها بهدوء: «لست متأكّدة من أنني أعطيتك العنوان هنا.»

أقفلت مينلي الخطّ وجلست إلى طاولة العمل. عندما غادرت جان بالي في اليوم السابق مرّت بسرعة على ملفات الصور الخاصة بفيبي سبراغ، علّما تجد بينها صورة للكابتن أندرو فريمان. قرّرت الاستمرار في بحثها، فانكبّت تسترجعها صورة صورة لساعات طويلة، لكنها لم توفّق إلى شيء.

راحت تقارن الرسم الذي نفّذته بذلك الذي أحضرته لها جان بالي. كانا متشابهين إلى حدّ كبير. أما الفارق الوحيد فهو أنّ الكابتن بدا في رسم بالي واقفاً وراء دفة المركب. وتساءلت من جديد: «كيف لي أن أتكهّن شكله؟»

تناولت دفتر الرسم. لقد غزت ذهنها صورة لميهيتابيل وأرادت تجسيدها حبراً على ورق. شعر بنيّ يصل إلى الكتفين وقد بعثره الهواء؛ وجه رقيق ناعم؛ عينان واسعتان داكنتان؛ يدان دقيقتان ورجلان نحيلتان؛ شفتان مبتسمتان؛ عباءة من الكتان الأزرق عالية الياقة وطويلة الأكمام.

راحت تنقل الصورة على الورق بخطوط واثقة رشيقة، مستعينة بأناملها الماهرة البارعة. عندما انتهت من الرسم، وضعته إلى جانب نظيره الذي أحضرته جان بالي وانصرفت تتأمل ما صنعته أناملها.

إنتهت، في الرسم الثاني إلى عباءة ميهيتابيل تتطاير خلف صورة الكابتن. أمسكت مينلي بالعدسات المكبرة وراحت تتأمل الرسم. تبينت أنّ الآثار على كمّ قميص الكابتن فريمان والتي أظهرها الرسم المحفوظ في مكتبة بروستر، لم تكن سوى رؤوس أصابع ميهيتابيل. فهل كانت تقف وراء زوجها على ظهر مركبه عندما رسمه الفنان المجهول منذ حوالى ثلاث مئة سنة؟ هل كان شكلها قريبًا من الذي تصوّرت ميني؟

إنتابها خوف مفاجيء، فدست الرسوم الثلاثة تحت الملفات، وحملت هانا وخرجت بها إلى نور الشمس.

أما هانا فشدت شعر والدتها. وفيما حاولت مينلي سحب الأصابع الصغيرة من بين خصل شعرها، راودتها خاطرة: البارحة عندما استفتت على هدير القطار كانت هانا تصرخ.

سألت ابنتها وهي تبكي: «هل استيقظت أنت أيضًا على هدير القطار؟ لهذا السبب كنت خائفة مذعورة؟ هانا، قولي لي، ما الذي يحدث في هذا المنزل؟ أي نوع من الجنون ورثته عني؟»

49

ترأس المدعي العام روبرت شور الاجتماع في مكتبه في بارنستايل. تصدر الطاولة فيما جلس الطبيب والمحققون والشهود على جوانبها. أما نات كوغان فأجلسه قبالته، تحية وإجلالاً للمجهود الذي بذله في القضية.

توجّه شور إلى نات بالسؤال: «ما ظروف القضية؟ هلا أطلعنا

عليها؟»

ما كان من نات إلا أن عرض الوقائع التي جمعها، تدريجيًا وبالتفصيل. تلاه الطبيب الذي عاين جثة فيفيان. جاء في إفادته: «لقد تعرّضت الجثة للتشوّه بفعل بعض الحيوانات البحرية. لما كنتم مهتمّين بمعرفة حالة اليدين، فأنا أوّكد لكم اختفاء رؤوس الأصابع، وهذا أمر طبيعي وبديهي. ففي حالات الغرق، تكون اليدان أوّل ما يهاجمه سمك السلطعون. أمّا بقية الأصابع في اليد اليسرى فبقيت سليمة، حيث وجد في إصبع الزواج خاتم ضيق من الذهب.»

أنهى إفادته ورفع صورة أخذت لدى التشريح. «اليد اليمنى تخبرنا قصة مختلفة. فبالإضافة إلى رؤوس الأصابع المختفية، نلاحظ تآكل إصبع الخاتم إلى العظم ما بين اليد والمفصل. ما يشير إلى أنّ الإصبع المذكور قد تعرّض لرضة مختلفة أدّت إلى نزيف جذب الحيوانات البحرية.»

علّق نات بالقول: «بحسب رواية الزوج، فقد رأى فيفيان، صبيحة الحادث، وهي تبرم الخاتم في محاولة لسحبه من إصبعها. هل تكون حركتها تلك قد سبّبت النزيف؟»

«هذا ممكن، في حال أحكمت الضغط على الإصبع.»

أخذ المدعي العام الصورة من الطبيب، وقال: «بحسب الزوج أيضًا، لقد كانت فيفيان تضع خاتم الزمرد على ظهر المركب، لكنّه يدّعي أنّها عادت ونقلته إلى إصبع يدها اليسرى. في حال كان فضاضًا، هل من الممكن أن يكون قد انزلق في الماء؟»

«هذا جائز. لكنّه لم يكن لينزلق قطّ عبر مفصل اليد اليمنى.»

هذه صورة أخرى. «ورفع الطبيب صورة أخرى من صور التشريح. علّق عليها بالقول: «لم يبق من كاحلها الأيمن الكثير، لكن ثمة رضوض

تعود إلى ربطها بحبل ما. من الممكن أن تكون قد رُبطت وجُرت لمسافة كبيرة.»

مال شور إلى الامام وسأل: «عن قصد؟»

«لا يسعني جزم الأمر.»

«ماذا عن نسبة الكحول في دمها؟»

«يمكننا أن نوّكد بحسب التحاليل بأنّها قد استهلكت ما يعادل

ثلاث كوؤوس من النبيذ. كانت لتُدرج في خانة «تحت تأثير الكحول»

لو تمّ توقيفها أثناء قيادة السيارة.»

عند تلك النقطة تدخّل شور قائلاً: «بكلمات أخرى، لم يكن

يجدر بها الغطس في حالتها تلك، لكن لا قانون يمنعها من ذلك.»

الشهادة التالية أدلى بها خبيراً خفر سواحل وودس هول. كان

أحدهما يحمل رسوماً بيانية بحريّة وضعها على قاعدة لبراها الجميع،

وراح يعرض نتائج تحليله.

«لنفترض أنّها اختفت في تلك النقطة.» قالها وأشار إلى بقعة

على بعد ميل من جزيرة مونوموي. «في تلك الحالة، كانت الأمواج

لتجرف جثتها باتجاه جزيرة فاين يارد، فتستقرّ في مكان ما هنا.» مرّة

أخرى أشار بإصبعه إلى الرسم وأضاف: «أما الإحتمال الثاني، فهو أنّ

جثتها قد تكون رست على شاطئ مونوموي، بفعل التيارات البحرية

القوية التي نتجت عن العاصفة. من غير المنطقي أن يكون البحر قد

لفظ جثتها في البقعة حيث وجدت، أي في ستايج هاربور، ما لم تكن

الجثة قد علقت في شبكة صيد وشحبت إلى ذلك المكان، وهذا أيضًا

احتمال وارد.»

من ناحيته، عرض خبير عُدّة الغطس العُدّة التي كانت فيفيان

كاربنتر تلبسها يوم وفاتها. علّق عليها بالقول: «العدّة رثّة بالية. ألم تكن سيّدة ثريّة؟»

ردّ نات: «قد أعرف الإجابة على تساؤلك. لقد أهدت فيفيان زوجها عدّة غطس جديدة بمناسبة زواجهما. بحسب ما رواه الزوج، أرادت استعمال عدّته القديمة قبل أن تُقرّر ممارسة رياضة الغطس وابتياح عدّة متطورة كالتّي أهدته إيّاها.»

«تحليل منطقي.»

ناقش الحضور العلاقة المحتملة بين سكوت وتينا، وكان المدّعي العام يؤدي دور محامي الشيطان.

سأل: «هل إنّ تينا مخطوبة في الوقت الحاضر؟»

ردّ عليه نات: «نعم، إنها مخطوبة لصديقها السابق.» وأطلع الحضور على رأيه بفريد هيندين. من ثمّ أثار مسألة بقع الزيت التي اكتشفها في مرآب السيارات في منزل سكوت كوفي.

عن ذلك الموضوع قال: «ليس دليلاً قاطعاً وجازماً. فبوسع محامي الدفاع المُحنّك، وأدم نيكولز هو كذلك، أن ينقضه ويُبطله.»

بعد ذلك، استعرض الحضور السجلات والملفات التي جمعت من منزل كوفي. قال شور: «حسنًا فعل كوفي. لم نجد في ملفاته ما يدينه. لكن ماذا عن فيفيان؟ أين احتفظت بسجلاتها الشخصية؟»

ردّ نات: «في خزنتها.»

«ولم يكن الزوج مؤتمنًا على فتحها؟»

«لا.»

في نهاية الجلسة، أجمع الحضور على أنّه، إستنادًا إلى الوقائع الراهنة، من المستحيل أن توجّه هيئة المحلّفين تهمة القتل إلى

سكوت كوفي.

قال شور بحزم: «سوف أتصل بالقاضي مارون في أورليانز وأسأله تعيين جلسة استجواب. بهذه الطريقة، تُعرض الوقائع علناً. وقد يخلّص إلى اتّهام سكوت بالإهمال الجنائي فنطالب بهيئة المحلّفين.»
أضاف: «أيّها السادة، فلنصوّت، بغضّ النظر عن رأي هيئة المحلّفين. مَنْ يعتبر كوفي بريئاً، ومن يعتبره مذنباً؟»

جال على الحضور، فردّ كلّ منهم بهدوء. «مذنب... مذنب...
مذنب... مذنب... مذنب... مذنب... مذنب...»

فقال شور بنبرة جازمة: «مذنب. كلّكم أجمعتم على ذلك. قد لا نكون قادرين على إثبات ذلك في الوقت الحاضر، لكننا واثقون من أنّ سكوت كوفي هو القاتل.»

50

راحت موكلة آدم، سوزان بوتز، تذرّف الدموع بهدوء فيما جلست قبالتة في مكتبه في بارك أفينيو. كانت تبلغ الثامنة والعشرين من العمر، ممتلئة الجسم بعض الشيء، صهباء الشعر وخضراء العينين. شابة جذابة، لولا علامات الخوف والتوتر التي شوّهت معالم وجهها. أدينّت سوزان بتهمة قتل زوجها غير المتعمّد، وقد وافقت هيئة المحلّفين على إعادة محاكمتها، على أثر دعوى الإستئناف التي رفعها وكيلها آدم. سوف تبدأ المحاكمة في شهر سبتمبر.

قالت لآدم: «يصعب عليّ خوض تجربة المحاكمة من جديد. صحيح أنني مسرورة بخروجي من السجن، لكنني أخشى العودة إليه.»

غير أن آدم طمأنها: «لن تعودى إلى السجن. سوزان، إلتزمى بما سأقوله لك. لا تجرى اى اتصال بعائلة كورت. وفي حال اتصل والداه بك، أقملي الخط في وجههما. فهما، إنما يرميان إلى استفزازك حتى يصدر عنك ما قد يُفسّر بتهديد.»

«أعرف ذلك.» تابعت فيما وقفت تأهبًا للإنصراف: «أنت في عطلة وإنها المرة الثانية التي تقطع فيها إجازتك بسبب قضيتي. أنا أقدر لك ما تفعله من أجلي.»

«وفري تقديرى لجهودى فى الوقت الحاضر، بانتظار أن أخصك من تلك التهمة المشؤومة.»

قام آدم عن مكتبه، رافقها إلى الباب وفتحها. أمّا هي فنظرت إليه وقالت: «أنا أشكر الله كل يوم لأنه أرسلك للدفاع عني.»

لمح آدم فى نظرتها تقديرًا له، كما لو كان بطلًا من الأبطال. ردّ عليها: «سوزان، لا تستسلمى!»

كانت سكرتيرته، رودا، البالغة من العمر خمسين سنة، فى المكتب الخارجى. لكنها شرعان ما لحقت به إلى القاعة الخاصة وقالت له: «بصراحة آدم، أنت تسحر النساء. فموكلاتك جميعهن يقعن فى حبك.»

«لا تبالغى رودا. المحامى كما الطبيب النفسى. فمعظم المرضى يقعن فى غرام طبيبهن لفترة قصيرة. هذا ما يُعرف بعراض الوقوع فى حب الشخص الذى نبوح له بمشاكلنا.»

قال كلامه وفكر فى مينلى. لقد تعرّضت لنوبة أخرى من نوبات القلق؛ كان واثقًا من ذلك. لم يخفّ عليه يومًا التوتّر فى صوتها حين تكلمه، لا بل امتهن تمييز ذلك التوتّر، تمامًا كما امتهن الحمامة وبرع

فيها. لكن، لماذا لم تخبره شيئاً عن تلك النوبات؟ وإلى أي مدى كانت قاسية ومؤلمة؟

ممشى الأرملة. مستحيل بلوغه بدون ارتقاء سلاّم ضيقه. ماذا لو حاولت حمل هانا والصعود بها إلى هناك، حيث ينتابها دوار. ماذا لو وقعت الطفلة من بين ذراعيها؟

أحسّ آدم بضيق يعصر قلبه. استرجع وجه مينلي وهي تنظر إلى بوبي في النعش. لن تتحمل مينلي خسارة هانا، لا شك في أنّها قد تُصاب بالجنون.

أدرك آدم ما عليه فعله. تردّد بعض الشيء قبل أن يتصل بالطبيبة النفسية التي تعالج مينلي. إكتتب قليلاً لدى سماعه الدكتور كوفمان تقول له: «آدم، كنت في حيرة من أمري، بشأن الاتصال بك. لم أكن أعرف أنّك في المدينة. متى تعود إلى كايب كود؟»

«اليوم بعد الظهر.»

«سأرسل معك دواءً جديدًا لمينلي.»

سألها: «متى تحدّثتِ إلى مينلي؟»

«اليوم.» تغيّرت نبرة صوتها، وأضافت: «ألم تكن على علم بذلك؟ آدم، ما سبب اتّصالك بي؟»

ردّ عليها بأنه يخشى أن تكون مينلي تتعرّض من وقت لآخر لنوبات من القلق، وتُخفيها عنه. أما الدكتور كوفمان فلم تعلق.

من ثمّ انتقل آدم إلى موضوع الحاضنة التي رأت مينلي في ممشى الأرملة، فيما أنكرت مينلي الأمر.

«هل كانت هانا معها؟»

«لا. الطفلة كانت مع الحاضنة.»

صمت الإثنان للحظات قليلة، قبل أن تقول الطبيبة، بروية: «أدم، برأيي، من الأفضل ألا تبقى مينلي مع هانا بمفردها، ويجدر بك أن تعيدها إلى نيويورك حيث تدخل المستشفى لبعض الوقت. درهم وقاية خير من قنطار علاج. لا نريد المزيد من المآسي في العائلة».

51

أمضت إيمي النهار على شاطئ نوسيت مع شلة من الأصدقاء واستمتعت برفقتهم. مع ذلك، ظلّ هناك ما ينغص عيشها. لقد دأبت على توفير المال من عملها في حضانة الأطفال وذلك بهدف شراء سيارة تقصد بها الجامعة. لكنها لم تجمع إلى تلك اللحظة المبلغ المطلوب. صحيح أنّ والدها قد وعدها بأن يسدّد نصف ثمن السيارة، لكن يجدر بها تأمين المبلغ المتبقي.

غالبًا ما ردّد والدها على مسمعها: «بإمكاني إعطاؤك ثمن السيارة كاملًا، لكن تذكرني ما كانت والدتك تقوله: الإنسان يُقدّر أكثر ما يجهد بنفسه لتحقيقه.»

لم تنس إيمي يومًا كلام والدتها. ولطالما رنت في أذنيها كلّ نصيحة أو فكرة صدرت عنها. راحت تفكّر في والدتها، وفي اختلافها عن إيلين. لقد كانت بسيطة: لا تتبرّج، ترتدي الملابس الكلاسيكية. كانت بعيدة كلّ البعد عن التكلّف. مع ذلك، كانت صادقة لا تعرف الزيف. تذكرت إيمي تلك المواقف حيث كان والدها يُمعن في سرد قصصه الطويلة، فتدخّل والدتها بحنان وتقول له: «جون، عزيزي، أدخل في صلب الموضوع، كفاك لفاً ودوراناً». لم تكن تسترسل في الضحك على طريقة إيلين، ساخرة منه.

عرفت إيمي أن السيدة نيكولز كانت مستاءة منها. لربّما لم يجدر بها أن تخبر والدها برؤيتها السيدة نيكولز في ممشى الأرملة، وبأن هذه الأخيرة أنكرت وجودها هناك. لا شكّ في أن والدها سارع إلى إخبار إيلين التي قامت بدورها بإخبار السيد نيكولز؛ لقد كانت موجودة عندما اتّصلت به إيلين.

لكن ثمة ما حيّر إيمي. في اليوم السابق كانت السيدة نيكولز ترتدي الشورت وقميصًا من القطن الابيض. لكن، خُيّل إليها أنّها رأتها بفستان طويل في ممشى الأرملة؛ ما أذهل إيمي فتساءلت عن الحالة العقلية والذهنية للسيدة نيكولز. فهل يُعقل أن تكون مصابة بمسّ من الجنون؟ لقد سمعت إيمي إيلين تُخبر والدها بأن السيدة نيكولز مُصابة بانزهار عصبي.

لكن ماذا لو كانت السيدة نيكولز على حقّ، ولو كان ما رآته إيمي ليس سوى تخيّل بصري ناجم عن انعكاس ضوء الشمس على قطعة معدنية فوق الموقد؟ إسترجعت إيمي تلك اللحظات وتذكّرت أنّها، بُعيد أن لمحت السيدة نيكولز في ممشى الأرملة في ذلك الفستان الطويل، خرجت تلك الأخيرة من المنزل وقد ارتدت الشورت والقميص. فكّرت إيمي في تلك القصة الغريبة والمخيفة. أُنْعقل أن يكون ما رآته مجردّ تخيّلات، ناتجة عن القصص التي سمعتها حول ريمبر هاوس، شأنها في ذلك شأن كاري بيل، عاملة التنظيف؟

أرادت تبرير تصرفها للسيدة نيكولز وإيضاح الامور. نظرت إلى ساعتها. كانت الرابعة. سوف تتّصل بها.

ردّت السيدة نيكولز منذ الرنة الأولى. بدت لها لاهثة. «إيمي، آسفة، لا يمكنني التكلّم الآن. فأنا في طريقي إلى المطار، وهانا في السيارة.»

أما إيمي فتمتت: «لم أقصد أن أوذيك. ما أود قوله...»
 حاولت أن تشرح لها موضوع الفستان وأنها كانت مخطئة.
 «لقد خرجت من المنزل بعيد ذلك.»
 من ثم توقفت عن الكلام، قبل أن تضيف السيدة نيكولز:
 «إيمي، يسرتني أنك اتصلت. شكراً لك.»
 «أشفاق للعمل في منزلك. أرجوك أن تقبلي اعتذاري.»
 «لا عليك إيمي. أيمكنك حضانة الطفلة غداً؟ يجدر بي مراجعة
 المعلومات التي حصلت عليها من السيدة سبراغ وأنا بحاجة إليك كي
 ترعي هانا.»

52

إصطحب هنري سبراغ زوجته في نزهة على الشاطئ القريب من
 ريممبر هاوس. كانت الساعة السادسة إلا ربعاً، عندما التقيا آدم
 ومينلي يتنزهان مع طفلهما. توقفا عندهما في زيارة سريعة.
 قال آدم لهنري: «لقد عدت للتو من نيويورك. إمتلاً حذائي
 ببعض من رمل الشاطئ. تفضلاً لتناول كأساً.»
 لقد كان يوماً متعباً بالنسبة إلى فيبي. بعد أن عادت مع هنري
 وجان بالي من منزل سكوت كوفي، أحسّت باضطراب شديد. دخلت
 مكتبها وراحت تبحث عن ملفاتها وتتهم هنري وجان بسرقتها. لذلك،
 ارتأى هنري اصطحابها عند مينلي وآدم ليريهما أن الملفات بحوزتهما،
 ويفسر لها سبب احتفاظ مينلي بها. كذلك، أراد إطلاع آدم على نتائج
 زيارته لسكوت.

قَبْلَ هنري الدعوة ولحق وفيبي بالزوجين نيكولز إلى داخل المنزل. فيما مرّوا بالحديقة، أطلع مينلي على خطّته. أصغت إليه وفي قلبها غصّة. فقد تخوّفت من إصرار فيبي على استعادة الملفات، وراحت تُصَلّي ألا تفعل.

دخل الجميع حجرة الطعام الصغيرة، وبدا على فيبي الرضى والسرور لرؤية كومات الملفات والكتب والأوراق مُكدّسة بترتيب وعناية. مرّرت أصابعها بينها بشغف وفرح. أمّا زوجها وأدم ومينلي، فكانوا يراقبونها فيما شَعَّ وجهها صفاءً، وتلاشى الغموض الذي بان في نظرتها. همست وهي تفتح ملفّ الرسوم: «لقد أردتُ أن أخبر قصّتها». أدركت مينلي رغبة فيبي في تأمل الصور. عندما وصلت إلى الرسوم التي نفّذتها مينلي، أمسكت بها وصرخت: «لقد نسختها عن الرسم الذي احتفظ به أنا لميهيتابيل وأندرو معًا على ظهر المركب. عبثًا فتشّتُ عن ذلك الرسم، خلّتُ أنني أضعته».

أما مينلي فشكرت الله في سرّها: «ثمّة رسم قمّتُ بنسخه. بالتالي، ما زلتُ أتمتّع بقدراتي العقلية، على الرغم من الدواء الذي اتناوله.»

وقفت فيبي هنيهة تتأمّل وجه ميهيتابيل. إنتابها شعور بالضياح من جديد وتشوّشت أفكارها. تمنّت لو يستمرّ صفاؤها الذهني. كان زوجها يُحبّها لكنّه لم يُصدّقها. لهذا السبب ماتت. عليّ تحذير زوجة أدم. ثمّة مَنْ يُخطّط لموتها هي أيضًا.

يخطّط! يُخطّط! حاولت التركيز على الفكرة، لكن عبثًا. ميهيتابيل. أندرو. مَنْ غيرهما؟ قبل أن تلفّ الضبابية ذهنها من جديد، همست لمينلي: «ميهيتابيل بريئة. توبياس نايت. الجواب في ملفّ قراصنة البحر.»

53

مساء الأربعاء، تلقى غراهام وأن كاربنتر اتصالاً هاتفياً من المدعي العام. كانا قد لعبا الغولف لبعض الوقت، لكنهما ما لبثا أن توقفا عن ذلك، بعد أن شعرت أن بالتعب.

أدرك آدم الخطأ الذي ارتكبه في الضغط على السلطات لاتهام سكوت كوفي علناً بقتل فيفيان. فالقصة مثيرة بالنسبة إلى وسائل الإعلام التي تباغت بعرض ما وقعت عليه من تفاصيل حياة إبنتهما. ها إن عناوين الصحف تُشير إلى «تلك الفتاة الثرية المسكينة»، «المنبوذة»، «المتمرّدة»، «مدمنة المخدرات». كما تنشر تفاصيل عن حياتها الشخصية مُحرّفة مشوّهة، ليتسلى بها عموم الناس.

كانت أن منسحقة وقد انتابها شعور بالإذلال والمرارة. قالت لزوجها: «لربّما كان يجدر بنا عدم إثارة القضية. لا يمكننا إعادتها إلى الحياة، وها إن الإعلام يشوّه ذكراها.»

برأي غراهام، لا ضرر من الإستجواب، فقد يوضّح بعض الامور. فكّر في ذلك وهو يحمل مشروباً لكليهما إلى الحجرة الزجاجية حيث جلست أن.

«لقد اتّصل المدعي العام، ليعلمنا بأن القاضي في اورليانز قد دعا إلى جلسة استجواب بعد ظهر الإثنين.»

بدا الخوف على وجه أن، فطمأنها زوجها قائلاً: «على الأقل، سنُنقل وقائع الجلسة على الهواء مباشرة. فالجلسة علنية. على كلّ حال، لقد عُرضت الوقائع كافة. يبقى على القاضي أن ينفي أي دليل على عمل غير قانوني وعن إهمال جنائي.»

علّقت أن: «لنفترض أنّ القاضي نفى ذلك. في تلك الحالة، نكون قد أثّرنا القضية في الإعلام على غير طائل.»
 «أنتِ مخطئة عزيزتي، وتعرفين ذلك.»
 سمعا رنة الهاتف. ما هي إلا لحظات حتى أتت مدبرة المنزل ويدها الهاتف المحمول. «إنه السيد ستيفنز، سيدي. يقول إن المسألة طارئة.»

قال غراهام: «إنه المحقق الذي عينته شركة التأمين للتحري عن كوفي. لقد أصريتُ على أن يُعلمني بأي تفصيل يعرفه.»
 راقبت أن كاربنتر زوجها وهو يصغي بانتباه ومن ثم يطرح الأسئلة السريعة. عندما أقفل الخط، بدا مبتهجًا.

«ستيفنز موجود في فلوريدا، في بوكا راتون، حيث أمضى سكوت الشتاء الماضي. بحسب المحقق، تلقى سكوت زيارات عدّة من شابة سمراء جذابة إسمها تينا. أما زيارتها الأخيرة فكانت قبل أسبوع من قدومه إلى هنا وزواجه بفيفيان!»

54

ما إنَّ أقلت مينلي آدم من المطار حتّى أدركت أنّ أمرًا ما يقلقه. لم تتأخّر لتعرفه. ففيما كانا يتحضّران للنوم ناولها آدم علبة الدواء التي أرسلتها الدكتور كوفمان.

سألته بهدوء: «مَن منكما بادر إلى الاتصال بالثاني؟»
 «أنا اتّصلتُ بالطبيبة التي كانت تنوي هي أيضًا الاتصال بي. لكنني اتّصلت بها قبل أن تكون قد حسمت أمرها.»

«أفضل التحدّث بالموضوع في الصباح.»

«ليكن ما تريد.»

بهذه الطريقة اعتادا الخلود للنوم في السنة التي تلت موت بوبي، وقبل أن تحمل مينلي بهانا. قبلة باردة؛ تباعد بالجسد والعاطفة. إستدارت إلى جنبها وغطّت وجهها بيدها. تساءلت عن مضمون الحديث الذي دار بين الدكتور كوفمان وأدم، وعن المعلومات التي قد تكون الطيبة قد أفصحت بها إليه. أيعقل أن تكون قد أخبرته، بدافع الواجب، عن تخيّلات مينلي وسماعها هدير القطار في المنزل وصوت بوبي يناديها؟ خواطر مرّت ببالها، وشرعان ما أرعبتها. هل تكون الطيبة قد أخبرت أدم عن انزعاجي من صراخ هانا وتردّدي في حملها بين ذراعيّ خوفًا من أن أفلتها، فتقع أرضًا؟ وهل يكون أدم قد أخبرها عن حادثة ممشى الأرملة؟ فمينلي أخفت الأمر عنها. فكرت مينلي: «هل إنّ الدكتور كوفمان وأدم متخوّفان من أن ألحق الأذى بهانا؟ ما كان القرار الذي توصّلا إليه؟ هل من الممكن أن يصرّا على استخدام حاضنة بدوام كامل في أثناء غياب أدم عن المنزل؟ لا، فكرت مينلي في احتمال أكثر فظاعة. ها هي تتوصّل بحسرة وغصّة إلى الجواب الصحيح على تساؤلاتها. سوف يصحبها أدم إلى نيويورك حيث تُدخلها الدكتور كوفمان المصحّ النفسي. لن تسمح بذلك. لن تسمح بإبعادها عن هانا. لن تتحمّل افتراقها عن طفلتها، ذلك سيدمرها.

في تلك اللحظة أكّدت لنفسها: «سوف أتحمّن. لقد نجحت في اجتياز تقاطع سكة الحديد عندما كنت أقلّ أدم إلى المطار. حتّى أنّي تجاهلت صوت بوبي تلك الليلة وعدتُ إلى هانا. لم ألحق بها الأذى، بل واسيتها. أوّد البقاء في هذا المنزل.»

رفعت مينلي الغطاء حتى عنقها، من دون أن تُزعج آدم. لطالما اعتادت، في أوقات البرد، الإحتماء بين ذراعيه حيث تُنشد الدفء. لكنّها تلك الليلة لم تفعل. على العكس، لم تشأ أن يشعر آدم بقلقها وبخوفها. سوف تعلن له في الصباح أنها تريد استخدام إيمي طوال اليوم لمساعدتها في رعاية هانا. بعد يوم أو يومين، ستعلن له أنها تشعر بتحسّن، وأنها تُدرك صوابية قرار الدكتور كوفمان زيادة جرعة الدواء.

لم تشأ يومًا أن تكذب عليه، لكنّه، بالمقابل، لم يواجهها بصدق وصراحة. فهو قد تدبّر مع إيلين موضوع دعوتها إلى العشاء. فكّرت في أنّ استخدام الحاضنة بدوام كامل سيكون أسهل في هذا المنزل الكبير، ولن تنزعج من الأمر كما لو كانت في شقّة صغيرة، سيّما وأنّ الإقامة في ريممبر هاوس تطيب لها. فكّرت في الكتاب الجديد الذي تؤلّفه. فهو مشروع رائع، يمنحها الإتيان. يحكي الكتاب قصة اندرو الذي يكبر ويصبح قبطان سفينته. كانت واثقة من أنه سيكون واحدًا من أفضل إنجازاتها. صحيح أنها لا تؤمن بوجود الأشباح، لكنّ القصة التي سردتها على مسمعها جان بالي حول أشخاص زعموا وجود أشباح في منازلهم القديمة، أثارت اهتمامها وفضولها. لا شكّ في أنّها ستثير فضول القراء أيضًا. ستكون موضوعًا دسمًا لمقالة تاريخية رائعة في «ترافيل تايمز». إستهواها سردُ قصة ميهيتابيل التي أصرت فيبي على براءتها، وأكّدت أنّ دليل البراءة في ملفّ قراصنة البحر. لقد أدينت تلك الشابة المسكينة بتهمة الزنى، وجُلدت علنًا. إحترقها زوجها وانتزع منها طفلتها. صمّمت مينلي على إثبات براءة ميهيتابيل، في حال وُجد الدليل على ذلك.

تساءلت مينلي: «ما سرّ تعاطفي معها؟ ألأني أشكّ في مؤامرة يحوكها زوجي مع الطبيبة النفسية لإبعادي عن طفلي، بحجة أنني عاجزة عن رعايتها، في حين أنّ الواقع مختلف؟»

فكرت في أنّ سكوت كوفي يواجه المعضلة نفسها. فالناس يراقبونه، يُطلقون عليه الأقاويل، في محاولة لإلصاق تهمة القتل به. إرتسمت على شفيتها ابتسامة عندما فكرت في ردّة فعل سكوت، فيما كانا يصغيان إلى جون وهو يروي قصصه الطويلة، خلال العشاء تلك الليلة.

ما لبثت مينلي أن شعرت بالإسترخاء. إستيقظت جافلةً، لا تعرف الوقت الذي مضى على نومها. لقد حرصت على تغطية هانا. فيما كانت تنزل من السرير قفز آدم وسألها بحدّة: «مينلي، إلى أين أنت ذاهبة؟»

أما مينلي فردّت عليه، وقد حاولت إخفاء غضبها: «لقد شعرت بالبرد فاستيقظت وارتأيت دخول غرفة الطفلة والإطمئنان عليها. هل حصل، حبيبي، أنك استيقظت خلال الليل ودخلت غرفتها وغطيتها؟»

«لا، لم أفعل.»

«سأعود في الحال.»

ملأت الغرفة رائحة عفونة. كانت هانا قد غيرت وضعية النوم، فيما رمت بالغطاء على الارض، وأحاطت بها في المهد مجموعة من الدمى، كانت توضع عادة على المزينة. أما الدمية القدمية فكانت في وضعية الجلوس، في المهد هي أيضًا.

إضطربت مينلي وجمعت الدمى وأعادتها إلى المزينة. من ثمّ رفعت الغطاء عن الارض.

همست، فيما غطت ابنتها: «لست أنا من قام بذلك.»

«ما الذي لم تفعله، مينلي؟» كان آدم يُكلّمها من خارج الغرفة.

55

إستفاق سَكَّان تشاتهم صباح الخميس على طقس غائم ونسيم بارد، ما حدا بهم إلى البحث بين ملابسهم عن قمصان طويلة الأكمام وسترات تقيهم لفحة البرد.

بالنسبة إلى مارج، مساعدة إيلين، كان يومًا يبعث على الحيوية والنشاط، سيّما وأنّ العمل كثير في مكتب أتكينز للعقارات وأنّ إيلين قد خرجت شخصيًا تلتقط الصور لعدد من العقارات والمنازل المعروضة للبيع. ثمّ ظهرت الصور وقامت بتكبيرها وأحضرتها إلى المكتب.

لدى استيقاظها صباحًا على الجوّ البارد، قرّرت مارج الذهاب إلى المكتب في ساعة مبكرة والاستفادة من ساعة الهدوء لتعيد ترتيب الواجهة. بلغت المكتب عند الساعة والنصف وبدأت بإزالة الصور المعروضة لتستبدلها ببعض الصور الجديدة.

عند التاسعة إلا عشر دقائق كانت قد انتهت من ترتيب الواجهة وخرجت إلى الرصيف تتفحص نتيجة عملها. راحت تتأمل الواجهة بحلّتها الجديدة، وقد شعرت بالرضى والسرور.

الصور جميلة مُعبّرة تُبرز المنازل بشكل ممتاز. لقد توزّعت بين منزل قديم في كايب كود، وآخر فاتن في ديب واٹر لاين، وثالث عصري في منطقة ساندي شوز لاين، وغيرها من المنازل الجذّابة.

أما المنزل الأهمّ، فكان منزلًا مواجهًا للبحر على ميناء وايشمير. لقد استخدمت إيلين مصوّرها الخاص ليلتقط له صورة من الجوّ. وضعت مارج الصورة في وسط الواجهة محلّ صورة ريممبر هاوس.

سرعان ما سمعت تصفيقًا من ورائها. إستدارت بسرعة. كانت إيلين تقول لها: «سوف أبتاعها كلّها»، فيما ترجّلت من سيّارتها. أما مارج فردّت: «لقد بعتهما لك!» وأردفت: «بصراحة، ما رأيك بالواجهة؟»

تأمّلت إيلين الواجهة وردّت: «أظنّ أنّ الصور رائعة. لقد أنّ الاوان لإزالة صورتي المفضّلة، وهي صورة ريممير هاوس». «بصراحة، هذا رأيي أنا أيضًا، سيّما وأنك واثقة من أنّ الزوجين نيكولز سوف يشتريانه.»

سبقتها إيلين إلى الداخل. قالت بهدوء: «لم أعد واثقة من ذلك. لديّ شعور بأنّ مينلي ليست بخير.»

أما مارج فردّت: «لم يسبق لي أن التقيتها. لكنّ آدم نيكولز غاية في اللطف. ما زلت أذكر الحزن الذي ارتسم على وجهه عندما قصدك هنا السنة الماضية وأخذته في جولة على المنازل. ألم يستأجر في تلك الفترة منزلًا قريبًا من منزلك؟»

«هذا صحيح.» لمحت إيلين صورة ريممير هاوس في الإطار وقد وضعت على أحد الكراسي. قالت: «لقد طرأت على بالي فكرة. لم لا نُرسل الصورة إلى سكوت كوفي. ففي حال خرج من محنته وأثبتت براءته، أتوقّع أن يرغب في الإستقرار في كايب كود، ولطالما كان وفيبيان مولعين بذلك المنزل. بهذه الطريقة نذكّره بالمنزل، في حال لم يقرّر الزوجان نيكولز شراءه.»

«لكن، ماذا لو لم يبدِ أي اهتمام به؟ سوف تندمين إيلين على إعطائه الصورة.»

«أنا أحفظ بالصورة السلبية. سوف أنسخ عنها.»

دخلت إيلين مكتبها، فيما بدأت مارج بنقل الصور التي سحبتها من الواجهة، لترتبها في الألبوم الضخم الذي وضع على طاولة غرفة الإستقبال. دقّ جرس باب المدخل معلناً وصول أحد الزوّار. كان موظف محلّ بيع الأزهار، وبيده إناء فيه مجموعة من الورود الجميلة.

قال لمارج: «إنّها للآنسة أتكينز.»

أما مارج فعلمت: «لم أكن لأتوقّع أن تكون لي. أدخلها لها بنفسك. أنت تعرف الطريق.»

بعد انصرافه، دخلت مارج مكتب إيلين لتتأمل الورود الجميلة. «إنّها رائعة. من اليوم فصاعداً، ستحصلين عليها بانتظام. لكن ما هذا؟»

كانت بين الورود بطاقة صغيرة ألصق عليها الرقم 106.

«أعرف أنّ هذا ليس عمرك، إيلين.»

«جون لطيف. إنه عدد الأيام التي تفصلنا عن موعد الزواج.»
«يا لرومانسيته. الرجال أمثاله نادرون. إيلين، هل ترغبان في إنجاب الاطفال؟»

«لجون إبنة من زواجه السابق. ويسرّني أنني أتقرّب من إيمي.»
«لكنّ إيمي في السابعة عشرة من عمرها. سوف ترتاد الجامعة قريباً. لو كانت طفلة، لاختلف الأمر.»

ضحكت إيلين وقالت: «لو كانت طفلة، لما تزوّجت جون. فلستُ بربة المنزل والمربية الصالحة.»

رنّ الهاتف. «سوف أردّ على الاتصال.» ورفعت إيلين السماعة. «مكتب أتكينز للعقارات. إيلين أتكينز تتكلم.» أصغت إلى محاورها

وقالت: «أدم... هل الأمر بهذا السوء؟ أقصد، قرار الإستجواب خطير ومخيف. بالتأكيد سأدلي بشهادتي. أوافق على تناول الغداء معك. هل يناسبك أن نلتقي عند الواحدة؟ إلى اللقاء.»

أقفلت الخطّ وقالت لمارج: «الأخبار سارة. لقد حدّدت هيئة المحلفين جلسة استجواب في قضية مقتل فيفيان كوفي، ما يعني تواجد وسائل الإعلام. لذا يجدر بنا أن ننتهز الفرصة للدفاع عن سكوت. أين صورة ريممير هاوس؟»

ردّت مارج: «إنها على مكتبي.»

«فلنرسلها له مرفقة بكلمة.»

وخطّت بعض الجمل بوضوح.

عزيزي سكوت،

لقد سمعتُ للتو عن جلسة الإستجواب. لا عليك، سأنتهزها فرصة لأخبر على الملأ عن استمتاعكما فيفيان وأنت، بعد ظهر ذلك اليوم، بزيارة ريممير هاوس. لذا أرسل لك الصورة هذه، لتذكرك به.

مع تحياتي،

إيلين.

56

في تمام العاشرة من صباح الخميس، وفيما كانت خدمة تقديم الفطور تشارف على نهايتها، إستغلّت تينا أرولدي استراحة الربع ساعة لتسارع إلى مكتب نزل واي سايد. هناك وجدت السكرتيرة بمفردها.

بادرتها تينا بالسؤال: «جاين، إلامَ كان التحريّ ينظر وهو جاثم تحت سيارتي، بالأمس؟»

ردّت عليها السكرتيرة منزعجة: «لم أفهم قصدك من السؤال.»
«أنتِ حتمًا تدركين قصدي. لا تكذبي ولا تراوغي. لقد رآه عدد من العاملين في النزل عبر النافذة.»

أمّا جاين فردّت بتلعثم: «أنا لا أكذب. لقد طلب منّي التحريّ أن أدلّه إلى سيارتك، خرج لمعاينتها ومن ثمّ عاد وسألني عن أي مكالمات هاتفية شخصية سبق لك أن تلقيتها هنا.»
«لقد فهمت الآن.»

عادت تينا، مشغولة البال، إلى مركز عملها في المطعم. وما هي إلا لحظات، حتّى تفاجأت بمحامي سكوت يدخل المطعم برفقة السمسارة العقارية، إيلان أتكينز، التي غالبًا ما قصدت النزل مع زبائن لها. لمحت المحامي نيكولز وهو يومئً باتجاهها. عظيم. كان يريد التأكّد من أنّها ستخدمهما بنفسها. أجلستهما المضيفة إلى إحدى الطاولات وتوجّهت تينا، بتردد، إليهما، لاستقبالهما وتدوين الطلبية. كم فاجأتهما الابتسامة العريضة الحارّة التي خصّها بها نيكولز. لقد كان جذابًا وفاتنًا. تميّز بسحر خاص لم يخفّ على تينا، كما لم يخفّ عليها ذكاؤه المتّقد.

فكرت تينا في صباح ذلك اليوم، عندما دخل المحامي النزل مع سكوت، متجهّم الوجه، وها هو اليوم يدخله مبتسمًا.
ردّت على تحيته ببرودة وسألّت: «هل أحضر لكما مشروبًا من البار؟»

طلب كلّ منهما كأسًا من النبيذ. وعندما انصرفت تينا قالت إيلان: «ما خطبُ تينا اليوم؟»

ردّ عليها آدم: «برأيي إنها متوتّرة بسبب استدعائها للشهادة في جلسة الاستجواب. يجدر بها أن تحافظ على رباطة جأشها. فالمدعي العام سيصدر بحقّها مذكرة إحضار للمثول أمامه. من جهتي أنا حريص على أن تترك لديه انطباعًا إيجابيًا.»

طلبها الهامبرغر وتشاركًا طبقًا من دوائر البصل المقلية. علّقت إيلين: «لو كنتُ أتناول الغداء معك في كثير من الأحيان، لكان وزني ازداد. فأنا أكتفي بطبق السلطة عادة.»

ردّ عليها آدم: «أحاول استرجاع الزمن الغابر. أتذكرين عندما كنّا ننهي عملنا الصيفي ونُحمّل وجبات الطعام السريعة على ظهر المركب الذي كنت أملكه؟»

«لم أنسَ شيئًا من تلك الذكريات.»

«عندما اجتمعنا والأصدقاء، تلك الليلة في منزلِك، عدتُ بالذكرى إلى أكثر من خمس عشرة سنة، لكنّ الوقت لم يمرّ. كايب كود تعيدني إلى سنوات الشباب الأولى، وأنت أيضًا لاين. كم يفرحني أن أعود مراهقًا.»

«حسنًا يا صديقي، لقد نلت نصيبك من المشاكل والهموم.»

كيف حال مينلي؟»

تردّد قليلًا قبل أن يجيب: «إنّها بخير.»

«يبدو لي أنّك لستَ مقتنعًا بما تقوله. آدم، أنا صديقة الطفولة.»

لا تنسَ ذلك.»

هزّ برأسه وقال: «أعرف أنّك صديقتي التي يمكنني البوح لها بهمومي. برأي الطبيبة النفسية، يجدر بنا إعادة مينلي إلى الإستشفاء حيث تتلقّى العلاج المناسب.»

«أنت لا تقصد نقلها إلى مصحّ نفسي.»

«أتخوف من هذا الاحتمال.»

«آدم، أرجوك، لا تتسرع. لقد بدت لي بحالة ممتازة في الحفلة، وفي العشاء تلك الليلة. فضلًا عن ذلك، فقد علمتُ من جون، أنّ إيمي ستعمل في منزلك بدوام كامل إعتبارًا من اليوم.»

«لهذا السبب تمكّنت من الحضور اليوم لمقابلتك. لقد أبلغتني مينلي هذا الصباح بأنها تنوي العمل على الكتاب. ولمّا عرفت بأنّي سأكون منشغلًا بالإستعداد للإستجواب، قرّرت استخدام إيمي بدوام كامل، وذلك لبعض الوقت.»

«ألا تظنّ أنّ هذا التدبير جيّد؟ سيّما وأنك ستكون متواجدًا في المنزل مساءً.»

«أظنّ ذلك. صباح اليوم كانت مينلي مسترخية، مَرِحَة ومُتحمّسة بشأن كتابها. لا يُخيّل لمن يراها أنّها تعاني ما تعانيه من توتّر وهلوسات منذ الحادث. بالأمس، أخبرت الطيببة بأنها سمعت صوت بوبي يناديها. فتجاهلت صراخ هانا وبكاءها وراحت تبحث عنه في المنزل.»

«آدم، أنا آسفة.»

«لهذا السبب، لا بدّ من إدخالها المستشفى، لمصلحتها وحفاظًا على سلامة هانا. لكن، ما دامت إيمي تساعدنا في رعاية هانا وأنا منهمك بالتحضير لجلسة الاستجواب، سوف أترث في إدخالها المستشفى. لكن، ما إن أنهي عملي حتّى أعيد مينلي إلى نيويورك.»

«وهل ستبقى معها هناك؟»

«لا أعرف. لقد فهمت من الدكتور كوفمان بأنها لا تحبّذ أن أزور مينلي في الأسبوع الأوّل. في هذه الفترة، تشهد نيويورك درجات حرارة مرتفعة. كما أن حاضنة هانا التي اعتدنا استخدامها هناك،

فستكون خارج المدينة. لذلك، في حال كانت إيمي تستطيع الإهتمام بهانا خلال النهار، يمكنني رعايتها في الليل. وبالتالي، قد أبقى هنا طوال ذلك الأسبوع.»

أنهى الهامبرغر وأضاف: «تعرفين، إذا أردنا حقًا استرجاع الزمن الغابر، حريّ بنا شرب الجعة بدلًا من النبيذ. لكن لا يهمّ، في الوقت الحاضر أرخّب بفنجان من القهوة.»

غيّر الموضوع وقال: «بما أنّ جلسة الاستجواب علنيّة، يمكنني ان أرفع إلى هيئة المحلّفين لائحة بالاشخاص الذين أنوي استدعاءهم للشهادة. لكنّ هذا لن يمنع المدّعي العامّ من توجيه الأسئلة التي تورّط سكوت كوفي. لذا، فلنستعرض نوع الأسئلة التي قد تُطرح عليك.»

أنهيا القهوة وسكبا فنجانًا ثانيًا، قبل أن يهزّ آدم رأسه علامة الرضى. «أنتِ شاهدة جيدة إيلين. خلال الإستجواب، شدّدي على الوحدة التي كانت فيفيان تعاني منها عندما اشترت المنزل، وعلى الفرح الذي كان يغمرها خلال الإحتفال بزواجها. أطلب منك أيضًا إثارة موضوع بحثها وسكوت عن منزل أكبر وعن قرارهما إنجاب الأطفال.»

فيما كان آدم يسدّد الفاتورة، رفع عينيه ليواجه النادلّة وقال: «تينا، أنت تنهين عملي عند الثانية والنصف. أرغب في التحدّث إليك لربع ساعة بعد دوام العمل.»

مكتبة الرمحي أحمد ٥٥

«أنا مرتبطة بموعد.»

«تينا، سوف تستلمين مذكرة إستحضار للمثول أمام المحكمة الأسبوع المقبل. أقترح عليك أن تناقشي شهادتك معي. أوكد لك، أنّ القاضي، في حال أصدر حكمًا يدين كوفي، فذلك سيكون لأنه يشتبه بوقوفك وراء مقتل فيفيان وبضلوعك المحتمل به. وهذه شبهة

خطيرة.»

شحب وجه تينا وقالت: «سوف أقابلك في المقهى المحاذي لمكتبة «يللو أمبريلا».

هز آدم برأسه، وترافق مع إيلان لغاية المكتب العقاري. لفتته الواجهة فعلق بالقول: «أين صورة منزلي؟»
«منزلك؟»

«لربما يصبح كذلك. ألفت نظرك إلى أنني قد أستخدم حقي في شرائه.»

«أسفة. لقد أرسلتُ الصورة لسكوت. فأنا أصون مصالحه. في حال لم تقرّر أنت شراءه، قد يُقدم هو على ذلك. وقد تقرّر جان بالي هي أيضًا ذلك. فهي وزوجها توم قد أنفقا الكثير من المال في ترميمه. سوف أنسخ لك الصورة، لا بل أضعها في إطار.»
«أنتظر هذا منك.»

إتخذت تينا موقفًا دفاعيًا وهي تتحدّث إلى آدم. قالت له: «إسمع سيّد نيكولز، أنا أخرج مع شابّ وسيم ولطيف يُدعى فريد. ولن يروقه أن أشهد في هذه القضية.»

«ليس لفريد رأي في الموضوع. لكنّه قد يساعدك.»

«ماذا تقصدُ بكلامك؟»

«يمكنه أن يثبت أنّكما خرجتما معًا لبعض الوقت الصيف الماضي، ومن ثمّ انفصلتما بسبب سكوت؛ وبأنكما أحييتما العلاقة من جديد وها أنتما على وشك الزواج.»

«لكنني خرجتُ مع شبّان آخرين الشتاء الماضي.»

«لا بأس في ذلك. جلّ ما أريده هو التحدّث إلى فريد للتأكد من

أنه سيكون شاهدًا مفيدًا.»

«لا أعرف...»

«تينا، إفهمي ما أقوله لك. بقدر ما يُبرئ سكوت بسرعة، تنقلب

الأمور لمصلحتك.»

كانا جالسين إلى واحدة من تلك الطاولات الصغيرة في المقهى.

أما تينا، فكانت تلهو بقشّة المشروب وتُحرّكها.

قالت بغضب: «هذا التحري يزعجني. بالأمس أتى يعاين سيارتي.»

أما آدم فعاجلها بالسؤال: «هذا ما أودّ معرفته. عمّ كان يبحث؟»

هزّت تينا كتفيها بلا مبالاة وقالت: «لا أعرف. سوف أتخلص

من السيارة قريبًا. فالزيت يتسرّب منها بكميات كبيرة.»

قبل أن يودّعها، أخذ منها آدم رقم هاتف فريد. لكنه وعدّها

بأنه سينتظر المساء ليتّصل به، فحتى يكون قد تسنى لتينا إطلاعه

على الأمر وشرحه له.

جلس في السيارة يفكر لدقائق قليلة. من ثمّ طلب رقم سكوت

كوفي. ما إن ردّ عليه هذا الأخير، حتى قال له آدم بلهجة حادة: «أنا

في طريقي إليك.»

57

كانت ليلة لم تعرف فيها فيبي نومًا هانئًا، بل نومًا قطعه من حين

لآخر كابوس مزعج كانت تستفيق منه وهي تبكي وتصرخ: «لا أريد

دخول ذلك المكان». حتى أنّها تمتمت وهي تنتحب «أرجوك، لا تفعل

هذا بي.»

أخيراً، ومع بزوغ الفجر، أعطاهها هنري دواء مهدّئاً، ففرقت في النوم، لكأنّها مخدّرة.

جلس هنري يتناول الفطور بمفرده ويتساءل عن سبب بكائها وصراخها. في اليوم السابق، بدت له مسترخية، خلال نزهتهما على الشاطئ. حتّى أنها استمتعت بزيارة آدم ومينلي في ريممبر هاوس وبرؤية ملفّاتها هناك. كم بدت صافية الذهن وهي تقول لمينلي إنّها ستلقى الجواب في ملفّ قراصنة البحر.

لكن، أي جواب كانت تقصد يا ترى؟ من الواضح أنّها استرجعت جانباً من أبحاثها وحاولت إطلاع مينلي عليه. كما أنّها أبدت صفاء ووضوحاً وهي تتحدّث عن الرسم الذي نفّذته مينلي للكابتن فريمان وميهيتابيل.

دخل هنري مكتب فيبي وهو يحمل فنجان القهوة. لقد تلقى رسالة من مدير المصحّ يقترح فيها عليه أن يختار مجموعة من التذكارات العائدة إلى فيبي، لتوضع في الغرفة المخصّصة لها في المصحّ. فبرأي المدير، من شأن الاغراض الشخصية المألوفة، لا سيّما القديمة منها، أن تعزّز الوعي لدى مرضى الالزهايمر. لذا فكّر هنري في ما يختار، وقرّر أنّ المكتب هو المكان المناسب لينتقي منه التذكارات المحبّبة إلى قلب زوجته.

لم يسعه، وهو جالس إلى المكتب، سوى أن يتحدّث عن الماضي. فالأمور قد اختلفت، بالنسبة إلى الزوجين، عمّا كانت عليه منذ بضع سنوات. فبعد أن تقاعدت فيبي من مهنة التعليم، درجت على تمضية كلّ صباح في ذلك المكتب، مستغرقة بفرح ومنتعة في أبحاثها.

في تلك اللحظة، فكّر هنري في تلك الصورة للكابتن فريمان وزوجته، والتي أتت فيبي على ذكرها في اليوم السابق. لقد حُفظت

في الملف الكبير، وهذا الأخير لم يكن ضمن البيانات التي مرّرها لمينلي. لم يعلم بوجود صورة للزوجين غير تلك الصورة. لا شك في أنّ الملف تضمّن الكثير من المواد الخاصّة بالزوجين فريمان وبريممبر هاوس. لكن، أين احتفظت به فيبي يا ترى؟

جال بنظره في أرجاء المكتب وراح يبحث بين رفوف الكتب، بالقرب من الكنب، حيث وضعت أيضًا خزانة لعرض الزجاجيات. نظر إلى مجموعة الزجاجيات وتذكّر أنّ فيبي قد انتقتها بحبّ وعناية. حتّى أنه ارتأى اختيار بعض القطع منها ووضعها في غرفة فيبي في المصحّ.

أمّا الخزانة تحت الرفوف فكانت ملأى بالكتب والأوراق والملفات. تعجّب هنري من كثرتها، فهو لم يقدر كميتها من قبل. لم تمنعه الفوضى من إيجاد الملف الذي كان يبحث عنه. فيه دسّت فيبي الرسم الذي يُظهر الكابتن فريمان وميهيتابيل. إنّته هنري لعباءة ميهيتابيل المتطائرة، ما يشير إلى هبوب ريح باردة قوّة. كانت ميهيتابيل تقف وراء زوجها، لكأنّها تنشد فيه الحماية من الريح. أمّا الزوج، فكانت ملامح وجهه قاسية متصلّبة، في حين دلّت تعابير وجه الزوجة على الرقة والنعومة. حتّى أنّها كانت تبتسم. وضعت يدها على ذراعه، علامة الحبّ الذي جمعهما. لقد نجح الرسّام في إبراز علاقتهما المميّزة.

تصفّح هنري الأوراق في الملف، ولم يخف عليه تكرار عبارة قراصنة البحر. هذا ما أرادت فيبي أن تقرأه مينلي.

«يا إلهي، أفي هذا المكان تركتُ الدمية؟»

كانت فيبي عند مدخل المكتب وقد أهملت تسريح شعرها، وتلّطّح ثوب نومها ببعض البقع. تذكّر هنري بأنه ترك زجاجة المهدي

السائل على الطاولة الصغيرة بالقرب من السرير. سألها قلقًا: «فيبي، هل تناولت جرعة ثانية من الدواء؟»
 أجابته وقد بدت عليها الدهشة: «الدواء؟ لا أظن ذلك.»
 جرّت خطاها إلى الخزانة ووقفت بجانبه. قالت بفرح وحماسة:
 «هنا وضعت دُمية ريممير هاوس.»
 سحبت رزمة من الأوراق من الرف السفلي وبعثرتها على الأرض.
 ثم مدّت يدها إلى قعر الخزانة وسحبت دمية قديمة كانت تلبس قميصًا أصفر طويلًا، وتعلمر قبة جوانبها من الساتان.
 وقفت فيبي تحدّق في الدمية وقد قطبت جبينها. من ثم أعطتها لهنري وقالت: «هذه الدمية كانت في ريممير هاوس. لقد أردتُ إعادتها، لكنني نسيت القيام بذلك.»

58

بعد الغداء، جلست إيمي قبالة الطفلة وهي تلهو في الأرجوحة وراحت تغني لها: «صفقي صفقي صغيرتي، إلى أن يأتي البابا، فهو غني والماما فقيرة.»
 إستمتعت إيمي بالغناء وهي تحاول مساعدة الطفلة على التصفيق بيديها الصغيرتين.

أمّا هانا فقرقرت ببهجة، فيما ارتسمت ابتسامة على ثغر مينلي التي ما لبثت أن علقت قائلة: «هذه الأغنية مفعمة بالتميز الجندري.»

وافقتها إيمي القول: «أعرف ذلك. لكن الأغنية راسخة في ذهني. لقد درجت أُمي على غنائها لي عندما كنت طفلة.»

فكرت مينلي: «المسكينة! لا تكفّ عن التفكير في والدتها.»
 في صباح ذلك اليوم، كانت إيمي قد وصلت عند التاسعة،
 فرحة باستئنافها العمل لدى الزوجين نيكولز. لكنّ مينلي أدركت أنّ
 سرور الفتاة، لم ينبع من مجرد العمل لكسب المال، بل أيضًا من كونها
 محاطة بعائلة نيكولز.

فيما انهمكت مينلي بفرك المجلى، علّقت قائلة: «لطالما
 تحاشت والدتي أن تغني لنا. لم تكن تتمتع بأذن موسيقية جيدة، لذا
 لم تشأ أن تورثنا، أخي وأنا، نقطة ضعفها تلك. لكنّها فعلت.» وفتحت
 الماء على المجلى، وهي تتذمّر: «بصراحة، لا يعجبني عمل هيلدي.
 فعاملة التنظيف السابقة كانت تترك المنزل مرتبًا ونظيفًا. ليتها تعود
 للعمل هنا.»

«لم تكن إيلين تحبّها، لا بل غضبت منها.»

إستدارت مينلي ونظرت إلى إيمي، قائلة: «لماذا غضبت منها؟»
 أجابت إيمي باستعجال: «لا أعرف.»

لكنّ مينلي لم تصدّقها بل تابعت تسأل، وهي على يقين بأنّ
 الفتاة تخفي أمرًا هامًا: «أظنّ أنك تعرفين السبب.»

«حسنًا، كلّ ما في الأمر أنّ كاري بيل كانت مذعورة يوم
 وصولكم إلى المنزل. إدّعت أنّها سمعت وقع أقدام في الطابق العلوي،
 لكن لم يكن أحد غيرها في المنزل. وعندما دخلت غرفة الطفلة، رأّت
 المهد يهتزّ لوحده. لكنّ إيلين اعتبرت الأمر مجرد تخيلات سخيّة
 تسيء إلى سمعة المنزل، سيّما وأنه معروض للبيع.»

ردّت مينلي بنبرة أراذتها عاديّة باردة: «لقد فهمت.»

فكرت: «نحن الثلاثة، إيمي، كاري بيل وأنا، شهدنا على

الأحداث نفسها في هذا المنزل.»

سألت إيمي: «هل تعرفين إمكانية الاتصال بكارى بيل؟»
«بكل تأكيد. فهي اعتادت تنظيف منزلنا لسنوات طوال.»
تناولت مينلي قصاصة من الورق ودوّنت عليها رقم الهاتف
الذي أعطتها إياه إيمي. «سوف أتصل وأتفق معها على استئناف العمل
لحسابي وأطلب من إيلين أن تبلغ هيلدي استغنائي عن خدماتها.»
لَمَّا كان الجوّ ما زال باردًا، اقترحت مينلي على إيمي أن
تكسو هانا بملابس دافئة، وتأخذها بنزهة في العربة. وافقتها إيمي
الرأي وقالت مبتسمة: «لطالما أحببت هانا الإطّلاع على ما يجري
في الخارج.»

«هذه هي حالنا جميعًا»، فكّرت مينلي وهي تجلس إلى الطاولة
وتمسك من جديد بملفّ قراصنة البحر. لكنّها بقيت لبرهة تحدّق في
الفراغ وهي تفكّر في ردّة فعل آدم ذلك الصباح؛ فهو لم يحاول تصنّع
الكلام، بل قال: «مينلي، أنا واثق من أنّك لو اتّصلت بالدكتور كوفمان
لأدركت أنّها توافقني الرأي. لَمَّا كنت ما زلت تعانين من نوبات القلق
واسترجاع الذكريات المؤلمة، لا يسعني سوى الإصرار على بقاء إيمي
في هذا المنزل معكما، أنت وهانا، في أثناء غيابي.»

تذكّرت مينلي كيف أنّها تحاملت على نفسها وعصّت على
الجرح، وقد كبتت ردًّا غاضبًا ناقمًا. عوضًا عن ذلك، أشارت ببساطة
إلى أنّها ارتأت بنفسها بقاء إيمي معهما، لذا لا داع لردّة فعله
المتغطّسة. مع ذلك، فقد انتظر آدم وصول إيمي بسيارتها وخرج
للتحدّث إليها. بعد ذلك، إختلى بنفسه في المكتبة ليحضّر مرافعته
لجلسة الاستجواب. ترك المنزل عند الثانية عشرة والنصف، وأبلغ
مينلي بأنه سيعود في ساعة متقدّمة من بعد الظهر.

فكرت مينلي في أنه تحدّث سرّاً إلى إيمي لأنه لم يكن يثق بها ولم يصدّق أنها ستفي بوعدّها. لكنّ مينلي أرغمت نفسها على طرد تلك الأفكار، وانكبت بعزم على العمل والبحث.

ركّزت على ملفّ قراصنة البحر، وتوصّلت قبل الغداء، إلى تدوين ملاحظاتها الخاصة وقد استنتجتها من البيانات التي جمعتها فيبي سبراغ.

راحت تعيد قراءة الملاحظات:

تيارات مائية قويّة ومساحات من المياه الضحلة المتبدّلة الإتجاه إمتدّت على خمسة عشر ميلاً من شاطئ تشاتهام وكانت سبب غرق العديد من المراكب والسفن. منها ما تحطّم من جرّاء العواصف، منها ما لفظه المحيط على الرمال، ومنها ما ابتلعه مياهه.

قراصنة البحر: تلك كانت التسمية التي أطلقت على المراكب التي سارع أصحابها إلى نهب السفن الغارقة ونصب الكمائن لها. كانوا يبحرون بمراكبهم الصغيرة باتجاه السفينة الغارقة، حاملين الفؤوس والعصي المروّسة ويكوّمون ما تيسّر لهم من غنائم وبراميل وصناديق فوق مراكبهم. من بين هؤلاء المستفيدين، كان أيضاً بعض رجال الإكليروس. فقد وقعت مينلي وهي تطالع مذكرات فيبي، على قصّة رجل الدين الذي قطع عظته ونظر إلى الخارج، حيث وجد سفينة تغرق. سرعان ما أبلغ الحضور بالفاجعة وقال لهم: «هيا إلى العمل». وسارع الى الخارج وقد تبعه جمع المصلّين.

ومن القصص الأخرى التي سجّلتها فيبي، تلك التي تحكي عن

رجل دين، أُبلغ بغرق إحدى السفن فطلب من أبناء الرعيّة الإنحاء للصلاة، فيما تسلّل هو إلى الخارج سعيًا وراء الغنائم. عاد بعد خمس ساعات فوجد المصلّين لا يزالون في حالة الصلاة وقد أحنوا رؤوسهم خشوعًا وطاعة.

يا لها من قصص رائعة، فكّرت مينلي، لكن ما علاقتها بتوبياس نايت؟ بعد ساعة من القراءة، وقعت على إشارة إليه، فهو من يفضح عصابات السارقين التي سلبت حمولة مركب ريد جاكيت من الطحين. كُلف توبياس التحقيق في العملية، بدون أن يُعرف ما إذا كان قد نجح في مهمّته.

تساءلت مينلي: «ما دخل ميهيتايل بهذا كله؟ لا يُعقل أن يكون الكابتن فريمان فردًا من عصابات نهب السفن المنكوبة.» في معرض قراءتها، وقعت على إشارة أخرى إلى توبياس نايت. ففي العام 1707 أُجريت انتخابات لاستبداله في مركز القاضي وواحد من الأعيان، وتعيين سامويل مكانه. السبب: لم يعد نايت يلقي استحسان المجموعة.

لم تذكر فيبي سبراغ في كتاباتها المصير الذي آل إليه نايت. ما الذي جرى له؟ لم تجد أي إشارة إلى وفاته. ما السبب وراء تواريه؟ قامت مينلي عن طاولة العمل ونظرت إلى الساعة. كانت الثانية والنصف. لقد مضى على خروج إيمي والطفلة ساعتان. أحسّت مينلي بشيء من القلق وسارعت إلى باب المطبخ. كم كان ارتياحها كبيرًا عندما رأت عربة الطفلة تشقّ طريق العودة إلى المنزل.

تساءلت: «هل سيأتي اليوم الذي يتلاشى فيه قلقي على هانا؟» لكنها حاولت طرد هذه الفكرة من رأسها، وقرّرت إلقاء نظرة على المحيط، علّها تلقى في ذلك بعض الطمأنينة والإرتياح.

تركت حجرة الطعام الصغيرة واتجهت نحو الردهة الرئيسية. فتحت النوافذ الامامية، تستمتع بالهواء المشبع بملح البحر. أحسّت برغبة في الخروج للتنزه على الشاطئ حيث تغطي المياه كاحليها. ما كان رأي ميهيتابيل بالمنزل؟ هل أحبته يا ترى؟ استطاعت مينلي وضع تصوّر لكيفية كتابتها القصة.

عادة من الرحلة إلى الصين وكان تجهيز المنزل قد اكتمل. راحا يجولان في كلّ غرفة ويتأملانها، فيبديان الملاحظات حول ورق الجدران والصور. لم يخفيا إعجابهما بحجر القرميد الذي نُسق بعناية حول الموقد، والذي كان أندرو قد طلبه من ويست بارنستايل. أمّا باب المدخل الرئيسي فزُين بنقوش رائعة. لفتت نظرهما النافذة نصف الدائرية التي أضفت جوّاً رائعاً على باب المدخل. بعد ذلك، سلكا المنحدر نزولاً لينظرا إلى المنزل انطلاقاً من الشاطئ.

فيما وقفا يتأملان المنزل قال أندرو: «لقد أتقن توبياس نايث بناء المنزل». كانت المياه تلاعب عباءة ميهيتابيل فرفعتها وغرزت قدميها في الرمال الجافة معلّقة: «أستمتع بالمياه تداعب كاحليّ». أمّا أندرو فضحك وقال: «المياه باردة، وأنت حامل. أنصحك بالابتعاد عنها».

«سيّدة نيكولز، هل أنت بخير؟»

إلتفتت مينلي فرأت إيمي واقفة عند المدخل وقد حملت هانا

بين ذراعيها.

ردّت عليها: «أنا بخير. إيمي، أعذريني. عندما أُرسم أو أكتب،
أنتقل إلى عالم آخر.»

إبتسمت إيمي وقالت: «بهذه الطريقة كانت البروفسور سبراغ
تصف الكتابة، عندما كانت تأتي لزيارة والدتي.»

«هل كانت والدتك والسيدة سبراغ صديقتين؟ لم أكن أعرف.»
«كان والداي عضوين في نادٍ لهواة التصوير الفوتوغرافي. وما
زال والدي إلى اليوم يهوى التصوير. في النادي التقيا البروفسور
سبراغ، فتصادقت والدتي معها.»

تبدّلت لهجة إيمي فيما تابعت: «هناك التقى والدي إيلين.
فهي أيضًا عضو في النادي.»

جفّ حلق مينلي. نظرت إلى هانا وهي تربت بيديها على وجه
إيمي. لكنّها تخيلت الشائبة بشكل مختلف. رأته أكثر نحولاً، ورأت
وجهها أنحف. ابتسامة ملؤها الحنان والحزن، وهي تقبل جبين
الطفلة وتهزّها بين ذراعيها. بهذه الطريقة كانت لترسم ميهيتابيل في
الأسابيع التي فصلت ما بين ولادة طفلتها واليوم الذي خسرتها فيه.
إنتابت إيمي رعشة وقالت: «الجو بارد هنا، أليس كذلك؟
أيمكنني تحضير كوب من الشاي؟»

59

عندما وصل آدم إلى منزل سكوت وجده يغسل المرآب. قطّب جبينه
وهو يراه يركّز على تنظيف مساحة لطختها بقع من الزيت.
علّق قائلاً: «أراك كادحًا.»

«لستُ كذلك، في الواقع. أردتُ القيام بذلك منذ وقت طويل. لقد تابعت فيفيان دروسًا في صيانة السيارات منذ بضع سنوات وأدّت دور الميكانيكي لبعض الوقت. كانت تملك سيارة قديمة فراحت تتدرّب على تزويدها بالوقود وعلى تغيير زيت المحرك.»

أما آدم فعاجله بالسؤال: «هل كانت السيارة القديمة تلك ترشح زيتًا؟»

«لا أعرف إن كانت ترشح زيتًا أو إن كانت فيف تهدر نصف كمية الزيت. لقد اعتادت أن تركن السيارة هنا. فهي اشترت البي.أم بعد زواجنا.»

«الآن فهمت. هل تعرف ما إذا كان رجال الشرطة قد التقطوا صورًا للمرآب، عندما حضروا للتفتيش؟»

جفل سكوت وسأل: «ماذا تقصد بكلامك؟»

«بالأمس، ذهب التحري كوغان لمعاينة سيارة تينا. لقد لاحظ تسربًا للزيت.»

ما كان من سكوت إلا أن وضع خرطوم المياه جانبًا وتوقف عن الغسيل وقال: «آدم، أتدرك ما أعانيه؟ سوف أصاب بالجنون. ما إن ينتهي الإستجواب حتى أغادر المكان. لا يهتمني رأي الناس والشرطة.»

من ثم هزّ رأسه، لكأنه ينشد صفاء الذهن وتابع: «أسفٌ لكلامي الجارح. لا دخل لك في القضية. تفضّل بالدخول. فالجوّ بارد هنا. خلّت أنّ شهر أغسطس هو الأفضل في كايب كود.»

أما آدم فردّ بلطف: «اليوم استثنائي، فأنا لم أشهد جوًّا باردًا منذ مجيئي.»

«أسف مرّة أخرى. آدم، يجب أن نتحدّث». إستدار سكوت وسبق آدم إلى الداخل. رفض آدم دعوة سكوت إلى تناول الجعة، وفيما ذهب هذا الأخير ليحضر كأساً له، راح آدم يتفحص غرفة الجلوس بإمعان. بدا له أنّها بحاجة إلى بعض الترتيب، لكنّه ما لبث أن عزا الفوضى السائدة فيها إلى التفتيش الذي خضعت إليه. فليس من عادة رجال الشرطة ترتيب الأماكن التي يفتشونها. لكنّ آدم تنبّه لميزة أخرى طبعت المكان، ألا وهي نوع من الفراغ والبرودة. غريبة كانت! لقد خلت من أي تذكّار شخصي، من أي صورة أو كتاب أو مجلة. أما الاثاث فكان بالياً وغير متناسق. في تلك اللحظة تذكّر آدم ما قالته له إيلين عن أنّ فيفيان قد اشترت المنزل مفروشاً. بدا له أنّها لم تترك فيه بصمتها الخاصّة. سكوت كوفي هذا حدوها. عبثاً بحث آدم عن بصمته في المكان، لكنه لم يجدها.

لم يمنع نفسه من التفكير في حجرة الطعام الصغيرة في ريممير هاوس. لم يمض على وجودهما هناك أكثر من أسبوعين، وها مينلي تحوّلها إلى غرفة جدّابة، من دون أن تبذل جهداً جبّاراً في ذلك؛ أزهار إبرة الراعي تزيّن عتبات النوافذ، والفاكهة تملأ دوماً الإناء الخشبي الكبير على الطاولة. كما أنّها نقلت الكرسي الهزاز البالي من الردهة ووضعتته بالقرب من الموقد. حتّى أنّها استفادت من سلّة قديمة ووضعت فيها الجرائد والمجلات.

لقد كانت مينلي مدبّرة منزل بالفطرة. أحسّ آدم بالندم على فعلته في صباح ذلك اليوم؛ فقد طلب من إيمي ملازمة مينلي لحين عودته. لم تكن مينلي لترسل إيمي إلى منزلها. فهي متخوّفة من نوبات القلق تلك، بقدر ما كان هو متخوّفاً منها. فقد اتّصلت بالدكتور

كوفمان في اليوم السابق. حتى أنها اقترحت عليه استخدام إيمي اليوم بطوله.

تساءل آدم: «ما الذي أحر كوفي يا ثري؟ كم يحتاج من الوقت ليسكب كأسًا من الجعة؟ وما الذي أفعله هنا بحقّ الله؟ فأنا أمضي العطلة وزوجتي بحاجة إليّ، وها أنا أتولّى هذه القضية.»

دخل المطبخ وسأل سكوت: «هل من خطب ما؟»

كان سكوت جالسًا إلى الطاولة وقد طوى ذراعيه ولم يلمس كأس الجعة. بادر آدم بالقول: «آدم، لم أكن صريحًا معك.»

60

إرتأى نات كوغان زيارة فريد هيندين للمرّة الثانية. وصل إلى منزل هذا الأخير عند الرابعة والنصف، وقد تسلّح بالمعلومات التي حصل عليها من محقق شركة التأمين.

كانت سيارة هيندين مركونة على الطريق الخاصّة المؤدية إلى منزله. سرّ نات لرؤية سيارة تينا التويوتا الخضراء، متوقّفة خلفها. فقد يتوصّل إلى نتائج فضلى، إذا ما راقبهما معًا.

اجتاز الممشى الهويينا ودقّ جرس الباب. أتى هيندين ليفتح الباب. لم تبدّ عليه علامات السرور لرؤية الزائر.

سأله: «هل كنّا على موعد، وقد نسيته؟»

ردّ عليه نات بلطف: «لا، لسنا على موعد. هل تمنع في

دخولي؟»

وقف نات جانبًا وقال: «أمانع في دخولك، إذا ما استمرّيت في

إزعاج صديقتي.»

أما تينا فكانت جالسة على الكنبه تمسح عينيها بمنديل.
سألت نات: «لم تُصر على مضايقتي؟»

ردّ نات: «أنا لا أقصد مضايقتك تينا. نحن مُكلّفون التحقيق في جريمة قتل محتملة. وعندما نستجوب بعض الأشخاص، لا نفعل ذلك بغرض إزعاجهم ومضايقتهم.»

«أنت تستجوب الناس بشأني. وتعاين سيارتي.» قالتها وراحت تذرّف الدموع.

فكرّ نات: «يا لك من ممثّلة حقيرة. إنّما تفعل هذا كلّه لاستدرار تعاطف هيندين.» رمق نات هيندين بنظرة فرأى على وجهه علامات الإستهياء والتعاطف. لقد نجحت تينا في التأثير به.

جلس هيندين بالقرب من تينا وأمسك بيدها. سأل نات: «ما قصّة السيارة؟»

«ألم تلاحظ تسرّب الزيت من سيّارة تينا؟»

«بلى لاحظتُ ذلك. أنا أنوي إهداء تينا سيّارة جديدة بمناسبة عيد ميلادها بعد أسبوعين. لا داع لهدر المال في إصلاح السيّارة القديمة.»

علّق نات بالقول: «إنّ أرضيّة مرآب السيارات في منزل سكوت كوفي ملطّخة ببقعة زيت كبيرة. ولا أظنّ أن الزيت قد تسرّب من سيارة البي. أم الجديدة.»

قاطعته تينا وقالت: «ولا أظنّ أنّ الزيت تسرّب من سيارتي.» كانت عيناها قد جفّتا من الدموع. **مكتبة الرمحي أحمد**

وقف هيندين وبادر نات بالقول: «سيّد كوغان، لقد علمت من تينا بأمر جلسة الإستجواب. وقد طلب محامي كوفي مقابلي، وسوف

أقول له ما أقوله لك الآن. لقد انفصلنا تينا وأنا الصيف الماضي بسبب مواعدها كوفي. عاشت عددًا من الشبان خلال الشتاء، ولا دخل لي بذلك. نحن معًا من جديد، ومنذ أبريل الماضي لم نفترق ولا لليلة واحدة. لذا، لا داع أن تستغل لقاءها العرضي بكوفي في تلك الحانة أو توقفها بمنزله لتقديم واجب العزاء على أثر وفاة زوجته».

طوق تينا بذراعه بينما افترت شفتها عن ابتسامه.

أعلن لنات: «يؤسفني أن تكون من يفسد المفاجآت التي حضرتها لحبيبتي. هاك المفاجأة التالية: بالإضافة إلى السيارة، لقد اشتريت لتينا خاتم الخطوبة وكنت أنوي إهداءها إياه بمناسبة عيد ميلادها. لكن، نظرًا لمسار الأمور، سيكون في إصبعها عندما نمثل أمام المحكمة الاسبوع المقبل. والآن، أغرب عن وجهي، كوغان. فانت تثير اشمئزاي بأسئلتك.»

61

عجبًا، في هذا المكان بالذات، ينهار دفاع سكوت. في مطبخ فيفيان كاربنتر. تلقف آدم مُضيفه بالسؤال: «ماذا تقصد بقولك إنك لم تكن صادقًا معي؟»

أما سكوت فلم يرفع عينيه عن كأس الجعة، بل ردّ على آدم من دون أن ينظر إليه: «سبق لي وأخبرتكم بأنني لم أقابل تينا منذ زواجي بفيفيان، سوى مرتين: الأولى في الحانة في ذلك اليوم والثانية عندما أتتني هنا لتقديم واجب العزاء. هذا صحيح. أما الكذبة في الموضوع فهي ادعائي بأننا انفصلنا نهائيًا في الصيف الماضي».

«هل عدتَ وقابلتها بعد أن تركت كايب كود في أغسطس الماضي؟»

«لقد أتت إلى بوكا خمس أو ستّ مرّات. وكنت أنوي إخبارك بالأمر؛ أنا واثقٌ من أنّ التحريّ الذي يعمل معك سيكتشف ذلك.»

«التحريّ الذي أنوي التعاون معه في القضية في إجازة تنتهي الأسبوع المقبل. لكنك محقّ. كان ليكتشف الأمر. وكذلك مكتب المدعي العامّ؛ هذا إذا لم يكن قد علم به في حينه.»

دفع سكوت بكرسيه إلى الوراء وقام عنه. «أدم، يؤسفني أن أقول لك ذلك. لكنّها الحقيقة. لقد قطعْتُ علاقتي بتينا في أغسطس الماضي، ليس لأنني كنتُ أعاشر فيفيان، بل لأنّ تينا أصرت على علاقة جدية، رفضتها أنا. بعد ذلك، قصدتُ بوكا، حيث أدركتُ اشتياقي إلى فيف. فاتصلتُ بها وعرفتُ أنّها تبادلني الشعور. أتت إليّ في بوكا وتقابلنا مرّات عدّة في نيويورك. بحلول الربيع، اتّخذنا قرار الزواج.»

سأله أدم بنبرة اتّهاميّة: «لنفترض أنّك تقول الحقيقة الآن، لم تم تقلها منذ البداية؟»

«لأنّ فريد لا يعرف باستمرار علاقتنا، تينا وأنا خلال الشتاء. لم يكن ليستاء من خروجها مع شبّان غيره، لكنّه كان يكرهني شخصيًّا، لأنّها تخلّت عنه بسببي. لهذا السبب طلبت منّي أن نتقابل هنا. أرادت أن تراني وجهًا لوجه، وأن تنتزع مني وعدًا بأنني سأتكتم عن مجيئها إلى فلوريدا.»

«هل عدتَ وقابلتها بعد أن تركت الحانة في ذلك اليوم؟»

هزّ سكوت كتفيه استهجانًا وأجاب: «لقد اتّصلت بها وطلبت منها أن تُفرغ جعبتها من الكلام عبر الهاتف، فلا داعٍ لنتقابل هنا.»

وعندما أطلعتني على الأمر، انفجرت ضحكًا. إستغربت طلبها وسألتها عن الشخص الذي قد أخبره بمجيئها إلى بوكا. فهل أنا أحقق إلى هذا الحد؟»

«برأيي، نحن بحاجة إلى بعض الشهود في جلسة الإستجواب، ليشهدوا بأنّ تينا هي من كانت تطاردك، وليس العكس. هل من شهود تقترحهم؟»

أجابه سكوت مبتهجًا: «أقترح عددًا من النادلات في نزل دانيال ويبستر. لقد كانت تينا على علاقة صداقة معهنّ لم تلبث أن انقطعت. بحسب روايتها، لقد انقلبن عليها، لأنّ بعضًا من الزبائن الذين اعتادوا أن يتركوا البقشيش الكبير، راحوا يطلبون الجلوس إلى واحدة من الطاولات التي تخدمها هي.»

من ناحيته، علّق آدم: «يبدو لي أنّ تينا كانت تناور على الجبهات كلّها. أمل ألا يعارض صديقها أن تكشف للعلن أكاذيبها وخداعها إياه.»

تساءل آدم: «لِمَ تورّطت في هذه القضية؟»

إلى تلك اللحظة، كان يعتبر أنّ زوجة سكوت كوفي قد قضت في حادث مأساوي، لكنّه لم يستبعد فكرة أن يكون كوفي قد استغلّ تينا إلى أن قرّرت فيفيان الإرتباط به. قد يكون الرجل بريئًا من تهمة القتل، لكنّه بالتأكيد خسيس.

إنتاب آدم فجأة شعور بأنّ جدران المطبخ الصغير ستطبق عليه. أراد أن يعود إلى مينلي وهانا. لم يبقَ لديهم سوى أيام قليلة يقضونها معًا قبل أن يعيد مينلي إلى المستشفى في نيويورك. فبادر سكوت بنبرة جافّة: «أعطني إسمي النادلتين.»

«إنهما ليز مورفي وأليس ريغان.»

«دَوْن الإسمين. أمل أنهما ما زالتا تعملان في النزل.» إستدار

أدم وترك المطبخ.

فيما مرّ بغرفة الطعام، ألقى نظرة إليها. لمح صورة بإطار موضوعة

على الطاولة: كانت صورة ريممير هاوس التي التُقطت من الجوّ والتي

كانت إيلين تعرضها في واجهة مكتبها. إقترب منها يتأملها.

لقطة رائعة، بدا المنزل فيها مهيبًا ومنعزلًا. أمّا الألوان، فمذهلة.

أغصان الشجر الخضراء تحيط بالمنزل، فيما تزرّه أزهار الكوبية بلونها

الأزرق الضارب إلى الأرجواني. أمامه، امتدّ المحيط الأزرق المخضر،

وقد هدأت مياهه. بإمكان الناظر إلى الصورة أن يرى أيضًا بعض الناس

ينزهون أطفالهم بالعربات على الشاطئ ومركبًا صغيرًا راسيًا في الأفق.

قال آدم لسكوت: «أودّ الإحتفاظ بهذه الصورة.»

سارع سكوت إلى الردّ: «إنّها هديّة من إيلين. لو لم تكن كذلك،

لأعطيتك إياها عن طيب خاطر. برأي إيلين، في حال لم تكن أنت

مهتمًا بشراء ريممير هاوس، قد أفعل أنا.»

«هل كنت لتشتريه؟»

«لو كانت فيف على قيد الحياة، لفعلت. لكن، في الحالة هذه،

لا.» تردّد وأضاف: «أقصد، في حالتي العقلية والنفسيّة هذه، لن أقدم

على شرائه. لربّما، غيّرت رأيي إذا برّأني أحد القضاة.»

من ناحيته، علّق آدم: «يكفي أن تنظر إلى هذه الصورة حتى

تتخذ قرار شراء المنزل. إنه لي.»

من ثمّ استدار تأهبًا للرحيل وقال: «سوف أنصرف. نتحدّث

فيما بعد.»

فيما كان يركب سيّارته، لمح هنري سبراغ وهو يلوّح له بيده. فقصده في منزله. أعلن له سبراغ: «لقد وجدتُ المزيد من المواد التي قد تثير اهتمام مينلي. تفضّل بالدخول، لأسلمك إياها.»

كان الملفّ فوق طاولة البهو. «تصرّ فيبي على أنّ هذه الدمية كانت في ريممبر هاوس. لا أعرف سبب إصرارها، لكن هل تمانع في أن تأخذها معك؟»

ردّ عليه آدم: «سوف تُسرّ مينلي برؤيتها. إنّها دمية أصليّة لا تتفاجأ لاحقاً إذا ما رأيت رسمها في الكتاب الذي تؤلّفه. شكراً هنري. كيف حال فيبي اليوم؟»

«إنّها تأخذ قيلولة في الوقت الحاضر. لم تكن ليلتها هانئة. لا أعرف ما إذا كنت قد أخبرتك بذلك؛ أنا أنوي إيداعها في المصحّ في بداية الشهر.»

«لم تُخبرني بذلك. أنا آسف.»

فيما دسّ آدم الملفّ تحت إبطه وحمل الدمية، تفاجأ بصرخة قوية. قال هنري: «إنه كابوس آخر.» وسارع إلى غرفة النوم، وقد لحق به آدم.

كانت فيبي ممدّدة على السرير وقد غطّت وجهها بيديها. إنحنى هنري فوقها وأمسك بيديها. قال لها بعدوبة: «لا تخافي عزيزتي، أنا هنا.»

فتحت عينيها، نظرت إليه ومن ثمّ أدارت رأسها ورأت آدم واقفاً يحمل الدمية. تنهدت قائلة: «لقد أغرقوها، لكنني سعيدة بأنّ الطفلة ما زالت على قيد الحياة.»

62

إتصلت مينلي بكاري بيل عند الرابعة. ردّت عليها كاري بشيء من الحذر، ما لبث أن استحال ترحيبًا حارًا عندما علمت بسبب الاتصال. قالت لها: «فكرة رائعة. أنا بحاجة إلى المال. فقد خسرت فرص

عملٍ كثيرة خلال الأسبوعين المنصرمين.»

سألته مينلي: «فرص كثيرة؟ ولماذا؟»

«لم يكن يجدر بي أن أقول لك ذلك. سأحضر غدًا في الصباح

الباكر. شكرًا، سيّدة نيكولز.»

أطلعت مينلي إيمي على حديثها مع كاري وسألته: «هل

تعرفين ما قصدته بالقول إنّها خسرت الكثير من فرص العمل؟»

أجابت إيمي وقد بدا عليها الحرج: «كلّ ما في الأمر أنّ إيلين

تتدبّر عملاً لكاري لدى اشخاص يبيعون منازلهم أو يؤجّرونها. فتقصد

كاري المنازل تلك لأيام قليلة، وهي تتقن عملها في التنظيف. لكنّها

برأي إيلين ثرثرة كبيرة. لهذا السبب لم تعد تدبّر لها وظائف جديدة.

حتّى أنّها حاولت إقناع والدي بطردها.»

فيما كانا يتناولان العشاء، أطلعت مينلي آدم على حديثها مع

إيمي. سألته وهي تسكب له الطعام في صحنه: «ألا ترى في تصرف

إيلين شيئًا من الدناءة؟ بحسب ما عرفته من إيمي، فإنّ كاري

بيل عاملة تنظيفات نشيطة، وهي أمّ عازبة تعيل صبيًا في الثالثة

من عمره.»

علّق آدم قائلاً: «العشاء لذيذ. وردًا على سؤالك، أنا أعرف أنّ

كاري بيل عاملة تنظيف نشيطة. فقد دأبت على تنظيف البيت الذي

امتأجرته السنة الماضية عندما قدمتُ إلى كايب بمفردتي. لكنني أعرف أيضًا أن إيلين تتقن عملها وهي امرأة ناجحة. وإذا كانت ترى في ثثرة كاري ضررًا بمصالحها وعائقًا أمام بيع المنازل، فهي لن تتأخر عن الإستغناء عن خدماتها. فضلًا عن الطعام، الجو أيضًا يعجبني كثيرًا.»

كانت مينلي قد أطفأت ضوء السقف وأنارت المصابيح الجدارية. كانا يجلسان متواجهين إلى طاولة حجرة الطعام. أما البيانات والكتب التي حصلت عليها مينلي من فيبي، بالإضافة إلى المذكرات والرسوم التي نفذتها هي، فكانت في المكتبة.

قالت مينلي لآدم: «بما أننا سنتناول العشاء هنا، قرّرت ترتيب المكان من الأوراق والملفات المبعثرة.»

كانت واثقة من أنّ ما قالته جزءٌ من الحقيقة، لا الحقيقة كاملة. فعندما عاد آدم إلى المنزل، بعد ظهر ذلك اليوم، وسلّمها الملفّ الثقيل الذي حصل عليه من هنري سبراغ، تصفّخته وصدّمت لرؤية الرسم الذي يُظهر ميهيتابيل وأندرو على ظهر المركب. لقد كان مطابقًا لما تخيلته. فكّرت: «الملفّ يحوي حتمًا صورة أخرى لهما، لا شكّ في أنني رأيتها. لكنّ ذلك مثال آخر على نسيان أمر هامّ.»

لذا، قرّرت أن تنقطع أياّمًا قليلة عن الأبحاث حول ريممير هاوس وتبأشر بالمقالة التي ستصدر في ترافل تايمز.

اتّصلت بجان بالي التي وافقت على وضع قائمة ببعض المنازل التاريخية العريقة لكي تقوم بزيارتها. قالت لجان: «إنّ القصص التي أخبرتني بها عن أشخاص شعروا بأرواح تسكن منازلهم ستكون ممتازة. أنا واثقة من أنّها سوف تستهوي الناشر.» وفكّرت: «وأنا أيضًا يهمني أن أعرف ما يقوله هؤلاء الاشخاص.»

سألها آدم: «هل كتبتِ بعض الصفحات اليوم أم ما زلت تبحثين في ملفات فيبي؟»

«لا هذا ولا ذاك. لقد كنتُ أعمل على موضوع آخر.» وأطلعته على اتصالاتها بجان وعلى ما تنوي القيام به.

إبتسم آدم وقال: «قصص أشباح ومنازل مسكونة؟ أنت لا تصدِّقين تلك الروايات السخيفة.»

«أنا أصدِّق الأساطير.» وانتبهت إلى أنّ صحنه قد خلا من الطعام. علّقت بالقول: «لقد كنتَ جائعًا. ماذا أكلت على الغداء؟»

«أكلتُ الهامبرغر، لكن مضى على ذلك وقت طويل. كانت لاين معي. فقد رافقتها لتقديم شهادتها في جلسة الاستجواب.»

لطالما تحدّث آدم عن إيلين بشيء من الحنان والحميمية. لذا سارعت مينلي إلى سؤاله: «آدم، هل كنت يوماً على علاقة بإيلين، أعني، علاقة تتخطى الصداقة؟»

بدا آدم منزعجًا وأجاب: «كان ذلك في سنّ المراهقة. وحدث أن خرجنا معًا عندما عدت للإستقرار في كايب كود حيث تلقّيت دروس القانون.»

«لكن مينلي! ما هذا السؤال؟ لا تتوقّعي منّي أن أخبرك عن مغامراتي العاطفية. قبل أن ألتقيك، اعتدتُ أن أصحب صديقتي إلى هنا لتمضية عطلة نهاية الاسبوع، في منزلنا الكبير القديم. وفي بعض الاحيان كنت آتي بمفردي. فأخرج مع إيلين إن لم تكن مشغولة. لكن ذلك كان منذ سنوات عدّة. ولم تكن بالعلاقة الجديدة.»

«حسنًا، فهمت.» لم تكن مينلي تودّ التحدّث عن إيلين. مدّ آدم يده فوق الطاولة وقال: «أنا مع المرأة التي أحببتها طوال عمري وتقت إلى الإرتباط بها.» ثمّ تريث قبل أن يكمل «لقد

واجهنا خلال خمس سنوات مشاكل وصعوبات جمّة. كلّ ما يهمني هو أن نتخطّأها وأن تستعيد علاقتنا المتانة التي كانت عليها».

لمست مينلي يده برؤوس أصابعها، ثمّ سحبتهما وسألت: «آدم، هل تحاول أن تقول لي شيئاً؟»

وراحت تصغي إليه بذعر كبير فيما يُطلعها على خطّته: «عندما تحدّثتُ إلى الدكتور كوفمان قالت لي إنها ترتأي إخضاعك لعلاج ضدّ العدائيّة. فاستعادة الحادث تختلف عن تصوّر سماع بوبي يصرخ، وبحثك عنه في المنزل. برأيها، من الأفضل أن تدخل المستشفى لبعض الوقت.»

كان ذلك ما خشيت أن تسمعه.

«لكنني أشعر بتحسّن، آدم.»

«أنا أعرف الجهود التي تبذلونها من أجل ذلك. لكن، يجدر بك أن تأخذي بنصيحة الدكتور كوفمان وتدخلتي المستشفى بعد جلسة الاستجواب. أنت تثقين بها.»

في تلك اللحظة، أحسّت بالكره تجاهه وعرفت أنّه أدرك ذلك من التعابير التي ارتسمت على وجهها. إستدارت وانتبهت إلى الدمية القديمة وقد وضعها في كرسيّ الطعام الخاص بها. كانت الدمية تحدّق بها بعينيها الزرقاوين.

«ليست المسألة مسألة ثقة بالدكتور كوفمان، بل إنها ثقتي

بنفسي.»

63

تفاجأت جان بالي وسرت لتلقيها اتصالاً هاتفياً من مينلي نيكولز بعد ظهر ذلك اليوم. كانت مينلي قد سألتها تزويدها بالمعلومات عن بعض المنازل التاريخية وعن الأساطير التي ارتبطت بها.

«بالتاريخية، أعني نماذج حقيقية عن فنّ العمارة في تلك الايام، وبالأساطير أعني قصصاً تحكي عن وجود الأرواح أو الأشباح في تلك المنازل.»

كانت جان قد وافقت على أن تكون مُرشدة مينلي في هذا المجال. فجلست ودوّنت لها لائحة بالمنازل حيث تنوي اصطحابها. من بينها منزل ديلينغهام القديم. لقد كان الثاني ضمن المنازل الأقدم في كايب كود. وقد خُيّل للناس الذين استأجروه على مدى السنوات رؤية امرأة تدخل واحدة من غرف النوم فيه.

من الأماكن الأخرى التي قد تزورانها، نُزل دينيس. يزعم مالكوه وجود طيف يعيثُ فساداً في المطبخ. حتى أنهم أطلقوا عليه إسم ليليان. بإمكانهما أيضاً زيارة سارا ناي، الصديقة التي أتت جان على ذكرها أثناء حديثهما في الحفلة في منزل إيلان. لقد كانت سارا متأكّدة من أنها تعيش في منزلها مع السيّدة التي شُيّد المنزل من أجلها في العام 1720.

أجرت جان عددًا من الاتصالات وحدّدت المواعيد ومن ثمّ اتصلت بمينلي.

«لقد ربّبت كل شيء. سوف أمرّ لاصطحابك صباح الغد عند

«عظيم. لكن، هل تعرفين شيئًا عن دميمة قديمة كانت فيبي سبراغ تحتفظ بها؟ لقد عرف آدم من هنري أنها تُصرّ على أنّ الدميمة تعود لريمبر هاوس.»

هتفت جان: «هل تذكّرت هذا التفصيل؟ يسرّني أنها فعلت. لقد وجد توم الدميمة تحت الإفريز في العليّة. لا أحد يعرف الوقت الذي مضى على وجودها هناك. أرادت فيبي أن تعرضها على خبير في التحف القديمة. فقد بيّنت لها بعض الأبحاث أنها تعود لميهيتابيل. في ذلك الوقت، لم أدرك تراجع ذاكرة فيبي. لقد وضعت الدميمة في مكان ما، ما لبثت ان غفلت عنه.»

أما مينلي، فسألت جان: «لماذا ظنّنت بأن الدميمة تعود لميهيتابيل؟»

«لقد أخبرتني فيبي عن بعض المذكّرات التي قرأتها عن ميهيتابيل. فبعد أن انتزع منها زوجها الطفلة، شوهدت ميهيتابيل واقفة في ممشى الأرملة وهي تحمل دميمة.»

12 أغسطس

64

أمضى سكوت كوفي قسماً كبيراً من نهار الجمعة على ظهر المركب. فقد أحضر معه غداء خفيفاً، بالإضافة إلى صنارات صيد السمك، واستمتع بساعات من الهدوء والسلام لم يعرف مثلها منذ أسابيع. فقد استعاد شهر أغسطس حرارته المعهودة بعد الطقس البارد الذي ساد في اليوم السابق. أمّا نسيم المحيط، فها هو يُرسل عطره في الجوّ من جديد. كانت غلّة صيد السمك ضخمة، فامتلأت السلال بالكرند. تناول سكوت الغداء وتمدّد على ظهر المركب، وقد شبك يديه تحت رأسه وراح يُردّد الشهادة التي سوف يدلي بها في جلسة الإستجواب. حاول في تلك اللحظة أن يتذكّر النقاط السلبية التي حدّره آدم نيكولز منها، والسبيل إلى دحض كلّ منها.

غير أنّ تورّطه في تلك العلاقة مع تينا، الشتاء الماضي، سيمثل المشكلة الكبرى. فما السبيل إلى إقناع القاضي بأنها هي من كانت تلاحقه، من دون أن يظهر بمظهر الرجل الخسيس؟

في تلك اللحظة، خطر بباله كلام قالت له فيفيان. في أواخر يونيو الماضي، وفيما كان يكلمها في أثناء واحدة من نوباتها العصبية،

قالت له بحسرة: «سكوت، أنت من الرجال الوسيمين الذين تقع النساء في حبّهم. أنا أحاول تفهّم هذا الواقع. وكذلك غيري من الأشخاص. الذنب ليس ذنبك. فأنت لا تستطيع أن تمنع تعلقهنّ بك.»

استعاد كلامها في ذهنه، وقال بصوت عالٍ: «فيّفي، سوف أشكرك على مساعدتي في تخطّي جلسة الإستجواب.»

رفع عينيه إلى السماء، وأرسل لها قبلة.

65

جلس نات كوغان في مكتب المدعي العامّ في بارنستايل وراح يستعرض لائحة النادلات اللواتي استُدعين للشهادة في جلسة الاستجواب.

أما المدعي العام، روبرت شور، فجلس إلى مكتبه يقرأ الملاحظات التي دوّنها بنفسه. كان قد حدّد اجتماعًا عند الظهر لتنسيق التحضيرات النهائية لجلسة الاستجواب.

«حسنًا. سوف يؤخذ علينا أنّنا لم نخصّص الوقت الكافي للأشخاص الذين استدعيناها. لكنّ القضية متشعبة ومعقدة، ولا يمكننا إطالة الإستجواب. هل من مشاكل؟»

استمرّ الإجتماع ساعة ونصف الساعة، توّصل الرجلان في نهايته إلى أنّهما سيعرضان على القاضي قضية مدروسة بالتفصيل. مع ذلك، أحسّ نات بضرورة التحذير فقال: «إسمعوا، أنا أعرف الرجل واختبرته قدرته على البكاء وعلى إثارة تعاطف من حوله. فهو ممثّل بارع قد يتوصّل بسهولة إلى إقناع القاضي ببراءته.»

66

صباح الجمعة، غادر آدم ريمبر هاوس ما إن وصلت إيمي. قال لمينلي: «يجدر بي استجواب النادلتين اللتين قد تبطلان أي شهادة بشأن زيارة تينا لسكوت في فلوريدا.»

ردّت عليه مينلي: «سوف أعود قرابة الثانية أو الثانية والنصف. كاري بيل ستقوم بتنظيف المنزل اليوم، بالتالي ستلازمان، هي وإيمي، هانا. هل أنت راضٍ عن ذلك؟»

سألت جان مينلي فيما كانتا تجتازان الجسر فوق موريس أيلاند باتجاه الطريق المؤدّي إلى المنارة والطريق 28: «هَلَّا قلتِ لي ما الخطب؟»
«زوجي وطبيبتي النفسيّة متفقان على ضرورة إدخالني إلى المستشفى.»

«قرار سخيف.»

«إنّه كذلك. ولن أسمح بالأمر. فلنقف عند هذا الحدّ. لكن، جان ينتابني شعور بأنّ فيبي تحاول أن تُبلغني رسالة ما. في ذلك اليوم، عندما قصدتني في المنزل حيث رأيت ملفّاتها، نظرت إليها وأظنّ أنّها تعرّفت إلى مضمونها.»

أجابت جان: «هذا ممكن. ثمة أوقات تتحسّن فيها ذاكرة فيبي

سبراغ.»

«لقد كلّمتني بنبرة ملحّة. إدّعت أنّ ميهيتابيل بريئة، ومن ثمّ قالت «توبياس نایت. ملفّ قراصنة البحر. هل تعرفين شيئاً عن الموضوع؟»

«لا أعرف الكثير. بحسب الروايات، لقد بنى توبياس نايت ريممبر هاوس، هذا كلّ ما نعرف عنه. لكنني، عرفت فيما كنتُ أستعرض المنازل التي سأصحبك إليها اليوم، أنّه قد بنى أيضًا واحدًا من المنازل الأقدم في إيستهام. إذا كان لديك متّسع من الوقت، لربّما مررنا به وألقينا نظرة عليه. المنزل تديره مؤسسة إيستهام التاريخية، ولربّما كانت قد جمعت بعض المعلومات عنه.»

67

لدى استجوابها، قالت ليز مور لآدم: «لقد التقت تينا سكوت كوفي هنا. أتى لتناول العشاء مع بعض الأشخاص من المسرح، وراحت تينا تحاول جذب انتباهه كالمجنونة. فهي بارعة في جذب الرجال.» هذا ما أدلت به النادلّة الشابة التي استجوبها آدم في مكتب نُزل دانيال ويبستر في ساندويش. تابع بالسؤال: «هل حصل اللقاء في يوليو من العام الماضي؟»

«في أوائل يوليو. في تلك الفترة كانت تينا تخرج مع فريد. يا له من شابّ لطيف. لكنّ تينا ما لبثت أن تخلّت عنه عندما عاد سكوت إلى الواجّهة.»

«هل تظنّين أنّ سكوت كان جدّيًّا في علاقتّه مع تينا؟»
«لا، لا أظنّ ذلك. الجميع كان يعرف أنّ سكوت شابّ طموح وقد وضع خططًا كبيرة لمستقبله. لم يكن ليرتبط بفتاة تعمل لكسب لقمة عيشها. لقد أخذنا عليها كلّنا التخلّي عن فريد من أجل سكوت.»
«على حدّ علمك، هل عادت تينا لتقابل سكوت خلال الشتاء؟»

«عرفت أنه في بوكا راتون وأرادت الحصول على وظيفة هناك. أظن أنه أطلعها على قراره العودة إلى كايب كود في حال تحسنت أمور العمل.»

«وهل عرفت بعلاقته بفيفيان كاربنتر؟»

«عرفت ذلك ولم تهتمّ للأمر.»

تطابقت روايتها مع تلك التي أخبره إياها سكوت.

تابع: «ماذا عن فيفيان؟ هل عرفت بأمر تينا؟»

«لا أظن أنها كانت لتعرف، ما لم يخبرها سكوت بذلك.»

«هل تعرفين السبب وراء ترك تينا الوظيفة هنا؟»

«أخبرتني بأن سكوت قد تزوج وبأنها تقابل فريد من جديد.

لذا، من الأفضل أن تكون حرة في المساء. بحسب ما عرفته منها، فإن

فريد يستيقظ في ساعة مبكرة ليذهب إلى عمله وينام عند العاشرة

ليلاً. لقد أرادت وظيفة حيث تعمل عند الفطور والغداء. وهذا أمر لم

يكن ممكناً هنا.»

«ليز، سوف يتم استدعاؤك للإدلاء بشهادتك في جلسة

الإستجواب. لا تقلقي. فالمدعي العام سي طرح عليك الأسئلة نفسها

التي طرحتها عليك أنا.»

كان دوام النادلة الثانية، أليس ريغان، يبدأ عند الحادية عشرة،

فانتظرها آدم. أكدت روايتها أقوال ليز مورفي. كان آدم واثقاً من أن

المدعي العام سيأخذ على تينا أنها اختارت العمل في تشاتهم، في

مطعم يرتاده عشيقها السابق، ما يضعف موقفها هي، لا موقف سكوت.

سلك آدم الطريق 6A وتوقف عند دار العدل. قصد مكتب المدعي

العام حيث رفع إسمي ليز مورفي وأليس ريغان لتتم إضافتهما إلى

لائحة الشهود الذين سيمثلون في جلسة الإستجواب. قال لمساعد المدعي العام: «قد أرفع اسمًا آخر أو إسمين».

كانت وقفته التالية في أورليانز، لاستجواب صياد سمك تعرّض مركبه للغرق في العاصفة نفسها التي أودت بحياة فيفيان كاربنتر.

68

إنهمكت كاري بيل في تنظيف حجرة الطعام الصغيرة، وإزالة الغبار من داخل الخزائن، فيما كانت تثرثر مع إيمي.

قالت للشابّة: «يا لها من طفلة رائعة. ووديعه.»

كانت إيمي تُطعم هانا وجبة الغداء. لكنّ الطفلة فهمت الإطراء، فما كان منها إلا أن خصّت كاري بابتسامة جميلة ووضعت يدها في مرطبان الدزاق.

قهقهت إيمي ضاحكة وتظاهرت بتأنيب الطفلة: «هانا، ما الذي فعلته؟»

أردفت كاري: «إنها شبّه أخيها.»

علّقت إيمي بالقول: «أوافقك الرأي. فالصورة التي تعرضها السيّد نيكولز على المزيّنة تظهر شبّهًا كبيرًا بينهما.»

«يظهر الشبه الأكبر في شريط الفيديو الذي أحضره السيد نيكولز معه السنة الماضية.» خفضت كاري صوتها وتابعت: «تعرفين، كنت أنظف ذلك البيت الصغير الذي استأجره بالقرب من منزل إيلين. وفي إحدى المرّات، دخلتُ البيت فيما كان السيّد نيكولز يشاهد شريط فيديو يُظهر بوبي وهو يركض نحو أمّه. كم رثيتُ لحاله في ذلك اليوم، فقد بدا على وجهه الأسى والحزن.»

أمسكت بالدمية القديمة وقالت: «إيمي، أنت لا تحبّدين فكرة نقل الدمية من كرسيّ الطعام العالي وإليه. ما رأيك لو وضعتها في ذلك المهد القديم في غرفة الطفلة؟ يبدو لي أنّ مكانها هناك».

69

بحلول الواحدة من بعد الظهر، كانت مينلي قد ملأت عشرات الصفحات من دفترها، وسجّلت على المُسجّل مقابلات مدّتها ساعتان. فيما سلكت جان الطريق 6 باتجاه إيستهام، إنصرفت مينلي إلى التفكير في نقاط التشابه بين التجارب التي سمعتها. قالت لجان: «كلّ مَنْ قابلناه اليوم يُجمع على وجود روح خيرة في منزله. لكنّ صديقتك ساره من بروستر، لم تشهد سوى ظهور وحيد في منزلها.»

«ماذا تقصدين بقولك؟»

«لقد أخبرتنا ساره بأنها استيقظت في صباح أحد الأيام على وقع أقدام ترتقي السلالم. من ثمّ انفتح باب الغرفة ورأت على السجادة آثار الاقدام.»

«هذا صحيح.»

راحت مينلي تقلب صفحات دفترها. وأضافت: «وصفت ساره شعورها يومذاك بالارتياح والأمان وعبرت عنه على هذا النحو: لكأنني عدت طفلة صغيرة تدخل أُمي الغرفة لتغطيني.»

«نعم، هذا ما قالته.»

«من ثمّ أحسّت بأحدهم يربّت على كتفها، وخُيّل إليها أنّه يُكلّمها. لكنّ ما سمعته إنّما سمعته في ذهنها وليس في أذنيها.»

أدركت للحال أنّ أبيغايل هاردنغ، السيّدة التي اشترت منها ساره المنزل، كانت هي من تكلمها وتعبّر لها عن سعادتها لأنّ منزلها قد استعاد على يديها رونقه الاصلي.»

«لطالما وصفت ساره التجربة تلك على هذا النحو.»

تابعت مينلي: «ما أقصد قوله إنّ أبيغايل لم تتصل عبثًا بساره؛ فقد أرادت أن تبلغها رسالة ما. بعد تلك الحادثة، تؤكّد ساره أنّها لم تُحسّ بوجود غريب في المنزل. أمّا اليوم فتشعر بوجود خير يُضفي على جوّ المنزل الهدوء والطمأنينة. ما أحاول قوله إنّ الروح قد تبقى على الأرض لإنهاء عمل بدأت به قبل رحيلها.»

علّقت جان بالقول: «هذا ممكن.»

توقّفتا لتناول غداء سريع في مطعم صغير في إيستهام ومن ثمّ قصدتا المنزل الذي شيّده توبياس نايت في تلك المدينة. كان على الطريق 6، وقد أحاطت به المطاعم والمتاجر.

قالت مينلي: «موقع المنزل ليس بأهميّة موقع ريممبر هاوس.»

«هذا المنزل يعود للعام 1699. كما تلاحظين، لا تعلق الباب نافذة نصف دائرية. فيه الكثير من نقاط الشبه مع ريممبر هاوس وهو يضاھيه ذوقًا.»

قالت مينلي: «لقد أحضر الكابيتين وميهيتابيل النافذة نصف الدائرية من إنكلترا.»

«لم أكن أعرف هذا التفصيل. لا بدّ أنّك استخرجت المعلومة من الملفات الخاصّة بفيبي.»

لم تُبدِ مينلي أي تعليق. دخلتا المنزل، توقّفتا في ردهة الاستقبال، حيث أخذتا الكتيّب الخاص بتاريخ المنزل وبدأتا جولتهما

في الغرف. لقد كان تصميم القصر مشابهًا لتصميم ريممير هاوس. قالت جان: «مع فارق وحيد هو أنّ الغرف هنا أكبر. مع ذلك، يتميز ريممير هاوس بتصميم رفيع للتفاصيل.»

لم تنبس مينلي ببنت شفة في طريق العودة إلى تساتهاام. كانت مشوّشة الفكر، لا تدري ما الذي يقلقها. كلّ ما كان يهّمها في تلك اللحظة هو بلوغ المنزل والتحدّث إلى كاري بيل قبل انصرافها.

70

كان فريد هيندين يعمل ضمن طاقم نجارة لحساب شركة بناء صغيرة في دينيس متخصصة بأعمال الترميم والتجديد. كان يحبّ وظيفته ويستمتع بلمس الخشب على يديه. فللخشب ذهنيتته الخاصّة وكرامته المتأصّلة. تلك كانت نظرة فريد إلى نفسه.

ولمّا كانت المنازل المواجهة للبحر تساوي ثروة في تلك الايام، فقد كان تجديدها واجبًا. أما المنزل الذي كانت الشركة تعمل على ترميمه، فيعود إلى أربعين عامًا. إنهمك طاقم النجارة في تجديد المطبخ واستبدال الخزائن القديمة بأخرى حديثة من خشب الكرز.

لطالما راقب فريد منزلًا مقابلًا للمنزل حيث يعمل، تميّز بطلّته الرائعة على البحر. كان يرى من وقت لآخر أصحاب مكاتب العقارات وهم يعرضون المنزل على بعض الشارين المحتملين، الذين سرعان ما كانوا يغادرونه. لقد كان بحالة مزرية نفر منها كلّ من دخل لمعاينته. أما فريد، فكان واثقًا من أنّه، لو اشتراه وعمل على تجديده مدّة ستّة أشهر، لحوّله إلى واحد من أروع المنازل على الاطلاق. بالنسبة إليه، كان استثمارًا مربحًا.

أسبوعان فصلا عن نهاية شهر أغسطس، وتراجع أسعار العقارات. فخلال فصل الشتاء يخفّ النشاط العقاري في كايب كود، لا بل يتلاشى.

جلس فريد مع زملائه لتناول الغداء. كان الفريق متماسكًا ومتعاونًا، يتبادل أعضاؤه النكات خلال أوقات الاستراحة.

دار الحديث حول جلسة الإستجواب الخاصة بوفاة فيفيان كاربنتر. بحسب مات، إختصاصي الكهرباء الذي نفذ بعض الأعمال لحساب فيفيان في شهر يونيو، هي «لم تكن بالسيّدة السهلة. يوم كنت أعمل في منزلها، خرج زوجها إلى المتجر وتأخّر في العودة. وعندما عاد، صبّت عليه جام غضبها وحذّرته من خداعها. أمرته بتوضيب أغراضه. من ثمّ بدأت تبكي وتحاول استرضاءه، بعد أن أخبرها بأنه توقّف في المصبغة بناء على طلبها، وهذا ما أخّره. صدّقوني، تلك المرأة كانت نكدة الطباع».

من ناحيته سأل سام، وقد انضمّ منذ فترة قصيرة إلى الطاقم: «ألم تسرّ إشاعات بشأن علاقة غراميّة ربطت كوفي بنادلة مثيرة تعمل في المنطقة؟»

«إنس الأمر». قالها مات وقد تجهم وجهه ونظر باتجاه فريد. وضع فريد المنديل في وعاء القهوة وقال بنبرة حادة، وقد تبدّل مزاجه: «إنه محقّ. إنس الأمر». دفع بكرسيه إلى الوراء وقام عن الطاولة. عاد إلى العمل. لكنّه لم يستعد هدوءه للحال. فقد كان مضطربًا مشوّش الفكر. الليلة السابقة وبعد أن انصرف التحزّي، أقرّت تينا بأنها كانت تقابل كوفي طوال الشتاء، وقد قصدت فلوريدا مرّات عدّة.

لكن، هل هذا مهمّ؟ تساءل فريد فيما كان يعلّق الخزان. فكما قالت تينا، في تلك الفترة لم تكن تقابل فريد. مع ذلك، لم يمنع نفسه

من التساؤل لماذا أخفت الأمر وكذبت، وهل كانت تقابل كوفي بعد زواجه؟ ماذا لو استأنفا علاقتهما الشهر الماضي منذ وفاة زوجته؟ إنقضى النهار، عاد فريد إلى المنزل لانتظار آدم نيكولز. فقد تواعدا على اللقاء. لكنّه كان يتساءل عن صدق تينا وصراحتها. فهل كانت جديرة بثقته بعد اليوم؟

لن يقول شيئاً عن الموضوع لمحامي كوفي. للوقت الحاضر، قرّر الدفاع عن تينا وإعطاءها خاتم الخطوبة لتضعه في جلسة الاستجواب. بحسب ما سمعه من التحري، فإنّ الشرطة قد تزجّ اسم تينا في جريمة قتل. بينما أن هذه الأخيرة لم تُدرك خطورة ما آلت إليه الامور. سوف يقف إلى جانبها في الوقت الحاضر. مع ذلك، كان واثقاً من أنّه لن يُقدم على الزواج منها، في حال تزعزعت ثقته بها. فهو رجل، والرجل يصون كرامته.

أحسّ بالكآبة فيما راح يفكر بالهدايا الجميلة التي قدّمها لها هذا الصيف، ومنها ساعة من الذهب ودبّوس وأقراط، عائدة لوالدته. كانت تحتفظ بها في علبة للمجوهرات على أحد الرفوف في غرفة الجلوس.

لدى انتهاء جلسة الإستجواب، وفي حال قرّر الانفصال عن تينا، سوف يسترجع منها خاتم الخطوبة والهدايا كلّها.

71

كان بعد ظهر ذلك اليوم حافلاً في المكتب العقاري. خرجت إيلين لتكشف على بعض المنازل وقامت بتصوير أحدها للحال. لقد كان

نسخة مطابقة جميلة عن إحدى السفن في ريفر بوند. طمأنت المالك بقولها: «أؤكد لك أننا لن نلبث أن نجد الشاري.»

أما المنزل الثاني، فلطالما كان معروضًا للإيجار وقد استلزم بعض التنظيم والترتيب. إقترحت إيلين على المالك جزَّ عشب الحديقة وتشذيب الشجيرات، حتى يبرز جمال المنزل ورونقه. ناهيك عن ضرورة تنظيفه تنظيفًا كاملًا. تردّدت بعض الشيء قبل أن تقترح على المالك إرسال كاري بيل للقيام بأعمال التنظيف. لقد كانت لها سيئاتها، مع ذلك فهي عاملة تنظيف محترفة.

إتصلت إيلين بمساعدتها مارج عبر هاتف السيارة. أبلغتها: «سأقصد المنزل مباشرة. فجون وإيمي آتيان لتناول العشاء وأريد تظهير الصور الجديدة قبل أن أبدأ بالطهي.»

ردّت عليها مارج، ممازحة: «أراك تتحولين إلى ربة منزل.»

«هذا صحيح.» مكتبة الرمحي أحمد

عندما بلغت المنزل، أجرت إيلين اتصالًا هاتفيًا بسكوت كوفي. سألته: «ما رأيك بالإنضمام إلينا على العشاء؟»

«إذا سمحت لي أن أحضر العشاء معي. لقد عدت للتوّ من

نزهتي البحرية وفي جعبتي بعض الكركند اللذيذ.»

«لقد أتصلت بك لسبب مُحدّد. هل استلمت الصورة؟»

«نعم.»

قالت له بشيء من السخرية المتعمّدة: «حتّى أنك لم تشكرني

عليها. لكنك تعرف السبب وراء إرسالها.»

«أعرف أنّها بمثابة تذكير.»

«أراك لاحقًا، سكوت.»

72

كانت كاري بيل تنظف الطابق العلوي عندما أوصلت جان مينلي إلى المنزل. صعدت مينلي تتفقد الطفلة فبادرتها كاري بالقول: «سيّدة نيكولز، لقد أخذت إيمي الطفلة في نزهة في العربة. يا لها من طفلة وديعة».

إبتسمت مينلي وردّت عليها: «ليست كذلك طوال الوقت». ثم ألقت نظرة في ارجاء المكان وعلقت: «كلّ شيء يبرق هنا. شكرًا كاري». «أنا أتقن عملي سيّدتي ولا أهمل أي تفصيل. أوشك على الانتهاء. هل تريدني مني أن آتي الاسبوع المقبل؟» «بكلّ تأكيد».

فتحت مينلي محفظة اليد لتعطي كاري المال، وسألته، أملة الحصول على جواب صريح: «كاري، قولي لي، ما الذي أخافك في هذا المنزل، في المرّة الأخيرة التي أتيت فيها؟»

بدا القلق على وجه كاري وأجابت: «سيّدة نيكولز، أعرف أنها مجرد تخيّلات. وقد نجحت الآنسة أتكينز في تحليل الأمور. لمّا كنت ثقيلة الوزن، فقد مشيت على أرضيّة مهلهلة، ما سبّب اهتزاز المهد». «هذا ممكن. لكن، خيّل إليك أيضًا سماع خطوات أحدهم في الطابق العلوي. على الأقلّ هذا ما قالته إيمي».

مالت كاري إلى الأمام وخفضت صوتها قائلة: «سيّدة نيكولز، أتعديني بالأ تنبسي ببنت شفة عن الموضوع للآنسة أتكينز؟» «أعدك بذلك».

«سيّدة نيكولز، في ذلك اليوم سمعتُ وقع خطوات. اليوم

بالذات ضربتُ برجلي على الأرضية عندما دخلتُ غرفة الطفلة فلم يتحرك المهد.»

«أفهم منك أنك لم تلاحظي أمرًا غريبًا اليوم؟»

«لا لم ألاحظ ما يدعو للإستغراب. لكنني قلقة بعض الشيء

على إيمي.»

«لماذا؟ ما الخطب؟»

«لم يحدث شيء. أعني، قبيل استيقاظ هانا من قيلولتها،

كانت إيمي تقرأ في الردهة الصغيرة وقد أغلقت الباب. حُيِّل إليّ أنني

سمعتها تبكي. لم أشأ التطفّل، لذا لم أدخل لتفقدّها. لكنني أعرف

أنّها قلقة من فكرة ارتباط والدها بالآنسة أتكينز. بعد ذلك بقليل،

سألتها عمّا يزعجها، فأكدت لي أنها بخير. هكذا هم الاولاد. في بعض

الأحيان يبوحون لك بما يزعجهم، وفي أحيان أخرى يطلبون منك عدم

التدخّل في شؤون حياتهم.»

«هذا ما حصل.»

قالتها مينلي وسلّمت كاري الفواتير المطوية.

«شكرًا جزيلاً.»

«شكرًا لك. أنت سيّدة طيّبة. لديّ ابن في الثالثة من العمر،

وأفهمهم حزنك الشديد على خسارة طفلك الرائع. لم أتمالك نفسي من

البكاء عندما شاهدت العام الماضي شريط الفيديو حيث يظهر.»

«أحقًا شاهدت شريط الفيديو حيث يظهر بوبي؟»

«لقد أحضره السيّد نيكولز إلى هنا عندما استأجر البيت الصغير.

كما قلتُ لإيمي، في ذلك اليوم كان يشاهده والألم يعصر قلبه والحزن

بادٍ على وجهه. في الشريط، يبدو السيد نيكولز في حوض السباحة مع

الطفل، ومن ثمّ يرفعه من الماء، فتنادينه أنتِ ويركض إليك.»

أحسّت مينلي بضيق شديد حاولت كبتة. قالت بنبرة أرادتها طبيعية: «لقد سُجّل الشريط قبل أسبوعين من وفاة بوبي. لم أتحمّل مشاهدته. لقد كان يومًا سعيدًا.»

فكرت مينلي، أريد مشاهدة الشريط الآن. أنا مستعدة لمشاهدته.

وضعت كاري المال في جزدانها. «في ذلك اليوم، كانت الأنسة أتكينز مع السيد نيكولز وراح يُخبرها عن بوبي ويبيدي لها شعوره بالذنب لأنه لم يكن معكما في وقت الحادث، بل كان يلعب الغولف.»

73

كان يومًا مثمرًا في العمل، إسترجع آدم تفاصيله وهو يسلك الطريق الخاصّ المؤدّي إلى ريممير هاوس. لكنّ يوم العمل لم ينته بعد. كانت الساعة تناهز الثالثة وهو سيغادر المنزل من جديد في تمام الخامسة للقاء فريد هيندين. لكنّه على الاقل، سيمضي في المنزل ساعتين. كان يومًا مناسبًا للسباحة. هذا إن وافقت مينلي على مرافقته إلى شاطئ البحر.

عندما وصل، كانت سيارة إيمي مركونة في الممرّ المؤدّي إلى المنزل. لدى رؤيتها إنتابه شعور بالارتياح وبالاستياء في آن معًا. كانت فتاة مسؤولة ولطيفة. لكنّه فضّل أن يمضي النهار مع عائلته، بدون غريب عنهم يزعجهم.

تساءل: «إن كنتُ أنا أحسّ بالشعور هذا، ماذا عن مينلي؟ ألا تنزعج من وجود شخص غريب يلازمها طوال اليوم؟» شعر بالأسى لعودة علاقتهما إلى ما كانت عليه قبل حمل مينلي بهانا. كانا متباعدين.

لم يجد أحدًا في المنزل. هل عادت مينلي ومن ثم خرج الجميع إلى الشاطئ؟ مشى إلى حافة الجرف وألقى بنظرة على البحر. رأى مينلي تجلس القرفصاء على البطانية وقد اتكأت هانا إلى صدرها. الصورة المثالية لأم وابنتها. كان شعر مينلي يتطاير. إنته آدم إلى السمرة التي لوّحت جسدها الرائع. بدا له أنها وإيمي مستغرقتان في الحديث.

كانت إيمي ممدّدة على الرمال قبالة مينلي وقد اتكأت على مرفقيها. فكّر آدم في الحالة النفسية الصعبة التي تعيشها الفتاة. فارتباد الجامعة فكرة تخيف المراهق بشكل عام، أضف إلى أنّ الفتاة لا تتحمّل فكرة زواج والدها من إيلين. مع أن هذه الأخيرة لطالما ردّدت: «يجدر بها أن تشعر بالامتنان لوالدها الذي قرّر إرسالها إلى تشابيل هيل، وهي واحدة من أرقى الجامعات.»

لم تقصد إيلين الجامعة. ففي نهاية الصيف، منذ واحد وعشرين عامًا، كانت والدتها قد خسرت وظيفة أخرى، فيما زملاء إيلين في الدراسة يستعدّون لدخول الجامعة. بالتالي، اضطرت إيلين للعمل ضاربة على الآلة الكاتبة في مكتب للعقارات. لقد عملت بطموح، وها هي اليوم تملك مكتبها العقاري الخاص.

في تلك اللحظة رفعت مينلي عينيها بينما نزل آدم نحوها. عندما وصل، أحسّ بأنه متطّقل. قال بشيء من الوهن: «مرحبًا.» لم تردّ مينلي. أمّا إيمي فقالت: «مرحبًا، سيّد نيكولز. هل ستخرج مجددًا اليوم؟»

من ناحيتها سألت مينلي: «آدم، هل ستخرج مجددًا اليوم؟ في حال لن تفعل، أنا واثقة من أنّ إيمي تودّ تخصيص بعض الوقت لنفسها.»

حاول آدم تجاهل نبرة مينلي الباردة، فقال: «شكراً إيمي. يمكنك الانصراف». جلس على البطانية فيما ودّعت إيمي كلا من مينلي وهانا. عندما ابتعدت قليلاً قال آدم لمينلي: «سوف أعطيها بعض الوقت لتغيّر ملابسها ومن ثمّ أصعد وأرتدي زيّ السباحة».

«سوف نصعد معك. كفى سباحة اليوم.»

«حقّ الله مينلي، كفي عن هذا التصرف.»

«عن أيّ تصرف؟»

«لا تعودني بعلاقتنا إلى ما كانت عليه من سوء.»

نظرت إليه هانا نظرة استفسار وقلق. طمأنها آدم قائلاً: «لا تقلقي

صغيرتي. كلّ ما في الأمر هو أنني لا أريد لأُمك أن تغضب مني.»

«آدم، لا يمكننا الإستمرار في الشجار. لقد تحدّثتُ إلى الدكتور

كوفمان. سوف تعاود الإتصال بنا عند الرابعة والنصف. لن أقبل

بدخول المستشفى. أنوي أن أتصل بوالدتي في إيرلندا وأن أطلب منها

اختصار رحلتها. في حال توصلت أنت والدكتور كوفمان إلى إدخال

المستشفى رغماً عن إرادتي، فإنّ والدتي هي من سترعى هانا، وليس

صديقتك إيلين.»

«ماذا تقصدين بكلامك هذا؟»

«آدم، عندما قدمت إلى كايب كود السنة الماضية، كم مرّة

قابلت إيلين؟»

«إنها صديقة قديمة، ومن البديهي أن أقابلها. كانت لقاءات

عادية.»

«كما قلت لي البارحة، لن تصارحني بعلاقاتك الغرامية، لكن

لماذا جلست معك تشاهد شريط فيديو عن بوبي؟»

«يا إلهي! حصل أن توقفت لتلقي عليّ التحيّة وكنتُ أشغل الشريط. لم أكن أشاهد بوبي في الشريط فحسب، بل أشاهدك أنت أيضاً.»

«مع صديقتك.»

«لا، مع صديقة قديمة، صديقة الطفولة.»

«مَن الذي أخبر إبنة زوجها العتيد بأنك ستعود مع هانا إلى كايب كود بعد إيداعي المصح النفسي؟»
وقف آدم وقال: «سوف أبدّل ملابسي لأسبح.»
«لا تقل أنك تنوي أن تترك هانا بمفردها معي؟»
لم يردّ عليها بل استدار وسلك طريق المنزل.

جلست مينلي تراقبه فيما يبتعد. كان منحني الظهر وقد وضع يديه في جيبي بنطاله. فكّرت في ما أخبرتها إياه كاري، عن شعوره بالذنب لأنه لم يكن معها يوم الحادث.

كان آدم قد قال لها هذا الكلام بعد وفاة بوبي، لكنها ردّت عليه بغضب شديد: «لا تحاول التخفيف من ذنبي. كنت قد حدّدت موعد الغولف منذ وقت طويل. لم أشأ أن أغيّر لك مشروعك.»

مذاك الحين، لم يأتِ على ذكر الموضوع مرة أخرى.
عاد آدم بعد عشر دقائق، فبادرته بالقول: «آدم، سوف أبلغ الدكتور كوفمان بأنني تغلّبت على نوبات الضيق والقلق. وسأحدّرها أيضاً، من أنكما لو رفضتما هذا الواقع الجديد، فإنّ زواجنا لن يدوم. تحكي القصة المرتبطة بهذا المنزل عن زوج لم يكن يثق بزوجته. لا تُكرّر الخطأ نفسه.»

74

في طريق العودة إلى المنزل، فكّرت إيمي تفكيرًا عميقًا في تنبيه والدها من إمكانية أن تخبره كاري بيل بأنّها قد رأتها تبكي. لقد سألتها السيّدّة نيكولز عن سبب بكائها. غير أنّ إيمي أنكرت الأمر وأجابتها: «بصراحة لم أكن أبكي. لقد تخيلت كاري بيل ذلك».

برأي إيمي، لقد صدّقتها السيّدّة نيكولز، غير أنّ والدها قد يُصدّق كاري. فهو يبدي في الآونة الأخيرة بعض القلق بشأنها. ليته يكفّ عن تذكيرها بالحياة الهانئة التي تنتظرها مع والدتها الثانية. فكّرت إيمي في أنّها ستكمل عامها الثامن عشر الشهر التالي. وتمنّت لو أنّ والدها يكفّ عن الترويج لحسنات إيلين. فهي سعيدة بزواجه الثاني، ولكن ليته لم يرتبط بإيلين.

في تلك الليلة، أرادت أن تخرج مع ثلّة من أصدقائها إلى هيانيس. غير أنّ إيلين قرّرت دعوتهما إلى عشاء أعدّته بنفسها، فطلب منها والدها مرافقته. ألحّ عليها قائلاً: «أرجوك، لا تجرحي مشاعر إيلين.» فيما سلكت إيمي شارع ماين ستريت المكتظّ باتجاه الدوّار، فكّرت بلهفة في الإلتحاق بالجامعة. لم يكن بوسعها الانتظار أكثر من ذلك. من ثمّ تنهّدت بحسرة، وقالت في نفسها: «أمي! لم رحلت عني؟» لربّما كان افتقارها إلى حنان الأمّ هو السبب وراء تقربها من السيّدّة نيكولز والارتياح الذي كانت تشعر به برفقتها. بقدر ما اشتاقت هي إلى حنان الام، اشتاقت السيّدّة نيكولز إلى طفلها. لكنّ السيّدّة نيكولز لديها هانا لتعوّضها الخسارة.

أمّا إيمي فتحسّرت وفكّرت بمرارة في أنّ إيلين هي التعويض عن خسارتها والدتها.

رافقت والدها إلى منزل إيلين، وهناك لم تشعر بالندم لتلبية الدعوة. فقد كان سكوت كوفي مدعوًا، فساعدته في سلق الكركند الذي اصطاده. كان غاية في اللطف. صحيح أنه يواجه مشاكل جمّة، لكنّه لم يُرغم أحدًا غيره على تحمّلها. راح يكلمها عن تشابيل هيل.

«لقد عُرضت إحدى المسرحيات التي عملتُ فيها هناك لبضعة أسابيع. مدينة رائعة. سوف تستمتعين بالعيش فيها.»

خلال العشاء، لاحظت إيمي أن الجميع تجنّب ذكر جلسة الاستجواب. أمّا إيلين فسألّت إيمي ما إذا كانت كاري بيل قد سمعت مرّة أخرى وقع أقدام غريبة.

إنتهزت إيمي الفرصة لتذكر مسألة بكائها.

«لا، لم تسمع شيئًا، لكن، في حال أخبرتك بأنها سمعت بكاء، لا تصدّقها.»

سألّت إيلين: «سمعت بكاء؟ هل كانت مينلي؟»

«السيدة نيكولز أمضت وقتًا طويلًا خارج المنزل برفقة السيدة بالي، وعندما عادت كانت على أحسن ما يرام.» لم تشأ إيمي التحدّث عن السيدة نيكولز مع إيلين. كانت تعرف حقّ المعرفة بأنّ إيلين إنّما تعتبر مينلي على شفير انهيار عصبي ثان. ليبتها أتت بسيارتها الخاصة ولم ترافق والدها في سيارته. فهي لا تطيق تمضية السهرة بطولها في منزل إيلين.

عندما أعلن سكوت كوفي نيّته الانصراف، إنتهزت إيمي الفرصة لتنسحب هي أيضًا، فسألته: «سكوت، هلا أفلّيتني إلى المنزل؟»

ثمّ تظاهرت بالتعب فيما توجّهت بالحديث إلى والدها قائلة: «أبي، لقد كان يومًا طويلًا، وأودّ العودة إلى المنزل. ما لم تكوني بحاجة إليّ لغسل الأطباق معك، إيلين.»

«لا، يمكنك الإنصراف. يكفيك أنك تعملين طوال اليوم في رعاية طفلة، وهذا ليس بالعمل السهل.»

بعد أن زعمت أنها متعبة، لم يكن لدى إيمي ما تفعله في السهرة. لا يمكنها أن تدعي لقاء بعض الاصدقاء. أضف إلى أن برامج التلفزيون في تلك الليلة لم تكن بالمسلية ولم تشأ أن تسأل سكوت أن يعيرها شريط فيديو لتشاهده في المنزل. لكنّها تذكّرت أن لدى إيلان مجموعة من الأفلام القديمة الرائعة، لطالما أعارت والدها بعضها.

سألته: «إيلان، هل يمكنني أن أستعير واحدًا من أشرطة الفيديو التي تحتفظين بها؟»

ردّت إيلان: «خذي منها ما شئت. يمكنك أن تأخذي شريطين الآن. لكن إحرصي على إعادتهما.»

لم ترق الملاحظة لإيمي، فهي لن تتأخّر في إعادة الأشرطة. دخلت غرفة الجلوس حيث تحتفظ إيلان بمجموعة الأشرطة، بالتزامن مع بدء والدها بسرد واحدة من قصصه الطويلة المملّة.

احتلت رفوف الكتب الحائط الأطول في الغرفة. ومنها ما حمل أيضًا أشرطة فيديو لأفلام رُتبت أسماؤها ترتيبًا أبجديًا. مرّت عليها إيمي مرورًا سريعًا، ثم اختارت فيلم «كانتري غيرل» للممثلة غريس كيللي وهورس فيشرز. فيلم كوميدي.

كانت على وشك الخروج من الغرفة عندما تذكّرت فيلمًا قديمًا آخر لطالما أرادت مشاهدته: بيرث أوف أي نايشون. لكن، أين وضعته إيلان يا ترى؟

مرّت على عناوين الأفلام التي تبدأ بحرف الباء ووجدته. فيما كانت تسحبه عن الرف، وقعت بعض الأشرطة التي كانت بجانبه.

جمعتها إيمي وأعادتها إلى مكانها. فانتبهت إلى شريط كان خلفها، وقد أسند إلى الحائط.

كان يحمل ملصقة كُتب عليها بوبي-إيست هامبتون- الشريط الأخير. هل يُعقل أن يكون الشريط هذا واحداً من الأشرطة حيث يظهر ابن الزوجين نيكولز، وقد شاهدته كاري بيل السنة السابقة؟

أحسّت إيمي برغبة في مشاهدة الشريط. لن تنتبه إيلين إلى غيابه. الشريط خاصّ بالزوجين نيكولز وقد ترفض إيلين أن تعيره لأحد. قرّرت إيمي أن تأخذه وتعيده مع الأشرطة الأخرى بدون أن تُعلم إيلين بالأمر.

دسّت الأشرطة في حقيبة يدها وعادت إلى غرفة الطعام. كان والدها يُنهي القصة. أما سكوت كوفي، فكان يبتسم بتهذيب، فيما صدحت في الجوّ ضحكة إيلين المزيّفة التي لطالما كرهتها إيمي. في تلك اللحظة تذكّرت كلام والدتها: «جون، هلا وعدتني بالأ تسرد على أحد هذا المونولوج الطويل، لأسبوع واحد على الأقل؟»

إثر ذلك، كانت لتضحك معه وليس عليه.

75

قالت مينلي للدكتور كوفمان: «لا، لم أضعف جرعة الدواء. لم أجد لذلك ضرورة.» كانت تُكلّم الطبيبة من هاتف المكتبة فيما هانا تجلس في حضنها. أما آدم فكان يتابع الحديث من سَماعة حجرة الطعام الصغيرة.

قالت لها الدكتور كوفمان: «مينلي، ينتابني شعور بأنك تعتبريننا، آدم وأنا، عدويّن لك.»

«لا. أنت مخطئة. لقد أخفيتُ عليك أن الحاضنة قد رأتني في ممشي الأرملة لأنني لم أقتنع بوجودي هناك. وها هي قد توصلت اليوم إلى النتيجة نفسها.»

«إذًا، مَنْ تكون تلك التي رأتها إيمي؟»

«أظنّ أنها لم ترَ أحدًا. لا شكّ في أنّ الأمور قد اختلطت عليها؛ فالشمس عندما تسطع، تنعكس على قطعة من المعدن فوق الموقد، فيخيّل للناظر إليها أنّ أحدًا ما يتحرّك.»

«ماذا عن سماعك هدير القطار وصوت بوبي يناديك؟ لقد أخبرتني بأنك كنت خائفة من أن تحملي هانا.»

«لم أطق سماعها تبكي. لكنني خفت من أن أحملها لأنني كنت أرتجف. أسفة للتخلّي عنها في تلك اللحظة. لكن، طبيعي أن يترك الأهل أطفالهم ليكون لبعض الوقت. هذا يحصل، حتّى لو لم تكن الأم تعاني من نوبات ضيق وقلق.»

إختارت هانا تلك اللحظة لتشدّ شعر أمّها، فانحنت هذه الأخيرة إلى الأمام وصرخت من الألم.

بدا على آدم الدهول إذ قال لها: «مينلي، إنتبهي لردّة فعلك.»
«الطفلة تشدّ شعري وقد صرخت من الألم. دكتور كوفمان، أصغي إلي ما سأقوله. آدم مستعدّ لإيقاع سماعة الهاتف والإسراع إليّ لمجرّد أي حركة تصدر عني. لسثّ أنا من يجدر بك معالجتها.»

تريثت قليلًا وعصّت على شفقتها ثمّ تابعت: «سأترككما الآن. يمكنكما متابعة الحديث من دوني. دكتور كوفمان، في حال توصلتما، آدم وأنت، إلى إدخالني مستشفى الأمراض العصبية رغم إرادتي، فسوف تُضطران إلى انتظار عودة والدتي من إيرلندا لترعى الطفلة. في

هذا الوقت، سوف أبقى في هذا المنزل الجميل وأتابع تأليف كتابي. عندما بدأت أعاني من نوبات الضيق والقلق، كانت نصيحتك لأدم بأن يؤمن لي الدعم والمساندة. لا أظن أنه فعل ذلك وأنا بأمر الحاجة إليه. لكن الوقت أت حيث تنتفي الحاجة إلى دعمه، وحيث يمكنني الإستغناء عنه هو أيضاً.»

قالت هذا ووضعت السماعة مكانها بهدوء. إلتفتت إلى الطفلة وقالت لها: «هانا، لقد قلت ما عليّ قوله.»

كانت الساعة الرابعة وأربعين دقيقة. عند الرابعة والدقيقة الثالثة والأربعين، دخل آدم عليها. قال لها: «لطالما قلت لك إنني لا أقصد إثارة غضبك.» تردّد وتابع: «لكن، عليّ مقابلة فريد هيندين الآن. أنا لا أريد الإنصراف. آسف لتورّطي في قضية سكوت كوفي. لكن، أذكرك بأنك من أصريت عليّ لأقبل ان أذافع عنه.»

ردّت مينلي: «يمكنك الإنصراف.»

«لكن، عندما أعود، أودّ لو نخرج لتناول العشاء. أقترح عليك أن تطعمي الطفلة، فتأتي هي أيضاً معنا. هذا ما كنّا نفعله مع بوبي.»

«صحيح.»

«عندما تتصل والدتك، لا تطلبي منها أن تقطع إجازتها. ترى الدكتور كوفمان تحسّنا في حالتك، وأنا أوافقها الرأي. أما استخدام الحاضنة، فقرار عائد إليك.»

ترك آدم المنزل. إنتظرت مينلي أن يُغلق باب حجرة الطعام قبل أن تقول: «هانا، أحياناً يجب أن نتصدّى للناس. لا تقلقي، سنكون بخير.»

عند السادسة والنصف، وفيما كانت تنهي حمامها، تلقت اتصالاً من والدتها من ويكسفورد.

«مينلي. أبلغت باتصال طارئ. ما الخطب؟»

بذلت مينلي جهداً لتبدو سعيدة.

«لا خطب أمي. لقد أردت الإطمئنان عليك. يجدر بك أن تري

هانا. إنها ممدّدة على السرير تفهقه... لا، ليس من سبب طارئ وراء اتصالي. هل جاك وفيليس بخير؟»

دخل آدم الغرفة وهي لا تزال تكلم والدتها عبر الهاتف. لوح

له بيدها وتابعت: «أمي، سأخبر آدم عن الأمر. أنا واثقة من أنه سيتحمس للفكرة». وراحت تُفسر له: «تعمل فيل في الوقت الحالي على تتبع نسب والدي. لقد استعادت تاريخ خمسة أجيال، وعادت إلى العام 1860».

مررت له السّاعة.

«هيا، ألق التحية على حمائك.»

راحت تراقب آدم وهو يدرّش مع والدتها وقد انتبهت إلى

علامات التعب البادية على وجهه. لم تكن عطلة بالمعنى الحقيقي بالنسبة إليه.

عندما أقفل الخطّ قالت له: «لا داع لتناول العشاء خارج

المنزل. فسوق السمك ما زال مفتوحاً. لِمَ لا تأتينا ببعض السمك؟»

«فكرة جيّدة. شكراً، مين.»

عاد ببعض المحار والذرة الطازجة والطماطم والخبز الفرنسي.

جلست هانا معهما تراقب مغيب الشمس. وضعها في المهد

لتنام وانصرفا لتحضير العشاء. لم يأتيا على ذكر ما دار من حديث

مع الدكتور كوفمان. عوضاً عن ذلك، راح آدم يخبرها عن الإجتماعات

التي عقدها خلال النهار. قال لها: «النادلاتان ستكونان شاهديين مفيدتين. وكذلك صديق تينا. لكنّ سكوت كوفي، يظهر أكثر فأكثر بمظهر الإنتهازي.»

«لكن ليس بمظهر القاتل.»

«لا، ليس كذلك.»

بعد العشاء إنكبّ كلّ منهما على المطالعة لبعض الوقت. لم يثيرا المواضيع التي تجادلا فيها خلال النهار. شرعان ما استسلمت مينلي للنوم وقد أنهكها التعب.

«ماما، ماما.»

كان ذلك بعد ظهر أحد الأيام في إيست هامبتون، قبل وفاة بوبي بأسبوعين. كانوا يمضون عطلة نهاية الاسبوع مع لويس ميلر، أحد شركاء آدم في مكتب المحاماة. كان لو يُصوّر لقطات فيديو. أما آدم فكان في حوض السباحة مع بوبي. أخرجته من الماء وقال له: «هيا، إذهب إلى ماما.»

ركض بوبي إليها وقد فتح ذراعيه وابتسم فرحًا. «ماما، ماما.»

رفعته واستدارت نحو الكاميرا. قالت له: «ما اسمك؟»

أجاب باعتزاز «إسمي ووبرت آدم نيكو.»

«وبأي اسم يناديك الناس؟»

«باسم بوبي.»

«وهل تتراد المدرسة؟»

«مديسة حضانة.»

«مديسة.» كررتها على طريقته وانتهت اللفظة على صوت

ضحكتها.

«بوبي. بوبي.»

كانت تبكي، فيما انحنى آدم فوقها. قال لها مطمئناً: «لا تخافي، مين، إهدأي.»

فتحت عينيها وردّت: «هذه المرّة كان مجرد حلم.»
فيما ضمّهما آدم بين ذراعيه، بدأت هانا بالتملل. أفلتت مينلي منه لتتهبّ إليها. لكنّه قال لها: «سوف أذهب أنا إليها.» وقام من السرير.

عاد إلى الغرفة حاملاً الطفلة: «هاك الأميرة الصغيرة، ماما.»
ضمّت مينلي الطفلة وانتابها شعور بالأمان والارتياح فيما أسندت هانا رأسها إلى صدرها.

قال لها آدم بهدوء: «نامي حبيبتي. سوف أعيد الطفلة إلى سريرها بعد قليل.»

تذكّرت مينلي بوبي وهو يناديها «ماما، ماما». بحلول الصيف التالي، سوف تتمكّن هانا من مناداتها بالطريقة نفسها.

أحسّت بآدم بعد بضع دقائق يسحب الطفلة من حضنها. ثم ما لبث أن اقترب منها وهمس لها: «حبيبتي، لا يجب أن تنكري أنك تستعيدين أحداث الماضي.»

13 أغسطس

76

صبيحة يوم السبت، رافق نات كوغان زوجته إلى وسط المدينة. إقترب عيد زواجهما، وكانت ديبى قد رأت لوحة في أحد المعارض، وارتأت أنها مناسبة للحائط فوق الموقد. قالت لنات: «إنه منظر بانورامي للمحيط والشاطئ. أظن أنني لو نظرت إليها كل صباح، لخلت نفسي أسبح في المياه.»

«حبيبتي، إن أعجبتك، يمكنك شراؤها.»

«لن أفعل قبل أن تراها أنت.»

لم يكن نات ناقدًا فنيًا ماهرًا، لكنّه، ما إن رأى اللوحة حتى أدرك أنها نتاج فنان هاوٍ، لا تستأهل المئتي دولار ثمناً لها.

قالت له ديبى: «أرى أنها لم تعجبك.»

«رأبي لا يهتم.»

تدخّل البائع قائلاً: «الفنان الذي رسمها في الحادية والعشرين من عمره وهو فنان واعد. قد تساوي هذه اللوحة ثروة في المستقبل.»

قالت له ديبى: «سوف نفكر في الأمر.»

عندما أصبحت في الخارج تنهّدت قائلة: «لم تبد لي اليوم

بالروعة نفسها التي رأيتها فيها قبل ذلك. حسنًا، إنتهينا من أمرها». كان المعرض قبالة ماين ستريت. سألتها نات وهما يعبران إلى الرصيف: «هل أبتاع لك ما تأكلينه؟»

«أنت ترغب على الأرجح في نزهة على ظهر المركب.»
«لا. سوف نقصد نزل واي سايد حيث تعمل تينا اليوم. لا أريد أن أغيب عن ناظرها. فأنا أراهن على الإيقاع بكوفي إنطلاقًا من شهادتها في جلسة الإستجواب.»

مرًا بمكتب أتكينز العقاري. توقفت ديبى ونظرت إلى الواجهة. قالت لنات: «أحرص دومًا على رؤية ما يعرضونه في الواجهة كل أسبوع. من يدري؟ فقد نربح جائزة اليانصيب في يوم من الأيام. لقد حزنْتُ عندما رأيتُ تلك الصورة المُلتقطة من الهواء لريممبر هاوس. فهو من المنازل المفضلة لدي. لربما هو ما ألهمني الإهتمام باللوحات المائية.» قال نات: «يبدو أنّ مارج تعرض صورة ريممبر هاوس من جديد.»

في المكتب، كانت مارج تفتح واجهة العرض وتضع الصورة في إطارها الجميل. إنتبهت إليهما فلوّحت بيدها، وخرجت لتلقي التحية. بادرت نات بالقول: «مرحبًا حضرة التحري كوغان. كيف أخدمكما؟ لدينا منازل رائعة للبيع.»

أجابها نات: «لسنا هنا بغرض العمل. إنّ زوجتي مولعة بهذه الصورة.» وأشار إلى صورة ريممبر هاوس. «لسوء الحظّ، لا يسعنا تحمّل ثمن هذا المنزل.»

علّقت مارج: «لقد جذبت الصورة المزيد من الزبائن. في الواقع، إنّها نسخة عن تلك التي رأيتها. لقد نسختها إيلان لآدم نيكولز وأنا أعرضها ريثما يأتي. أمّا الأصلية، فبحوزة سكوت كوفي.»

هتف نات مستغرباً: «سكوت كوفي! وماذا قد يفعل بها؟»

«بحسب إيلين، فهو مهتمّ بشراء ريممير هاوس.»

قال نات: «لقد خلّتُ أنه يتوق لترك كايب كود. شرط أن يُسمح

له بذلك.»

أدركت مارج أنها قد تمادت بالتحدث في تلك القضية الحساسة. فهي قد سمعت بتولي نات كوغان التحقيقات حول سكوت كوفي. لكنّ وظيفتها تقتضي منها التوضيح، ونات وزوجته لطيفان وقد يصبحان زبونين في المستقبل. ظلّت ديبى تراقب صورة ريممير هاوس بإعجاب. وتذكرت مارج أنّ إيلين تحتفظ بالصور السلبية وقد تنسخ منها متى شاءت.

سألت مارج ديبى: «هل تريدن نسخة عن الصورة؟»

«بكلّ تأكيد. فأنا مولعة بها.»

«سوف أطلب من إيلين أن تنسخ لك واحدة.»

قال نات: «حسنًا، اتفقنا.»

في نُزُل واي سايد، عرفا أنّ تينا قد تغيّبت بداعي المرض. قال نات:

«سوف أحملها على الثرثرة وإفشاء المعلومات.»

«عظيم.»

جلسا يتناولان السمك، وقالت ديبى: «ليست الصورة نفسها

يا نات.»

«ماذا تقصدين؟»

«ثمة تفصيل مختلف في الصورة التي رأيناها هذا الصباح، وأنا

قد اكتشفته. الصورة التي عُرضت في السابق بيّنت مركبًا. في الصورة

التي رأيناها اليوم، لم يكن هناك أي مركب. أليس الأمر غريبًا؟»

77

صباح السبت، ذكّر آدم مينلي بأن تبلغ إيمي بأنهما ليسا بحاجة إليها في ذلك اليوم. لقد كان على موعد مع خبير بحريّ أوصى به رئيس المرفأ في تشاتهم.

«أنا أبحث عن شخص يقابل بالحجج خبراء وودس هول الذين سيثيرون مسألة الجثة والمكان حيث لفظتها المياه. لن أتأخر، سأعود بحلول الثانية عشرة ظهرًا أو الواحدة من بعد الظهر.»

فكرت مينلي في تصرفه الغريب. فهو ربما لم يصدّقها حين قالت له أنها لم تكن تستعيد ذكرى الحادث عندما حملت ببوبي، إلا أنه ينوي أن يتركها بمفردها مع الطفلة.

قالت له: «أريد أن أعمل هذا الصباح. سوف أطلب من إيمي المجيء لرعاية الطفلة لغاية وقت الغداء.»

«القرار قرارك حبيبتي.»

وصلت إيمي فيما كان يهتمّ بالإنصراف. إنتابها الفزع لسماعها مينلي تقول «آدم، أين الشريط الذي صورته لبوبي في إيست هامبتون؟ أنا مستعدة لمشاهدته الآن.»

«إنّه في الشقة.»

«هلا أحضرته عندما تقصد الشقة؟»

«بكلّ تأكيد. سوف نشاهده معًا.»

تساءلت إيمي: «أو يجدر بي أن أخبرهما بأن الشريط معي؟ لكن، قد لا يُحبّذان أنني شاهدته. لا، من الأفضل أن أعيده إلى منزل إيلين بأسرع وقت. فقد يتذكّر السيّد نيكولز بأنه تركه في كايب كود

ويسأل إيلين عنه.»

عندما دخلت مينلي المكتبة وأغلقت الباب وراءها، أدركت للحال تغييرًا ما في الأجواء. كانت الغرفة باردة، فشمس الصباح لا تلفحها. مع ذلك، فقد قرّرت ألا تنقل البيانات والملفات إلى حجرة الطعام الصغيرة. لقد كانت تضيع وقتًا كثيرًا في كلّ مرّة تبحث فيها عن ملفّ بين الملفات المصفوفة على الرفوف. من الأفضل أن تنشر الملفات على الارض، كما اعتادت أن تفعل في المكتب في شقّتها، وترفق كلّ منها بورقة تُدوّن عليها محتويات الملفّ بخطّ عريض. بهذه الطريقة يمكنها أن تجد بسرعة ما تبحث عنه، وعندما تنهي عملها تُغلق الباب على الفوضى بدلًا من أن تصرف الوقت على الترتيب.

أمضت الساعة الأولى في نشر الملفات والمعلومات على الأرض ومن ثمّ فتحت الملفّ الجديد الذي حصلت عليه من فيبي سبراغ وبدأت بتحليل محتوياته.

كانت الرسوم هي أوّل ما وقعت عليه عينها. مرّة أخرى، راحت تتفحص الرسم الذي يُظهر الكابتن وميهيتابيل على ظهر المركب، ومن ثمّ قامت بلصقه على الحائط القريب من مكتبها. إلى جانبه علّقت الرسوم التي نفّذتها شخصيًا والرسم الذي أحضرته جان من مكتبة بروستر. لقد كانت الرسوم متقاطعة إلى حدّ بعيد. لا بدّ أنّها قد وقعت على ما يُشبهها في الملفات.

كانت قد وضعت خطة للعمل. بدأت بالبحث في المواد الجديدة عن أي معلومة تشير إلى توبياس نايت.

وقعت على اسمه للمرة الأولى في معرض الحديث عن تنفيذ القصص بميهيتابيل.

«خلال اجتماع أعيان مدينتنا في مونومويت في الأربعاء الثالث من شهر أغسطس من العام 1705، جرت محاكمة ميهيتابيل زوجة الكابتن أندرو فريمان. وأنزلت بها العقوبة بحضور زوجها والقضاة وشريكها بالزنى وأبناء المدينة الذين خرجوا من منازلهم وتركوا أعمالهم ليشهدوا على معاقبة الزانية».

لقد كان الأربعاء الثالث من الشهر، أي في مثل هذه الأيام. وقف أندرو شاهدًا على تعذيبها. أفكارًا راودت مينلي وحملتها على التساؤل كيف حصل ذلك.

قرأت ملاحظة كتبتها فيبي: «في تلك الليلة، أبحر الكابتن فريمان، وأخذ معه الطفلة البالغة من العمر ستّة أسابيع، وخادمة هندية لرعايتها».

تخلّى عنها في تلك الظروف وانتزع منها طفلتها. نظرت مينلي إلى الرسم الذي يُظهر أندرو فريمان. قالت كما لو كانت تكلم الكابتن، أمل أنك لم تكن مقتنعًا بما تفعله ذلك اليوم. إنزعجت الرسم عن الحائط وأمسكت بقلم فحمي وراحت تعدّل تعابير وجهه الواثقة.

لقد تعمّدت إظهار قساوته. مع ذلك، عندما انتهت من الرسم، كان وجه الكابتن فريمان وجه رجل حزين كئيب.

قالت في نفسها: «لربّما ندمت على ما فعلته بها.»

أدخلت إيمي هانا المنزل لتسقيها بعض العصير. حملت الطفلة ووقفت في حجرة الطعام الصغيرة لا تدري ما تفعل. فقد سمعت، وهي تدخل، نحيبًا خافتًا. هذا ما سمعته كاري في اليوم السابق. لربّما عادت السيّدّة مينلي أبكر ممّا توقعنا.

لطالما أخفت السيدة نيكولز عن المحيطين بها حزنها، لكنّها كانت منهارة في الواقع. تساءلت إيمي عن مسؤوليتها في إخبار السيّد نيكولز بالأمر.

مالت بسمعها من جديد. لا، لم تكن السيدة نيكولز. فقد تسلّل الهواء إلى المنزل، كما حصل في اليوم السابق، مثيراً صوتاً يُشبه البكاء ردد الموقد صداه. فكّرت إيمي في أنّ كاري قد أخطأت مرّة أخرى.

14 أغسطس

78

صباح الأحد، ألح آدم على مينلي بالخروج لتناول الغداء بعد القدّاس. قال لها: «البارحة، إنتهى الأمر بكلينا منكبًا على العمل، ما لم يكن في الحسابان، وأنا مضطر لتمضية ساعة على الأقلّ مع سكوت كوفي بعد الظهر.»

لم يسع مينلي رفض عرضه مع أنّها تمّت ملازمة مكتبها للعمل. لقد علمت ظروف مقتل ميهيتابيل بعد أن قرأت عنها في سجلات المدينة المحفوظة في الملفّ الأخير الذي حصلت عليه من فيبي سبراغ.

مضى على رحيل الكابتن فريمان وابنته الرضيعة سنتان. خلالهما، وقفت ميهيتابيل تنتظر رجوعه في ممشى الأرملة في ريممبر هاوس.

عندما لمحت مركبه يرسو على المرفأ، سارعت للقاءه. يا له من مشهد مثير للشفقة. فبحسب أحد سكان المدينة: جثمت ميهيتابيل عند قدميه وهي تنعصر ألمًا، وتوسّلته أن يعيد إليها طفلتها. أما هو، فقال لها إن زانية مثلها غير جديرة بنظرة من ابنتها. وأمرها بالرحيل

عن المنزل. لكنّها توفيت في تلك الليلة من التعب والمرض. يُقال إن الكابتن فريمان شهد على وفاتها وأن كلماتها الأخيرة كانت: «أندرو، لقد بقيتُ هنا أنتظر عودة طفلي، وها أنا أموت ظلماً، بدون أن أقترف أي ذنب».

مكتبة الرمحي أحمد

فيما كانا يتناولان الغداء في مطعم دينيس، ناقشت مينلي المعلومات الجديدة مع آدم، بينما كان يجول بنظره في المطعم. قال لها: «كان والدي يحبّ ارتياد هذا المكان. يؤسفني أنّه رحل وتركنا. كان ليساعدك في أبحاثك. فهو يعرف تاريخ كايب كود حقّ المعرفة.»

علقت عليه مينلي بالقول: «وكذلك فيبي سبراغ، فهي ضليعة به. آدم، أتظنّه لائقاً أن نتصل بالزوجين سبراغ، لنسألهما عن إمكانية أن أزورهما مع الطفلة في الوقت الذي تقابل فيه سكوت؟»

تردّد آدم قبل أن يجيب: «تتفوّه فيبي بكلام مجنون في بعض الأحيان.»

«ليس دوّمًا.» [@ktabpdf](https://www.ktabpdf.com) .. تيليجرام

أجرى الاتصال وعاد إلى الطاولة وهو يبتسم. «فيبي مرتاحة اليوم. طلب منك هنري أن تحضري في الحال.»

بقي ثمانية عشر يومًا. هذا ما كان هنري يفكر فيه، وهو يراقب فيبي تلاعب هانا التي كانت قابعة في حضن مينلي. لطالما تخوّف من صباح ذلك اليوم الذي سيصحو فيه من النوم ولا يجد فيبي إلى جانبه.

اليوم، لم يتبين أي عيب في مشيتها. لم تكن تجرّ قدميها بقدر ما اعتادت أن تفعل. لكنّه أدرك أنها لن تبقى على هذه الحال من

التحسّن. فلحظات الصفاء تقلّ مع الوقت، لكنّ الكوابيس قد اختفت والحمد لله. لقد كان نومها في الليالي القليلة الماضية هانئاً إلى حدّ ما.

قالت فيبي لهاانا: «حفيدتي أيضاً تهوى اللعب معي. إنها في مثل سنّك.»

كانت لورا في الخامسة عشرة من عمرها. فكما قال الطبيب، الذاكرة الطويلة الأمد هي آخر ما يفقده مريض الألزهايمر. أحسّ هنري بالإمتنان لمينلي، لنظرة التفهّم التي رمقته بها. كم كانت جميلة. في الأسابيع القليلة الماضية، تركت الشمس بصمتها على شعرها، واسمرت بشرتها بعض الشيء. ما أبرز زرقة عينيها. كانت ابتسامتها رائعة، لكنّه انتبه في ذلك اليوم إلى تغيّر في تعابير وجهها، إلى لمحة حزن لم يسعه تفسيرها.

عندما سمعها تتحدّث مع فيبي، تساءل عن احتمال أن يكون البحث الذي تجريه بشأن تاريخ ريممبر هاوس قد ترك فيها تأثيراً سلبياً. فقصة المنزل مأساوية بامتياز.

كانت تخبر فيبي: «لقد قرأتُ رواية موت ميهيتابيل. أظنّ أنها استسلمت بعد أن أدركت أنّ أندرو لن يعيد إليها الطفلة.»

أرادت فيبي أن تخبر مينلي أمراً ما. أمر يتعلق بميهيتابيل وبما سيحدث لزوجة آدم. سوف تُجرّ إلى ذلك المكان المظلم حيث ترك الكابتن أندرو فريمان توبياس نايت يهتريء ويعفن، ومن ثمّ سيتمّ إغراقها في البحر. ليبتها تتبيّن بوضوح وجوه الأشخاص الذين ينوون التخلّص من زوجة آدم، وتتعرفّ إلى أصواتهم. فقد كانت صورتهم ضباباً في ذهنها. ما السبيل إلى تحذيرها؟

«إرحلي من هنا!» صرخت وهي تدفع مينلي والطفلة. «إرحلي

من هنا.»

حذر آدم سكوت قائلاً: «سوف يكون والد فيفيان ووالدتها شاهدين مؤثرين قويين. سيصوّرانك بصورة صائد الثروات الذي تلقى زيارة من فتاة مثيرة قبل أسبوع من زواجه، والذي عمد، بعد قتل ابنتهما، إلى انتزاع خاتم من إصبعها بدافع الجشع والطمع.»

بدا على سكوت كوفي التخوّف من جلسة الإستجواب المقبلة. كان الرجلان يجلسان وجهاً لوجه، إلى طاولة الطعام، وقد بعثر آدم مذكراته بينهما.

قال سكوت بهدوء: «سوف أبوح بالحقيقة.»

«ما يهمّ هو طريقة إفصاحك بها. عليك إقناع القاضي بأنك ضحية العاصفة المجنونة بقدر ما كانت فيفيان ضحيتها. عندي شاهد يعزّز موقفك، وهو رجل أوشك على خسارة حفيده عندما ضربت العاصفة مركبهما. كان البحر ليبتلعه لولا أنّ الجدّ أمسكه بقدمه.»

سأله كوفي: «هل كانوا ليتهموه بقتل الصبي لو لم يتمكّن من

الإمساك به؟»

«هذا ما نوّد إقناع القاضي به.»

إنتهى اللقاء بين الرجلين وختمه آدم بالقول: «لا يمكن أن نتكهن نتيجة الشهادات وجلسات الإستماع. لكننا في موقف جيّد. تذكر ألا تفقد رباطة جأشك وألا تنتقد والدي فيفيان. فهما والدان مفجوعان وأنت أيضاً زوج مفجوع. لا تنسَ هذا عندما يحاولون إظهارك بمظهر الوصولي القاتل.»

تفاجأ آدم لرؤية مينلي وهانا تنتظرانه في السيارة. قالت له مينلي:
«أخشى أن أكون قد ضاقت فيبي. ما كان يجدر بي أن أذكر ميهيتابيل
في حضورها. فقد اضطربت لسبب لا أعرفه.»
أجابها آدم: «لا أجد تفسيراً لنوباتها هذه.»
«وأنا أيضاً. النوبات التي تنتابني تنشأ عن مسبب محدد، أليس
كذلك؟»

«الحالة مختلفة.» وأدار آدم المحرك.

«ماما ماما.» يا له من صوت ملؤه الفرح والبهجة. تلك الليلة
حيث خُيل إليها سماع بوبي وهو يناديها. هل كانت تحلم بالصوت
الذي أطلقه ذلك اليوم في إيست هامبتون؟ هل ألحقت تلك الذكرى
السعيدة بالحادثة التي تسترجعها مراراً وتكراراً؟
سألت آدم: «متى تعود إلى نيويورك من جديد؟»
«سيصدر القاضي قراره عصر الغد أو الثلاثاء. سوف أقصد
نيويورك ليل الثلاثاء وأبقى إلى صباح الخميس. لكنني أقسم لك بأن
عملي هذا الشهر سيقصر على هذين اليومين.»
«أريد منك أن تحضر لي شريط بوبي من إيست هامبتون.»
«لقد وعدتك بذلك، حبيبتي.» فيما انعطف آدم بالسيارة قليلاً،
تساءل عن سبب إصرارها على الشريط.

79

إصطحب فريد هيندين تينا إلى العشاء مساء الأحد. زعمت أنها
مصابة بصداق عندما اتّصل بها صباح ذلك اليوم، لكنها عادت وأقرت

بأنّ بعض السمك ورقاقات البطاطس وكأسًا من المشروب في حانة كلانسي، سوف تُحسّن لها مزاجها.

تناولا كأسًا عند البار وتفاجأ فريد للنشاط والحيويّة اللذين أظهرتهما تينا. فقد كانت على معرفة بالساقى و ببعض الزبائن الدائمين، فراحت تمازحهم.

أحبّ فريد هندامها. فقد كانت ترتدي تنورة حمراء قصيرة وقميصًا أبيض وأحمر. كانت جذّابة، ولم تخف على فريد نظرات الإعجاب التي رمقها بها بعض الرجال في الحانة. لا شكّ في أنّها كانت تجذب الرجال. لا أحد يمكنه تجاهلها.

عندما كانا يخرجان معًا السنة السابقة، لم تنفك تكرر له أنّه رجل حقيقي. وتساءل احيانًا إن كان كلامها إطراء. لكنها ما لبثت أن تخلّت عنه عندما ظهر كوفي من جديد في حياتها. من ثمّ اتّصلت به فجأة في شهر أبريل. قالت له، كما لو أنّ شيئًا لم يكن: «فريد، لم لا تمرّ بمنزلي؟»

تساءل فريد فيما كانت تينا تضحك لنكتة قالها الساقى، أتراها اليوم مستعدّة للارتباط بي بعد أن عجزت عن الايقاع بكوفي؟

لم يسمعها تضحك بتلك الطريقة منذ زمن. لقد بدت سعيدة تلك الليلة.

كان يعرف السبب. فهي، ولو أنّها كانت متوتّرة لمثولها في جلسة الإستجواب، إلا أنّها قد حاولت ان تبدو سعيدة. فيما كانا يتناولان العشاء، سألته عن الخاتم. «فريد، أوّد أن أضع الخاتم في إصبعي خلال جلسة الإستجواب، هل أحضرته؟»

«أنت تفسدين بقية المفاجأة. سوف أعطيك إياه في منزلك.»

كانت تينا تسكن في شقة مفروشة فوق أحد مواقف السيارات في يارموث. لم تكن ربة منزل جيّدة ولم تضيفِ على المكان أي لمسة شخصيّة. مع ذلك، إنّتهه فريد منذ لحظة دخولهما الشقة إلى تغيير ما في غرفة الجلوس الصغيرة. فقد اختفت منها بعض الأغراض. درجت تينا على الاحتفاظ بمجموعة منوعة من أشرطة موسيقى الروك، لكنّ معظمها اختفى. وكذلك صورتها وهي تتزّج مع عائلة أخيها في كولورادو.

هل كانت تخطط لرحلة ما وأخفت الأمر عنه؟ وهل ستذهب

بمفردها؟

15 أغسطس

80

إستفاقت مينلي عند الفجر على صوت بكاء ضعيف. إتكات في السرير على مرفقها وبذلت جهدًا لتمييز الصوت. لا، لم يكن بكاء، بل على الأرجح زعيق نورس على الشاطئ. كانت الستائر تتحرك بلا توقف فتغلغل نسيم البحر إلى داخل الغرفة ناشراً فيها عبقه الطيب.

أسندت رأسها من جديد إلى الوسادة. كان آدم يغط في نوم عميق ويشخر شخيراً خفيفاً. في تلك اللحظة تذكّرت مينلي كلاماً قالتها لها والدتها منذ سنوات عدّة. كانت والدتها تقرأ بريد القراء في إحدى الصحف، حيث وقعت على سيّدة تشكو من شخير زوجها الذي كان يمنعها من النوم. كان ردّ الخبير المختصّ بأنّ بعض النساء يعتبرن شخير أزواجهنّ أروع صوت في العالم، وللتأكد من ذلك، يكفي طرح السؤال على أي أرملة.

أمّا تعليق والدتها فكان: «برأيي، إنها الحقيقة.»

فكرت مينلي في والدتها التي ربّت العائلة بمفردها. لهذا السبب، لم تختبر مينلي يوماً العلاقة الناجحة بين زوجين. كما أنها لم تختبر المشاكل التي قد يمرّ بها الثنائي، وكيفية مواجهتها.

تساءلت عن السبب وراء استرجاعها هذا كله في تلك اللحظة. الأتني بدأت أتبين في آدم حساسية لم أدر يوماً بوجودها؟ لطالما تعاملت معه بدقة وعناية. فهو الرجل الجذاب الناجح الذي تلهث النساء وراءه، لكنّه اختارها هي شريكة لحياته.

أدركت مينلي أنها عبثاً تحاول العودة إلى النوم. فانسَلت من سريرها، التقطت ثوبها وخرجت من الغرفة على رؤوس أصابعها. كانت هانا نائمة على الارجح، فهبطت مينلي السلالم بهدوء ودخلت المكتبة. قد تستفيد من ساعتين للعمل قبل أن يستفيق كل من هانا وادم. فتحت الملف الجديد.

كانت قد تصفّحت النصف الأول منه، عندما وقعت على رزمة من الأوراق دّونت عليها روايات عن سفن ومراكب ابتلعها البحر. من بينها روايات كانت قد قرأتها وتحكي عن قراصنة نهبوا حمولة السفن الغارقة.

في معرض قراءتها، تبينّت إشارة إلى توبياس نایت. كانت فيبي قد دّونت «لقد اقتيد توبياس نایت إلى بوسطن للإستجواب في قضية نهب إحدى السفن».

في الصفحة التالية سردٌ لحادثة غرق سفينة غود سبيد العائدة إلى أندرو فريمان. كانت نسخة عن رسالة وجهها جوناثان ويكس، أحد أعيان المدينة آنذاك إلى الحاكم شوت، ونصّها «في الحادي والثلاثين من شهر أغسطس من العام 1707، أبحر الكابتن فريمان وقد تجاهل نصائح بعض من حدّره من ذلك. بحسب ما رواه البحّار الوحيد الذي بقي على قيد الحياة لقد هبت ريح شمالية شرقية تشير إلى عاصفة وشيكة. كان الكابتن متوتراً ومنزعجاً. أراد أن يعيد الطفلة إلى حضن

والدتها. الكلّ كان يعرف أن الوالدة قد توفيت. سادت حالة من الذعر والخوف. غرقت السفينة. لفظ البحر جثة الكابتن فريمان إلى جزيرة مونومي ودُفن إلى جانب زوجته، ميهيتابيل، ذلك أنه كان يهتف بحبه لها».

ثمّة ما حدث وغير رأيه. تساءلت مينلي: «ما كان ذلك يا ترى؟» كان يحاول إعادة الطفلة إلى حضن والدتها المتوفاة. ولاقى حتفه وهو يهتف بحبها.

81

مع أنّ النهار كان يُبشّر بحرارة مرتفعة، فقد ارتدى سكوت كوفي سترة خفيفة بلون الكحلي مع قميص أبيض طويل الأكمام وربطة عنق كحلية وبيضاء. في البداية فكّر في ارتداء سترته الخضراء مع بنطال وقميص رياضيين. لكنّه أدرك أنه، إن فعل، لن يترك لدى القاضي الإنطباع المنشود. لم يكن واثقاً من ضرورة وضع خاتم الزواج في إصبعه. فهل سيبدو الأمر خطوة للتأثير في النفوس؟ لا لن يبدو كذلك. قرّر أخيراً أن يضعه.

عندما أصبح جاهزاً للإنصراف، وقف قبالة المرأة يتفحص شكله. لطالما قالت له فيفيان إنها تحسده على سرعة اسمراره. كانت تتحسّر قائلة: «أما أنا فبشرتي تحترق ومن ثمّ تقشر وتحترق وتقشر، بينما تحصل أنت على هذه السمرة الرائعة فتزداد عيناك خضرة وشعرك شقاراً، فتجذب الكثير من الفتيات.»

ردّ عليها: «وأنا لا أرى سواك أنت.»

تفحص شكله من رأسه إلى أخمص قدميه وعبس. كان ينتعل زوجًا جديدًا من أحذية غوتشي. ارتأى إبداله بزوج قديم. فذاك أفضل.

كان متوترًا وقال بصوت عال: «إلى المواجهة!»

وصلت جان بالي لتلازم فيبي فيما يحضر هنري جلسة الإستجواب. نَبهها هنري قائلاً: «بالأمس كانت حزينة. فقد ذكرت مينلي شيئًا عن ريممبر هاوس سبب لها الازعاج. أشعر بأنها تحاول أن تبلغنا رسالة ما لكنها لا تجد الكلام للتعبير.»

إقترحت عليه جان قائلة: «قد تتذكر ما أرادت قوله، إن حدثتها أنا عن المنزل.»

وصلت إيمي إلى ريممبر هاوس في تمام الثامنة. كانت المرة الأولى التي ترى فيها السيد نيكولز في بزة رسمية فرمقته بنظرة إعجاب. كان رجلًا أنيقًا، يوحى بالثقة.

بدا منشغلًا يتحقق من المستندات في حقيبته. مع ذلك، نظر إليها ورمقها بابتسامة.

«مرحبًا إيمي. مينلي ترتدي ثيابها والطفلة معها. لم لا تصعدين للإهتمام بهانا؟ لقد تأخرنا.»

لقد كان رجلًا لطيفًا. أسفت إيمي للوقت الذي سيضيّعه في البحث عن الشريط الخاص ببوبي، في نيويورك، في حين أن الشريط على بعد بضع دقائق، في منزل إيلين. قالت له: «سيد نيكولز، هل يمكنني الإفشاء لك بسرّ، لكن لا تقل لأحد إنك علمته مني؟»

أجابها: «بالطبع يمكنك ذلك.»

أخبرته عن الشريط، كيف وجدته، وأخذته إلى منزلها ومن

ثم أعادته. تابعت بنبرة اعتذار: «لم أقل لإيلين إنني استعرتة، لذا ستغضب إذا ما اكتشفت اختفائه. كل ما أردته هو أن أرى طفلك.»

«إيمي لقد وقّرت عليّ المشاكل. فنحن لا نملك نسخًا أخرى من الشريط، وكانت زوجتي لتحزن في حال اختفائه. لقد تركتُ كايب كود على عجلة السنة الماضية، وكان على إيلين أن تشحن لي بعض الأغراض. سوف أسألها عنه من دون أن أوزّطك في الموضوع.»

نظر إلى ساعة يده وقال: «يجب أن نرحل. ها هما، لقد نزلتا.»

سمعت إيمي وقع أقدام على السلالم ومن ثمّ رأت السيدة نيكولز تنزل مسرعة وقد حملت هانا بين ذراعيها.

«أنا جاهزة آدم. هاك الطفلة إيمي.»

حملت إيمي هانا فيما أردفت السيدة نيكولز وهي تبتسم:

«إنها لك مؤقّتا.»

82

بحلول التاسعة صباحًا كانت قاعة المحكمة في أورليانز قد غصت بالحضور وبوسائل الإعلام التي توافدت لتغطية الحدث. لقد حظيت قضية مقتل فيفيان كاربنتر بدعاية واسعة وجذبت محبيّ الإثارة الذين تنافسوا مع سكان المدينة على المقاعد المحدودة في قاعة المحكمة.

قبيل استراحة الغداء، سمع نات أحد المُراسلين يهمس في أذن زميل له: «الجلسة أشبه بمباراة في كرة المضرب.» من ناحيته، فكّر نات في أنّ القضية ليست لعبة بل إنها جريمة قتل، ولو أنّ المحكمة لا تملك حتى تلك اللحظة الإثبات على ذلك. لقد أحسن المدعي العام

عرض الإثباتات والبراهين. فبنى القضية تدريجيًا: توّظ كوفي بعلاقة مع تينا استمرّت لغاية الأسبوع الذي سبق زواجه من فيفيان؛ إصبع فيفيان الذي ظهرت عليه آثار كدمة ورضّة، والخاتم المفقود: تخلف الزوجين عن سماع تقرير الأحوال الجوية؛ جثة فيفيان التي لفظها البحر في البقعة حيث لم يكن من المفترض إيجادها.

أمّا القاضي، فوجّه أسئلته إلى الشهود، وتفحص بانتباه وعناية الرسوم البيانية وتقارير التشريح.

بالنسبة لتينا، أتت شهادتها دعمًا لموقف كوفي. أقرّت بأنّ هذا الأخير قد أخبرها عن علاقته بفيفيان، وبأنها (تينا) قد قصدته في بوكا راتون على أمل كسب ودّه من جديد. قالت للقاضي: «كنت متيمة به. لكنني أدركت نهاية العلاقة عند ارتباطه بفيفيان. فقد كان مغرمًا بها. وأنا الآن مخطوبة لرجل آخر.» قالت ذلك ورمقت فريد بابتسامة من كرسي الشهادة.

فيما كانت تينا تدلي بشهادتها، إنتبه نات لأنظار الحضور تتحوّل من سكوت كوفي، بجاذبيّته ووسامته، وتستقرّ على فريد هيندين القصير والثخين، بشعره الخفيف وتعايير الحرج البادية على وجهه. لقد قبلت تينا الارتباط بفريد عندما قطعت الأمل من إيقاع سكوت في شركها وفي حمله على التخلّي عن فيفيان.

أمّا شهادة كونر ماركوس، ذلك الرجل الذي يبلغ الخامسة والستين من عمره والذي يسكن في إيستهام وقد أوْشك على خسارة حفيده في العاصفة، فكانت لتحسم القضية بدون شهادة كوفي. قال: «لن يستطيع أي شخص لم يكن في البحر في تلك اللحظة أن يدرك كم كان هبوب العاصفة مفاجئًا.» كان صوته يرتجف من الإنفعال. تابع:

«كنا، حفيدي تيري وأنا، نصطاد السمك. فجأة إهتاج البحر. لم تمض عشر دقائق حتى كانت الأمواج تضرب المركب وكادت المياه تسحب تيري. كل ليلة أركع وأشكر الله لأنه جنبني المأساة التي يعيشها هذا الشاب.» إغرورقت عيناه بالدموع وهو يشير بإصبعه إلى كوفي.

من ناحيتها، تقدّمت إيلين أتكينز من منصّة الشهادة ووصفت بهدوء وقوة مقنعة التغيير الذي طرأ على فيفيان كاربنتر بعد أن التقت سكوت كوفي. تحدّثت عن زواجهما السعيد.

«لقد كانا نيويان شراء ريممبر هاوس وإنجاب الاطفال. لكن فيفيان فكّرت في ضرورة بيع منزلهما القديم قبل شراء الجديد.»
لم يسمع نات هذه الرواية من قبل. وقد عزّزت ما قاله سكوت عن جهله ضخامة الثروة التي كانت فيفيان تملكها.

رُفعت الجلسة للغداء. في فترة بعد الظهر، استُدعي محامي فيفيان من هاينيس وأدلى بشهادة عزّزت موقف كوفي. أما هنري سبراغ، فمثل أمام القاضي بصفة الجار القريب وشهد على الإخلاص المتبادل بين الزوجين. بالنسبة إلى المحقق لدى شركة التأمين، فقد أكّد ما أقرّت به تينا: أنها زارت كوفي في بوكا راتون.

أدلى الزوجان كاربنتر بشهادتهما. اعترفا بأن ابنتهما لطالما عانت من مشاكل عاطفية ووجدت صعوبة في المحافظة على صداقاتها. أشارا إلى أنّها كانت لتقطع أي علاقة متى شاءت وتحدّثا عن احتمال حدوث ما يبزّر انقلابها على سكوت وتهديده بحرمانه من الثروة.

أثارت آن كاربنتر مسألة خاتم الزمرد. قالت بحزم: «لم يكن يوماً ضيقاً على إصبعها. فضلاً عن ذلك، ما كانت فيفيان لتزعه قط. فهي قد أقسمت لجدّتها بأنها لن تفعل. لطالما كانت تتأمّله

تحت الضوء.»

عندما سألتها القاضي وصف الخاتم، قالت أن: «كان خاتمًا رائعًا، حجر كولومبي، خمس قيراطات ونصف القيراط، مع قرص كبير من الألماس من كل جانب، وكان مرصعًا بالبلاطين.»

بعد أن كاربنتر، أتى دور سكوت كوفي. فبدأ شهادته بصوت هادئ وورباطة جأش. إبتسم فيما كان يتحدث عن الفترة الأولى من علاقته بفيفيان، وعن أغنيتها المفضلة. من ثم انتقل للحديث عن خاتم الزمرد: «كان يُزعجها. في صباح ذلك اليوم المشؤوم رأيتها تشدّ عليه لسحبه من إصبعها. لكنني واثق من أنها كانت تضعه على ظهر المركب. لا بدّ أنها نقلته إلى يدها اليسرى.»

أنهى شهادته بسرد حادثة غرقها على أثر هبوب العاصفة. اغرورقت عيناه بالدموع وضعف صوته. هزّ رأسه وقال: «لا أتحمّل التفكير بالخوف الذي انتابها». ودمعت عيون الكثيرين في قاعة المحكمة.

أضاف: «في الليل تقصّ مضجعي الكوابيس حيث أرى نفسي أبحث عنها في المياه ولا أجدها. أستيقظ من النوم وأنا أنادي اسمها.» ثمّ أجهدش بالبكاء.

إستنّج القاضي غياب أي إثبات يشير إلى إهمال ما أو إلى عمل مخالف للقانون. **@ktabpdf .. تيليغرام**

طلبت وسائل الإعلام من آدم الإدلاء بتصريح، فقال: «لقد كانت محاكمة فظيعة بالنسبة لسكوت كوفي. فهو لم يخسر زوجته فحسب، بل تعرّض أيضًا لإشاعات مغرّضة ولاتهامات شنيعة. أمل أن تكون هذه الجلسة العلنية قد عرضت الظروف الحقيقية للمأساة، ومنحت ذلك الشاب السلام والخصوصية اللذين هو بامسّ الحاجة إليهما.»

سئل سكوت عما ينوي فعله. رد: «والدي مريض، ولهذا السبب لم يحضر وزوجته جلسة الاستجواب. سوف أقصد كاليفورنيا لزيارتهم. في الطريق سأتوقف في بعض المدن حيث لدي بعض الاصدقاء. لكنني بحاجة إلى شيء من العزلة لأقرر ما سأفعله في حياتي.»
 سأله أحد المراسلين: «هل ستمكث في كايب كود؟»
 أجاب ببساطة: «لا أعرف. ثمة ذكريات مؤلمة هنا.»

وقفت مينلي تصغي إلى الأحاديث التي تدور. شعرت بالإعزاز والفخر بما أنجزه آدم. بنظرها، كان محامياً لامعاً. أحست بأحدهم يرتب على ذراعها برفق. كانت سيّدة في أواخر الستينات. بادرتها قائلة: «أردت أن أعرفك بنفسي. إسمي نورما تشامبرز. إنّ أحفادي مولعون بالكتب التي تؤلفينها وقد أحزننا إقلاعكما أنت وزوجك عن استئجار منزلنا لشهر أغسطس.»

«إستئجار منزلكم؟ تقصدون المنزل الأول الذي تدبرته لنا إيلين. لكنّها اضطرت لاستئجار ريممبر هاوس، نظراً لأعطال السمكرية في منزلكم.»

بدا الذهول على وجه السيدة تشامبرز وقالت: «لا أعطال سمكرية في منزلي. فقد أجرته في اليوم التالي. من أقنعك بوجود الأعطال؟»

83

ما إن انتهى هنري سبراغ من الإدلاء بشهادته، حتى اتصل بالمنزل للإطمئنان إلى صحّة فيبي. ألحّت عليه جان بأن يحضر جلسة

الإستجواب إلى النهاية. قالت له: «نحن بخير.» مع ذلك، لم يكن يوماً سهلاً. فقد فقدت فيبي توازنها فيما كانت تنزل الدرجتين إلى الباحة الخلفية، وبالكاد منعتها جان من السقوط. عند الغداء، أمسكت فيبي بسكّين وأرادت تناول الحساء به.

تدخلت جان وأعطتها الملعقة وراحت تسترجع بأسف ولوعة تلك الأيام عندما كانت تأتي وتوم لتناول العشاء عند آل سبراغ. في تلك الفترة، كانت فيبي مضيعة لبقة وظريفة، تحسن تزيين المائدة بالقوط المنسّقة والشموع والأزهار التي قطفتها من حديقة منزلها.

أسفت جان لما آلت إليه حالة فيبي من تدهور. فكيف لسيّدة كانت على ذلك المستوى من التألق أن تصبح ضعيفة وعاجزة إلى هذا الحدّ؟

إستسلمت فيبي لقيلولة قصيرة بعد الغداء، وعندما استفاقت في منتصف بعد الظهر بدت أكثر نشاطاً. قرّرت جان أن تعرف منها ما أرادت قوله عن ريممير هاوس.

قالت لها: «منذ أيام قليلة، قصدنا، زوجة آدم وأنا، بعض الأشخاص من مالكي المنازل القديمة. فزوجة آدم بصدد كتابة مقال عن منازل تلازمها الأساطير. أظن أنّ ريممير هاوس هو أكثر تلك المنازل إثارة للإهتمام. من ثمّ قصدنا إستهام وعائنا منزلاً آخر بناه توبياس نايت. إنه يشبه ريممير هاوس لكنّ غرفه أوسع.»

الغرف. ريممير هاوس. إشتّمت فيبي رائحة عفونة. لكأنها صادرة عن مقبرة. في الواقع ثمة مقبرة في المنزل. هناك، في أعلى السّلم الضيّق. المكان مليء بالخردة وبالأغراض البالية. بدأت تمرّ بينها ولمست

يذاها الجمجمة. تناهت إلى مسمعها أصوات من الطابق السفلي
تحدّث عن زوجة آدم.

قالت بعد جهد: «داخل المنزل.»

«هل من شيء داخل ريممبر هاوس، عزيزتي؟»

تمتت قائلة: «توبياس ناي.»

84

ألحّ سكوت كوفي على كلّ من إيلان وآدم ومينلي وهنري بالمرور
بمنزله لتناول كأس من النبيذ. قال لهم: «لن أوخركم. لكنني أودّ
انتهاز الفرصة لأكلّمكم.»

نظر آدم إلى مينلي، فهزّت رأسها بالموافقة. قال لسكوت:
«ستكون وقفة قصيرة.»

كانت مينلي متلهّفة للعودة إلى المنزل من أجل هانا. مع ذلك،
فقد أرادت انتهاز الفرصة لتسأل إيلان عن السبب الذي دفعها إلى
التحوّل عن منزل السيدة تشامبرز واستئجار ريممبر هاوس.

في طريقهما إلى منزل سكوت، تداول الزوجان في مجريات
جلسة الإستجواب. قالت مينلي لآدم: «لا يُحسد فريد هيندين على
موقفه. فيا للحرص الذي سبّبه له كلام تينا عن أنها تخلّت عنه من
أجل رجل آخر. مع ذلك، فقد أيدّ موقفها في شهادته وأبدى شهامة
كبيرة.»

ردّ آدم: «لو كان يتحلّى بذرة ذكاء، لتخلّى عنها. لكنّه ليس ذكيًا
على ما يبدو. محظوظًا كان سكوت لأنها دعمت روايته. لكنّ جلسة

الإستجواب هذه لن تحول دون انعقاد هيئة محلفين في حال ظهور أدلة إضافية. يتعين على سكوت توخي الحذر.»

فتح سكوت زجاجة من النبيذ الفرنسي الفاخر. قال لضيوفه: «لطالما تمنيت أن أفتحها في مناسبة مماثلة.» سكب المشروب في الكؤوس ورفع كأسه قائلاً: «هذا ليس احتفالاً. ينقصه وجود فيفيان معنا حتى يكتمل. لكنني أود أن أشرب هذا النخب معكم، يا أصدقائي، عربون شكر لما فعلتموه لمساعدتي. آدم، أنت الأفضل. مينلي، أعرف أنك ألحيت على آدم بضرورة مساعدتي. إيلين، لا يسعني سوى أن أشكرك.»

إرتشف القليل من النبيذ وتابع: «والآن أودّ مشاركتكم دون سواكم، خططي المستقبلية. أنوي مغادرة المدينة في الصباح ولن أعود إليها. أنا واثق من أنكم تتفهمون قراري. لن يسعني بعد اليوم المشي في شوارع هذه المدينة من دون أن أسمع همس الناس وأرى أصابعهم تشير إليّ. من الأفضل أن يتابع آل كاربنتر حياتهم، من دون أن يضطروا لمصادفتي. لهذه الاسباب، أطلب منك إيلين عرض منزلي هذا للبيع أو الإيجار.»

همست إيلين: «إذا كان هذا ما تريد.»

أمّا آدم فعلق قائلاً: «من ناحيتي لا يسعني معارضة قرارك.»

إبتسم له سكوت وردّ: «آدم، سوف أغانر بعد بضع ساعات. سأتصل بمكتبك الأسبوع المقبل لأسدّد الأتعاب. سوف أرسل لك شيكاً بقيمتها. أنت تستحقّ كلّ فلس أنفقته على القضية.»

ما هي إلا لحظات قليلة حتى قال آدم: «سكوت، في حال تنوي

الإنتلاق في ساعة مبكرة، فأنت بحاجة إلى توضيب أمتعتك.»

ودّع مينلي وأدم الحضور لكنّ إيلين بقيت بعض الوقت
لتناقش مع سكوت تفاصيل تأجير المنزل.
فيما كانا يتّجهان إلى السيارة، تساءل آدم عن السبب وراء فتور
الحماسة التي شعر بها. لِمَ ينتابه حدس بأنّ سكوت قد خدعه؟

85

بعد جلسة الإستجواب، لم يشرب نات النبيذ احتفالاً. عوضاً عن ذلك،
جلس في الغرفة العائلية يحتسي كأساً من الجعة الباردة، ويستعيد
في ذهنه أحداث النهار. قال لديبي: «هذا ما يحدث. القتلة ينجون
بفعلتهم. قد أمضي أياماً عدة في تعداد قضايا وحالات، يعرف فيها
الجميع هوية القاتل لكننا نعجز عن معاقبته في غياب أي إثبات
يدينه.»

سألته ديبي: «هل تنوي مواصلة العمل على القضية؟»
هزّ نات كتفيه استهجاناً وقال: «المشكلة تكمن في غياب أي
دليل قاطع يدينه.»

«في هذه الحالة، فلنخطّط لعيد زواجنا. هل سنقيم حفلة
للمناسبة؟»

بدا نات مذهولاً وأجاب: «لقد فكّرتُ في اصطحابك لتناول
عشاء فاخر ثم لاختتام الليلة في الفندق.» وغمزها بعينه.
«أنت جدّي نات؟»

أنهى نات الجعة وقال: «تبّاً لهذه القضية ديبي. ثمة دليل
قاطع. أعرف ذلك. لكنني عاجز عن إيجاداه.»

86

في الطريق إلى منزل تينا، بعد انتهاء جلسة الإستجواب، إنتاب فريد هيندين شعور بالخزي والعار. لقد انتبه إلى نظرات الحضور في قاعة المحكمة: الجميع كان يقارنه بوزير النساء، سكوت كوفي. وهو يعرف حقّ المعرفة أن كوفي كاذب مخادع. مع ذلك، لم تنكر تينا أنها ارتمت بين أحضانه طوال الشتاء.

على منصّة الشهود، بذل فريد ما بوسعه لدعمها وتعزيز موقفها. أمّا القاضي فأصدر حكمه من دون أن يربط بين علاقة تينا بسكوت، من جهة، ووفاة فيفيان كاربنتر من جهة أخرى.

كان فريد يعرف تينا أكثر من معرفتها بنفسها. لقد رآها بضع مرّات أثناء الإستراحة ترمق كوفي بنظرة تفضح مشاعرها. كان الأعمى ليدرك أنها ما زالت متيمّة به.

قالت لفريدي وهي تلفّ ذراعها حوله: «أنت صامت وهاديء».

«أظنّ ذلك.»

«وأنا أيضًا.»

«سأتحقّق من إمكانية الإستفادة من إجازة قصيرة لزيارة أخي.»

لقد سئمت ثرثرة الناس وهمساتهم كلّما رأوني.»

«لا ألومك. لكنّ كولورادو بعيدة.»

أسندت رأسها إلى كتفه. «فريدي، كلّ ما أريده الآن هو الذهاب

إلى المنزل والنوم. هل تمانع؟»

«لا.»

«لكننا سنتناول العشاء معًا ليلة الغد. وأنا سأحضّره.»

أدرك فريد بحسرة رغبته في مداعبة شعرها الأسود. لقد كان مجنوناً بحبّها. وسيبقى كذلك. قال لها: «لا تهتمّي بتحضير الطعام، يمكنك تناول كأس بانتظاري. سأكون في منزلك عند السادسة.»

87

سأل آدم مينلي في طريق العودة إلى المنزل بعد زيارة سكوت كوفي: «ما الذي دفعك إلى سؤال لاین عن المنزل في إيستهام؟»
«لأنها كذبت علينا بشأنه. لم يشك من أي عطل في السمكية.»
«لقد فهمتُ منها أن مالكة المنزل، السيدة تشامبرز، لم تُقرّ يوماً بوجود أعطال في السمكية.»

«في تلك الحالة، لم أجرتّه إيلين لشخص آخر؟»

ضحك آدم ضحكة خافتة وردّ عليها: «بدأت الصورة تتضح. برأيي، لربّما أدركت إيلين أنّنا قد نكون زبونين محتملين لشراء ريممبر هاوس. لهذا السبب حوّلتنا إليه. لطالما أتقنت فنون اللعبة العقارية.»

«بما فيها الكذب؟ آدم، انت محام لامع، لكنني أتساءل أحياناً عن بعض النقاط التي تعجز عن فهمها.»

«كلّما تقدّمت في السنّ يا مين، إزدادت خبثاً.»

«لا، بل أزداد صدقاً وصراحة.»

كانا يجتازان موريس ايلاند باتجاه كويتنيسيت لاين. وكان الجوّ قد برد مع تقدّم فترة بعد الظهر. إنتبهت مينلي لتساقط أوراق الشجر، فقالت: «لا بدّ أن الفصول الأخرى جميلة في هذه المنطقة.»

كانت إيمي قد انتهت من إطعام هانا. رفعت الطفلة ذراعيها بفرح عندما انحنت مينلي فوقها.

لكن إيمي حذرت مينلي التي همّت بحمل الطفلة: «إنها دبقة». «لا بأس. لقد اشتقت إليك هانا.»

قال آدم: «أنا أيضًا اشتقت إليها. لكن قميصك قابل للغسيل، أما بزّي فلا. مرحبًا صغيرتي.»

وأرسل قبلة إلى هانا من دون أن يقترب منها.

قالت مينلي: «سأصحبها إلى الطابق العلوي. شكرًا إيمي. هل يناسبك أن تحضري غداً عند الثانية من بعد الظهر؟ فأنا أنوي العمل لأربع ساعات بعد أن أصطحب آدم إلى المطار.»

أومأت إيمي برأسها موافقة وعندما ابتعدت مينلي سألت آدم: «سيد نيكولز، هل كلمت إيلين عن شريط الفيديو؟»

«نعم. كانت واثقة من أنها أعادته لي. هل أنت متأكدة من أنك رأيتة؟»

«بلا أي شك. فقد رأيتك تسحب بوبي من حوض السباحة وتطلب منه أن يركض إلى والدته. أما هو فكان ينادي: ماما، ماما، من ثم راحت السيدة نيكولز تسأله عن اسمه وعن اسم المدرسة التي يرتادها.»

قال آدم: «مديسة الحضانة.»

لمحت إيمي بعض الدموع في عينيه. قالت له بهدوء: «أنا سعيدة بأنكما رزقتما هانا. لكن، أليس هو الشريط الذي كنت تبحث عنه؟»

«نعم، إنه هو. إيمي، ليس من عادة إيلين الاعتراف بأخطائها.»

لربّما تمكّنتِ من إحضاره لي عندما تزورينها. قد يبدو الأمر سرقة، لكنه في النهاية ملك لنا، ولا أرغب في توريطك في مشكلة معها، إن أنتِ أصريّتِ على وجوده في منزلها.»

«سوف أفعل ما تطلبه مني. شكرًا سيّد نيكولز.»

16 أغسطس

88

في تمام السادسة من صباح الثلاثاء، حمل سكوت كوفي الحقائب الأخيرة في سيارته البي أم وجال في المنزل مرة أخرى للتأكد من توضيبه كل شيء. لقد اهتمت إيلين بتدبير أحدهم لتنظيف المنزل بعد انصرافه. مرة أخرى، فتح أدراج الخزانات في غرفة النوم وتأكد من أنها باتت خالية.

لكنه عاد وتذكر بعض زجاجات النبيذ في الطابق السفلي. لن يتركها لعاملة التنظيف. بقي ما يُزعجه: صور فيفيان. لقد أراد نسيان ذكريات الصيف ليبدأ حياة جديدة. لكنه، إن ترك الصور في المنزل، لظهر بمظهر الزوج القاسي القلب. لذا، حملها هي أيضًا إلى السيارة. أخرج أكياس النفايات وتساءل عما يفعله بصورة ريممير هاوس. هل يمزقها؟ لكنه هز كتفيه بلا مبالاة وقرّر أن ينسى أمرها. سوف تمرّ شاحنة جمع النفايات في غضون ساعة.

خلال جلسة الاستجواب في اليوم السابق، طلب من محامي فيفيان، ليونارد ويلز، حصر ممتلكاتها وإثبات صحّة وصيبتها. الآن وقد برّاه القاضي، لن يسع عائلتها التأخر في نقل الموجودات. بحسب ويلز،

سوف يُضطر لبيع مجموعة من الأوراق المالية تهرّبًا من الضرائب. أخرج السيارة من المرآب وجال حول المنزل. تمهّل قليلاً ومن ثمّ ضغط على دوّاسة البنزين بقوة. صرخ بصوت عال: «الوداع، فيفي.»

89

أمضت العائلة صبيحة الثلاثاء على شاطئ البحر. الثلاثة فقط. أحضروا معهم حظيرة اللعب النقالة ووضعوها تحت المظلة حيث انهمكت هانا باللهو. أمّا آدم فتمدّد تحت أشعة الشمس يطالع بعض المستندات. من جهتها، لم تنس مينلي وضع عددٍ من المجلات في حقيبة البحر، بالإضافة إلى بعض الأوراق التي انتزعتها من الملف الذي حصلت عليه من فيفي.

انتبهت إلى أنّ الأوراق قد ضُمت بشريط من المطاط ولم تكن منظمّة. لم تستغرب مينلي الأمر؛ أدركت أنّ فيفي قد أهملت تنظيم أبحاثها مع تقدّم إصابتها بمرض الالزهايمر. وكأنّها كانت تجمع المواد والمعلومات وتضعها في الملفّ بدون أيّ تنظيم أو ترتيب. حتّى أن مينلي قد وقعت بينها على بعض وصفات المأكولات كانت فيفي قد قصّتها منذ سنوات من مجلّة كايب كود تايمز، وقد أرفقتها بقصص المستعمرين الأوائل.

تمتت مينلي: «مهمّة صعبة.»

رفع آدم نظره عن الأوراق، وسألها: «ما الأمر؟»

«إنّها مذكّرات فيفي. تعود إلى أربع سنوات. من الواضح أنّها

سألها آدم: «ما الخطب، مين؟»

«لقد تذكّرتُ رواية عن أحد المستعمرين في أواخر القرن الخامس عشر، عن سيّدة عرفت بأنّها ستموت بعيد ولادة طفلتها فأوصت بتسميتها ريممير، لتتذكّرها دومًا. أتساءل إن كانت ميهيتابيل قد علمت بتلك الواقعة. قد تكون شكّت في أنها ستخسر طفلتها.»

«بالتالي، إن اشترينا المنزل، لربّما من الأفضل أن نعيد له اسمه الأصلي. هل تعرفين معنى كلمة نيكينوم؟»

«إنها كلمة هندية تعني حرفيًا: أنا ذاهب إلى المنزل. في أيام المستعمرين الأوائل، كان يكفي أن يتلفظ بها أي مسافر مارٍ بأرض غريبة، ليُسَهّل له السكان الرحلة.»

«أرى أنكِ علمتِ كل هذا في معرض الأبحاث التي قمتِ بها.»

قالت له: «سأنزل إلى البحر للسباحة. أعدك بأنني لن أبتعد كثيرًا عن الشاطئ.»

«في حال فعلتِ، سأهَبّ لنجدتك.»

«أمل ذلك.»

عند الواحدة والنصف، أقلّت مينلي آدم إلى مطار بارنستايل. قال لها: «أنا ذاهب للعمل. لكننا سنبدأ عطلة فعلية لدى عودتي يوم الخميس. سأنسى العمل بعد ذلك. في حال قمتُ برعاية الصغيرة في الصباح، هل ترافقينني إلى البحر أو في رحلة استكشافية بعد الظهر؟»

«بكل تأكيد.»

«سوف نستعين بخدمات إيمي للخروج وتناول العشاء بين

الفينة والأخرى.»

في طريق عودتها من المطار، قرّرت مينلي ان تقصد إيستهام لمعاينة منزل توبياس نايت مرّة أخرى. قالت لهانا: «هانا، عديني بأن تكوني هادئة. من الضروري أن أعين ذلك المنزل، لتوضيح بعض الأمور.»

وصلت مينلي إلى المنزل، فطالعتها عند مكتب الاستقبال سيّدة أخرى أكبر سنًا. قالت لمينلي إن فترة بعد الظهر هادئة والزوّار قلائل، وبالتالي لديها الوقت لبعض الدردشة.

أعطت مينلي هانا بسكويتة. «صحيح أنها قاسية، لكنّها تناسبها. فأسنانها بطور النتوء. سوف أحرص على ألا ترمي الفتات أرضًا.»
جلست هانا تقضم البسكويتة برضى وهدوء، ففتحت مينلي موضوع توبياس نايت. قالت للسيدة: «لا أجد الكثير من المعلومات عنه.»

«كان رجلًا غامضًا، رجل اللغز. لا يُنكر أحد نجاحه في البناء. لقد سبق عصره. أنظري إلى روعة هذا المنزل، لكنّ المنزل الذي بناه في تشاتهام كان مقصدًا للسيّاح في تلك الفترة.»
ردّت عليها مينلي: «لقد استأجرته. إنه رائع، لكنّ غرفه أصغر من غرف هذا المنزل.»

«لا أفهم هذا الاختلاف. من المفترض أن يكون حجم الغرف نفسه في المنزلين.» راحت الموظفة تفتّش بين الأوراق على مكتبها.
«هاك نبذة عن حياته لا نعطيها عادة للزوّار. ليست بالنبذة المشرفة. أنظري إلى صورته. ألا تظنّين أنه كان بهيّ الطلعة؟ لا بل شديد التأنق مقارنة برجال عصره.»

أظهر الرسم رجلًا يناهز عمره الثلاثين عامًا، بلحية خفيفة وشعر

طويل. كان يرتدي بنطالاً قصيراً من الخيش، تعلوه سترة ضيقة مع رداء بلا أكمام وقميص عالي الياقة. أما حذاؤه فمرصع بحلى من الفضة. خفضت الموظفة صوتها وأضافت: «بحسب النبذة عن حياته، لقد ترك توبياس إيستهمام على أثر بعض المشاكل والمتاعب. فقد تورط مع عدد من السيدات المتزوجات وكان الكثير من الناس يعتقدون أنه يقوم بنهب السفن الغارقة».

مررت الكتيب إلى مينلي. أردفت قائلة: «في العام 1704، وبعد أن استقرّ توبياس في تشاتهمام، إستجوبه البلاط الملكي بشأن اختفاء حمولة سفينة ثانكفول. الكلّ كان واثقاً من تورطه في السرقة لكنّه وجد طريقة لإخفاء ما جمعه من غنائم. بعد ذلك بسنتين تواری عن الانظار. يُحكى أنّ سكان تشاتهمام قد أحكموا الخناق عليه، فرحل عن المدينة ليبدأ حياة جديدة في مكان آخر.»

سألته مينلي: «ممّ تألفت الحمولة؟»

«من الملابس والبطانيات والأغراض المنزلية والبنّ وشراب الروم. أمّا سبب البلبلة التي أحدثتها عملية السرقة، فيعود إلى أن السفينة كانت متجهة بحمولتها إلى قصر الحاكم في بوسطن.»

«أين اعتادوا إخفاء الحمولة؟»

«في مخابئ مطمورة على شاطئ البحر. حتّى أنّ بعضهم كان يخفيها داخل غرف في منزله تكون عادة خلف الموقد.»

@ktabpdf .. تيليجرام

مكتبة الرمحي أحمد

90

صباح الثلاثاء، غادر نات كوغان منزله إلى العمل أبكر من المعتاد. دفعه الفضول للمرور بمنزل سكوت كوفي، علّه يتبين ما يشير إلى استعداده للرحيل عن المدينة. لم يشك نات في أنّ كوفي لن يتأخر في مغادرة كايب كود، الآن وقد انتهت جلسة الإستجواب وصدر الحكم لصالحه.

صحيح أنه أبكر في بلوغ منزل كوفي، إلا أنّ هذا الأخير قد أبكر أكثر منه بالرحيل. إنتبه نات إلى الستائر مسدلة وإلى بعض أكياس النفايات بالقرب من المنزل تنتظر مرور شاحنة جمع النفايات. فكّر نات في انه ليس بحاجة إلى مذكرة تفتيش لتفتيش محتوى الأكياس. ركن سيارته وترجل منها.

في أحد الأكياس، وجد بعض الزجاجات والعبوات المعدة لإعادة التصنيع، بالاضافة إلى أجزاء من الزجاج المكسور. في كيس آخر، كانت بعض النفايات والأغراض البالية، منها إطار صورة مع بقايا من الزجاج المكسور العالق به وصورة خربش أحدهم عليها. لقد كانت صورة ريمبر هاوس التي التقطت من الجو، تلك الصورة التي عُرضت في واجهة المكتب العقاري. إنتبه نات، إلى أن الصورة كانت، ولو انها مُشوّهة، أوضح من النسخة التي أرته إياها مارج في المكتب. لكنّ الجزء الذي يظهر المركب قد تمّ تمزيقه. لماذا؟ تساءل نات: لماذا حاول سكوت التخلّص من ذلك الجزء؟ لمّ لم يكتف بترك الصورة على حالها إن لم يرغب في حملها؟ ولم مزّق الجزء الذي يظهر المركب بالتحديد؟ ولماذا غاب ذلك الجزء عن النسخة التي رآها في المكتب العقاري؟

وضع نات الصورة الممزقة في صندوق السيارة واتّجه إلى ماين ستريت. كانت إيلين تفتح المكتب. حيثه بسرور، وقالت له: «معي الصورة التي تريدها. يمكنني ان أضعها لك في إطار، إن شئت ذلك». أما نات، فسارع إلى الردّ: «لا، لا تُربكي نفسك بذلك. سأخذها في الحال. ديب تريد أن تضعها في إطار تختاره بنفسها». أخذ منها الصورة وراح يتفحصها بإمعان. هتف قائلاً: «مذهلة! إنها صورة مذهلة!»

«وأفكك الرأي. فالصورة المأخوذة من الجوّ قد تكون أداة بيع فعالة. لكنّ هذه الصورة، بحدّ ذاتها، مذهلة.»

«نحتاج في قسم التحريات من وقت لآخر إلى إنجاز بعض الصور من الجوّ. هل تتعاملين مع مصوّر معيّن في المدينة؟»

«نعم، مع والتر اور من أورليانز.»

واصل نات تفحص الصورة. كانت النسخة نفسها لتلك التي وضعتها مارج في واجهة المكتب العقاري منذ ثلاثة أيام. سأل نات إيلين: «هل أنا مخطئ، أم أن الصورة كانت تُبيّن في الحقيقة مركبًا عندما كانت معروضة؟»

سارعت إيلين إلى الرد: «لقد تَلّفت الصورة السلبية، واضطرتُّ لترقيعها.»

إنّبه نات إلى ألوان الصورة القوية. لكنه تساءل عن سبب التوتّر الذي بدا على إيلين.

سألها: «بكم أدين لك؟»

«لا شيء. فأنا أظهر الصور بنفسني.»

«هذه بادرة لطيفة منك، أنسة أتكينز.»

91

لم يكن يوم الثلاثاء هو يوم الحظّ بالنسبة إلى فريد هيندين. فقد أدرك ضرورة قطع علاقته مع تينا نهائياً، ما كدّره وشوّش أفكاره. كان في الثامنة والثلاثين وقد عاش الكثير من الفتيات على مرّ السنوات. نصفهنّ على الأقلّ كان ليقبل الإرتباط به.

أدرك أنه عريس تسعى وراءه كلّ فتاة بسنّ الزواج. فهو عامل كادح توصل إلى مستوى لائق في معيشته. لطالما كان إبنًا محبًا، ولسوف يكون زوجًا وأبًا محبًا.

في رصيده المصرفي ثروة كان الناس ليتفاجأوا بها، وإن كان واثقًا من أنّ تينا لطالما قدّرت حجمها الفعلي.

لم يشكّ للحظة في أنه لو اتّصل بجاين أو ليليان أو مارسى، لقبلن دعوته إلى العشاء. لكنّ المشكلة هي أنه وقع في غرام تينا. لطالما عرف أنها مزاجية ومتطلّبة. لكنه، عندما كان يخرج برفقتها، كان يحسّ بنفسه ملكًا. أضف إلى أنّها مسليّة.

عليه نسيانها. فقد كان يمضي النهار مشتتًا ولا يركّز على عمله، بل يُفكّر فيها وفي قطع علاقته بها. حتّى أن ربّ العمل نّبّه بضع مرات قائلاً: «فريد، كُفّ عن أحلام اليقظة. علينا إنجاز العمل.»

مرّة أخرى نظر فريد إلى المنزل في الجانب الآخر من الشارع؛ فلم يبدُ له بمظهره المعتاد. قد يشتريه، لكنّ الأمور ستكون مختلفة. فتينا لن تشاركه إياه.

عليه التحلّي بالإرادة. فهو رجل، وللرجل كرامة وعزّة نفس. من الضروري أن يقطع علاقته بتينا. فقد نشرت الصحف تفاصيل جلسة

الإستجواب، بالكامل: حالة إصبع اليد اليمنى ليفيان؛ خاتم الزمرد المختفي؛ الزيارات التي كانت تينا تقوم بها لكوفي في فلوريدا. حتى أن فريد وقع على إسمه كالصديق الذي اعتادت تينا أن تتركه وترجع إليه متى تشاء، وكخطيبها الحالي. لقد ظهر بمظهر الغبي الأحمق. نعم، عليه إنهاء العلاقة. وسوف يبلغها بذلك، في اليوم التالي، وهو يقلّها إلى المطار. غير أنه تخوّف من رفضها أن تعيد إليه مجوهرات والدته.

عندما وصل في السادسة إلى منزل تينا، لم تكن جاهزة، كالعادة. شغل جهاز التلفزيون ومن ثمّ فتح علبة المجوهرات.

كانت مجوهرات والدته فيها، بالإضافة إلى خاتم الخطوبة الذي قدّمه لتينا منذ أيام قليلة. لقد خدم الخاتم غايتها، وهي على الأرجح متلهفة لنزعه من إصبعها. دسّ المجوهرات في جيبه. لكنه انتبه إلى خاتم وضع تحت أساور تينا وسلاسلها. كان عبارة عن حجر أخضر كبير مع ماسة من كل جانب ومرصّعا بالبلاتينوم.

أمسك به وراح يتفحصه. لم تكن قيمة حجر الزمرد لتخفى على أحد. أدرك فريد أنه يحمل الخاتم الذي أئثرع من إصبع فيفيان كاربنتر.

عندما عادت مينلي إلى المنزل بعد زيارتها دار تويباس نايت، وجدت إيمي جالسة على درج المدخل. قالت لها بنبرة اعتذار: «لا بدّ أنك ظننت أنني نسيتك.»

أجابت إيمي وهي تفكّ هانا من مقعد السيارة: «عرفت أنك لم

تفعلي.»

«إيمي، لقد سمعتك بالأمس تكلمين زوجي عن شريط فيديو بوبي. أخبريني عنه.»

تردّدت إيمي قليلاً ومن ثمّ أخبرتها كيف حصلت عليه.
«أين هو الآن؟»

«في البيت. لقد أخذته في تلك الليلة من منزل إيلين عندما استعرت بعض الافلام. كنت أنوي تسليمه للسيد نيكولز ما إن يعود يوم الخميس.»

«من فضلك، أعطيني إياه صباح الغد.»

«بكل تأكيد.»

92

في اليوم الذي تلى جلسة الإستجواب، قرّر غراهام وأن كاربنتر الذهاب في رحلة. قال غراهام بحزم: «نحن بحاجة إلى الإبتعاد لفترة قصيرة.» وافقته أن قراره، سيّما وأن الاحداث الأخيرة قد أصابتها بانهيار عصبي وباكتئاب. كانت إبتاهما قد حضرتتا هما أيضاً جلسة الاستجواب. قالت لها البنت الكبرى، إيميلي: «أمي، كُفّي عن لوم نفسك. إن فيفي قد احبّتكما أنت وأبي، على طريقتها، وبرأيي لن تُسرّ برؤيتك على هذه الحال. إذهبا في رحلة وابتعدا عن المشاكل. إستمتعي مع أبي، وليعتنِ أحدكما بالآخر.»

مساء الثلاثاء، وبعد أن انصرفت إيميلي وباربارا مع زوجيهما، جلس غراهام وأن على الشرفة يُخططان للرحلة. تحسّنت حالة أن فيما راحا يضحكان ويتذكّران بعض الرحلات التي سبق وقاما بها.

عبر غراهام عن شعوره قائلاً: «لم يكن سهلاً علينا أن نوصف بالوالدين الفاشلين في وسائل الاعلام، فأنا واثق من أن تفاصيل جلسة الاستجواب قد نُشرت كاملة. لكننا أدينا واجبنا وأظن أن فيفيان تعرفه من مكانها، أننا حاولنا إنصافها وسعينا إلى أن تأخذ العدالة مجراها.»

«وأنا أيضاً أصلي لتعرف بآتنا بذلنا ما بوسعنا من أجلها، ليس من شيء يمكننا القيام به بعد اليوم.»

«أنظري إلى جارنا بريس مع كلبه بروتوس.»

راحا يراقبان الجار المسنّ فيما يمرّ بمدخل منزلها ممسكاً برسن كلبه.

قال غراهام: «إنها العاشرة تماماً.»

بعد قليل، مرّت سيارة بمدخل المنزل فقالت آن: «يجدر بريس توخي الحذر والانتباه، فالطريق معتمة.»

إستدارا ودخلا المنزل.

93

دعت مينلي إيمي للبقاء وتناول العشاء معهما. فقد تبينت في الفتاة شيئاً من اليأس والحزن. قالت لها: «أنوي تحضير طبق من السلطة مع الباستا بالصلصة. نرحّب بك معنا على العشاء.»

«بكلّ سرور.»

لقد كانت فتاة لطيفة ومهذّبة ولم تعد صغيرة. فهي توشك على بلوغ الثامنة عشرة من عمرها وتتسم بآتزان وهدوء يضيفان على شخصيتها جاذبية لا يُستهان بها. أضف إلى تحليتها بروح عالية من

المسؤولية. فكرت مينلي في هذا كله، لكنها أدركت أن إيمي لا تحبذ فكرة ارتباط والدها بإيلين.

مع ذلك، لم تنوِ إثارة الموضوع مع الفتاة، بل راحت تسألها عن تحضيراتها لدخول الجامعة.

ردّت إيمي على السؤال بحماسة كبيرة وراحت تعرض خططها: «لقد اتّصلت بشريكتي في الغرفة عبر الهاتف. تبدو لطيفة. إتّفقنا على الستائر والأغطية. سوف تساعدنا والدتها في شرائها. أما أنا فأدفع الحصّة المتوجّبة عليّ.»

«ماذا عن الملابس؟»

«قالت لي إيلين إنها ستقلّني قريبًا إلى بوسطن لنتسوّق معًا. أليس ذلك فظيعة؟»

ردّت عليها مينلي: «إيمي، لا تتشاجري معها. سوف تصبح زوجة والدك.»

«لماذا؟ أنا واثقة من أنّها لا تحبّه.»

«بالطبع تحبّه.»

«مينلي، أقصد، سيدة نيكولز، والذي رجل مملّ.»

ردّت عليها مينلي محتجّة: «إيمي!»

«لا، أنا أعني ما أقوله. إنه لطيف وناجح، لا شكّ في ذلك. لكنّ إيلين ليست مغرمة به. يقدّم إليها الهدايا السخيفة وهي تسخر منه. سوف تُسبّب له التعاسة، وهي تعرف أنني أدرك ذلك، ولهذا السبب لا تطيقني.»

قالت مينلي وهي تهزّ رأسها: «إيمي، أمل ألا تتكلّم هانا عن والدها بهذه الطريقة في يوم من الأيام.»

«أنت تمزحين بلا شك. السيد نيكولز هو من الرجال الذين تسعى معظم النساء وراءهم، وفي طليعة اللائحة إيلاين.»

عندما انصرفت إيمي، جالت مينلي في المنزل وأوصدت الأبواب. أدارت القناة المحلية للأحوال الجوية وعلمت أنّ عاصفة سوف تهبّ على كايب كود في اليوم التالي، في فترة العصر أو بداية المساء. فكّرت في تحضير بعض الشمع وبطارية صغيرة تحسّباً لأي انقطاع في التيار الكهربائي.

رنّ جرس الهاتف فيما كانت تجلس إلى طاولة المكتبة. كانت جان بالي.

بادرتها المتصلة بالقول: «البارحة اتصلت بك ولم أجدك. كنت وأدم في منزل سكوت كوفي. أردتُ إعلامك بأن فيبي أتت مرّة جديدة على ذكر توبياس نايت. مينلي، أظنك محقّة. فهي تحاول أن تقول لنا شيئاً عنه.»

ردّت عليها مينلي: «لقد توقّفت بمنزل إيستهام اليوم بعد أن أقلّيت أدم إلى المطار. أرّنتي موظفة الاستقبال صورته. جان، كلّ شيء في ذلك الرجل يدلّ على تأنّقه وسمعته السيئة. لا اصدّق أنّ ميهيتابيل قد أغرمت برجل مثله. كما علمتُ أنّها كانت حاملاً بشهرها الثالث بطفلة أندرو فريمان عندما فُضح أمرها وصدر بحقّها الحكم.»

تريّثت قليلاً وتابعت: «أظنّ أنني أفكّر بصوت عال. لقد حملت مرتين، ولم يكن واردًا على الاطلاق خلال أشهر الحمل الثلاثة الأولى، في المرّتين، أن أفكّر بأي علاقة غرامية خارج إطار الزواج.»

سألته جان: «فيم تفكّرين؟»

«لقد كان توبياس نايت من قراصنة البحر. إستجوبه البلاط الملكي عن حمولة مركب ثانكفول بالتزامن مع تردّده على منزل ميهيتابيل في أوقات غير ملائمة. لنفترض أنه لم يكن يتردّد عليها؟ لنفترض أنها لم تدرِ قطّ بترده إلى المنزل؟ لو لم يعزو تردّده على المنزل إلى علاقةٍ تربطه بميهيتابيل، لكان الناس بحثوا عن سبب آخر لذلك. ماذا لو يكون قد أخفى بعضًا من حمولة مركب ثانكفول في هذا المنزل بالذات؟»

علّقت جان معترضة: «لا، لا أظنّ ذلك.»

«إنّ مساحة غرف الطابق الاول في هذا المنزل أصغر مما هي عليه في منزل إستمهام. لكنّ المنزلين متشابهان من حيث المساحة. سوف أقوم بحملة بحث في المنزل.»

«برأيي لن تجني منها أي فائدة. فحتى لو كان المنزل يحوي مكانًا للتخزين، على الأرجح أنه قد طُمر واختفى على مدى السنوات المتتتين المنصرمة.»

«هل سمعت أحدًا ما يتحدّث يومًا عن غرفة مخفيّة في هذا المنزل؟»

«لا. رغم أن المتعهد الأخير نقذ الكثير من الاعمال فيه. إنه نيك بين، من أورليانز.»

«هل تمانعين إن اتّصلت به غدًا؟»

«بالطبع لا أمانع. كما يمكنك التجوّل والبحث بحريّة في المنزل. ليلة سعيدة، مينلي.»

عندما وضعت مينلي السّاعة مكانها، إستوت في مقعدها وراحت تتفحص رسوم ميهتابيل وأندرو. لقد بدوا سعيدين على ظهر المركب.

ماتت ميهيتابيل وهي تُقسم ببراءتها. وبعد أسبوع من وفاتها،
أبحر أندرو في خضمّ عاصفة متلهّفاً لاستعادة طفلته وهاتفاً بحبه
لزوجته. فهل عاد واقتنع يا ثرى ببراءة زوجته وشعر بالندم؟
كانت مينلي متأكّدة من أنها على الطريق الصحيح.

جلست إلى المكتب، لكنها لم تكن مهتمّة بمراجعة الملفات.
أرادت مواجهة ما قالته إيمي على العشاء. قد تكون إيلين مخطوبة
لرجل آخر، لكنّها مغرمة بآدم، ولم تنسَ أن شريط الفيديو في منزلها.
فقد تعمّدت الاحتفاظ به، وهي تعرف أننا لا نملك غيره. بمّ قد يُفيدها،
إلا لترى آدم فيه؟

أتراها سوف تستخدمه لغرض آخر؟

عند العاشرة، صعدت مينلي إلى الطابق العلوي، وارتدت
قميص النوم. ثم اتّصلت بآدم في شقتهم في نيويورك.
قال لها: «كنت على وشك الاتصال بك لأتمنى لك ليلة سعيدة.
كيف حال فتاتي؟»

«نحن بخير.» تردّدت مينلي، لكنّها أدركت ضرورة أن تسأله
عمّا يشغل بالها.

«لقد بقيت إيمي لتناول العشاء معي، وأبدت ملاحظة سديدة.
برأيها، فإنّ إيلين مغرمة بك، وأنا أوافقها الرأي.»
«إنه استنتاج سخيف.»

«هل هو كذلك آدم؟ أرجوك، أنت تعرف أنني لم أكن بالزوجة
المثالية بعد وفاة بوبي. الصيف الماضي طلبتُ منك الطلاق، وكنا لنُطلق
لو لم أكتشف حملي بهانا. في تلك الفترة تقرّبت من إيلين، ألم تفعل؟»
«الأمر يرتبط بما تقصدينه بالتقرّب. لطالما كنّا إيلين وأنا
صديقين مقربين منذ الطفولة.»

«آدم، إنَسَ أمر الطفولة. ألم تلجأ إليها من حين لآخر؟ قلت لي إنها ساندتك على أثر وفاة والدك، وعلى مرّ السنوات، عندما لم يكن لديك صديقة حميمة، كنت تراها من وقت لآخر. أليس هذا ما حصل؟»

«مينلي، أنت مخطئة بالتفكير في علاقة جمعتني بإيلين السنة الماضية.»

«هل تجمعك علاقة بها في الوقت الحاضر.»

«يا إلهي، بالطبع لا، مينلي.»

«كان عليّ أن أسأل. ليلة سعيدة، آدم.»

سمع آدم طقطقة سمّاعة الهاتف. عند وصوله إلى الشقة، أدرك ما كان يزعبه. ففي يوم من أيام الشتاء الماضي، إستغلّ غياب مينلي، لي شاهد شريط الفيديو الخاص ببوبي. كان الشريط حيث تركه، في دُرج المكتب. فقد أعاده الصيف الماضي إلى مكانه. لم احتفظت إيلين بنسخة عنه بدون علمه؟

94

صباح الأربعاء، سكب نات فنجان القهوة الثاني ودخل غرفة الجلوس العائلية. جلس يتفحص صورتي ريممير هاوس. كان قد بذل جهداً كبيراً ليخرج الصورة المتلفة من الإطار. ها هي إلى جانب النسخة التي أعطته إياها إيلين.

الآن وقد أخرج الصورة من الاطار، تبين بشكل أوضح التلف الذي لحق بها. لكأنّ التمزقات المتقاطعة قد نتجت عن سكين حادة أو قطعة من الزجاج المكسور. إنتبه إلى فجوة حيث كان المركب.

أما الصورة الثانية فأظهرت لطفة باهتة حيث كان المركب،
لكأنَّ إيلين حاولت إعادة رسم الصورة السلبية، لكنها لم تنجز عملها.
«إلى اللقاء أبي.»

كان ابنا نات، كيفين وداني، وهما في السادسة عشرة والثامنة
عشرة من العمر، واقفين في المدخل، يتسلمان له ابتسامة عريضة.
قال له كيفين: «إذا كنت محتارًا بشأن المنزل الذي تنوي
شراؤه، أبي، فأنا أختار ذلك المنزل إلى اليمين.»
أمّا داني فعلق قائلاً: «أنا واثق من أنّ أحدهم لم تُعجبه الصورة
الثانية.»

ردّ نات: «أوافقك الرأي. لكنّ السؤال يبقى: لِمَ لم تعجبه؟ إلى
اللقاء هذا المساء.»

دخلت ديبى الغرفة بعد دقائق من انصراف الشابين.
سألت زوجها: «ألم تكتشف إلى هذه اللحظة السرّ وراء الصورة؟»
«لا أجد أي مبرر منطقي. أولاً، لا أصدّق أن إيلين قد رأت في
سكوت كوفي زبوناً جدياً. ثانياً، عندما كان يوضّب أمتعته ويُفرغ
المنزل، لماذا لم يترك الصورة فيه؟ لِمَ تكبّد عناء تمزيقها واجتزاء
مشهد المركب؟ ولمَ حاولت إيلين سدّ فراغ المركب في النسخة التي
تحتفظ بها؟ لا بدّ من سبب لهذا كلّه.»

أمسكت ديبى بالصورة الممزّقة وقلبتّها.

«لربّما يجدر بك التحدّث مع الشخص الذي التقط الصورة. أنظر
إلى اسمه، فقد دُمغ على ظهر الصورة. وكذلك رقم هاتفه وعنوانه.»
قال نات: «أعرف اسمه. لقد أعطتني إياه إيلين.»

قلبت ديبى الصورتين مرّة أخرى وحاولت تمليس أطرافهما

المتجعّدة.

«أنظر. لقد ذوّن تاريخ التقاط هذه الصورة ومكانه.» ومن ثم نظرت إلى الأخرى. «في المقابل، لا نجد أي تاريخ ومكان على النسخة التي أعطتك إياها إيلين.»

نظرت إلى التاريخ: 15 يوليو عند الثالثة والنصف من بعد الظهر!

«هل من شيء مُلفت في التاريخ؟»

أجاب نات: «طبعًا. إنه اليوم الذي غرقت فيه فيفيان كاربنتر. لقد اتّصل كوفي بخفر السواحل في تمام الرابعة والنصف.» وقفز نات إلى الهاتف ليجري اتّصالًا.

غير أنّ ملامح الخيبة بدت على وجهه، وهو يستمع إلى رسالة مسجّلة. من ثم أعطى اسمه ورقم هاتف مركز الشرطة وقال: «سيد أور، الأمر طارئ. يجب ان أكلمك في الحال.»

عندما أقفل الخطّ قال لديبي: «لقد خرج أور لتأدية مهمّة وسوف يعود عند الرابعة. لذا، ستبقى هذه المسألة معلقة إلى ذلك الحين. لكنني تذكّرت الآن، ما قالت له لنا مارج عندما أعطتنا الصورة. فقد أكّدت أنّ إيلين تحتفظ بالصورة السلبية. ومن الواضح أنّها عدّلت الصورة السلبية أيضًا. لذا، مستحيل أن نحلّ اللغز!»

95

عندما استفاقت مينلي من النوم في تمام الساعة من صباح الاربعاء، أحسّت ببعض التشنّج والتوتّر. كان النسيم مشبعًا بالرطوبة والغرفة معتمّة. فالنور الذي تسلّل من بين الستائر كان خفيّفًا، وغابت أشعة

الشمس عن عتبات النوافذ.

لقد كانت ليلة هائلة، نامت فيها مينلي قريرة العين. وبما أن غرفة هانا كانت مجاورة لغرفتها، تركت بابي الغرفتين مفتوحان طوال الليل، وأبقت مينلي آلة تسجيل حركات الطفلة على الطاولة بجانبها. عند الثانية سمعتها تتحرك، فقصدت غرفتها للاطمئنان إليها. لكن هانا لم تستيقظ.

كذلك، لم تر مينلي أي أحلام مزعجة ولم تسترجع أي أحداث أليمة. قامت من السرير ومدت يدها تتناول ثوبها. مشت إلى النافذة التي كانت تطل على البحر وفتحت الستائر. كانت المياه رمادية اللون والامواج هادئة إلى حد ما فيما تتكسر على الشاطئ. تسَلَّت أشعة الشمس الهزيلة من بين الغيوم التي طفت فوق المياه.

فكرت مينلي في المشهد: المحيط والسماء واليابسة والفضاء. كم كان المنزل جميلاً ويا للمنظر الخلاب الذي أطلّ عليه. بعد وفاة والدها، عيّنت والدتها لأخيها غرفة النوم الصغرى ونقلت سرير مينلي الكبير إلى غرفتها. وعندما قصد جاك الجامعة، أتى دورها لتحصل على غرفة خاصة بها. فكان أخوها، كلما عاد إلى المنزل، ينام على الكنبه في غرفة الجلوس.

تذكرت مينلي طفولتها والاقوات التي كانت تمضيها في رسم المنازل الجميلة بغرفها الرائعة. لكنّها لم تتخيل يوماً منزلاً يُشبه ريممير هاوس، بموقعه المميّز. لربّما، لهذا السبب، لم يترك فيها المنزل الذي اشترته وآدم في راي، الأثر نفسه الذي تركه هذا المنزل. برأيها فإنّ ريممير هاوس قد يكون منزل الذكريات والمناسبات العزيزة. تقصده لتمضية عطلة عيد الشكر والميلاد، والصيف الذي

لطالما عاش آدم أحداثه السعيدة وهو يكبر. رأت نفسها مع العائلة تمضي فيه عُطْلَ نهاية الاسبوع الطويلة في أي فصل كان من السنة. إنّه يوازن حسنات العيش في مازهاثن، على بعد دقائق قليلة من مكتب آدم.

تساءلت مينلي عن المشاريع التي كانت ميهيتابيل قد وضعتها لحياتها. فقد اعتادت نساء كثيرات الإبحار مع أزواجهنّ في أصقاع العالم واصطحاب أولادهنّ معهنّ. لقد أبحرت ميهيتابيل مع أندرو بعد زواجهما قبل أن تسوء العلاقة بينهما، فهل كانت تنوي الذهاب معه في رحلات أخرى؟

إفترضت أنّ توبياس نايت قد بنى مكانًا للتخزين في هذا المنزل، فاعتبرت زيارته المتكررة منطقية. سوف تكتب القصة إنطلاقًا من هذه الفرضية.

لكنها عادت وتساءلت عن تفكيرها المتواصل بميهيتابيل في ذلك اليوم. ثم أدركت السبب. ففي الاربعاء الثالث من أغسطس، أدينّت ميهيتابيل بجرم الزنى وجُلدت وأعيدت إلى المنزل لتكتشف أنّ زوجها قد هرب بالطفلة. اليوم، كان الاربعاء الثالث من شهر أغسطس. لم تمرّ دقائق قليلة حتّى علا صراخ هانا. فقد استيقظت وهي جائعة. سارعت مينلي إلى غرفة الطفلة وهي تقول: «أنا آتية صغيرتي».

وصلت إيمي عند التاسعة. بدا عليها الحزن والغضب. لكنها ما لبثت أن أخبرت مينلي: «عندما عدت البارحة إلى المنزل، وجدت إيلاين هناك. لمّا كان السيد نيكولز قد سألها عن الشريط الخاص ببوبي، فقد طالبتني بإعادته، علمًا منها أنني قد استعرتّه. رفضت إعطاءها إياه

بحجة أنه لكما، وقد وعدتك بإعادته. ردّت بأنها نسخت الشريط، لأنها خشيت أن يضيّعه السيد نيكولز، لما كان عليه من يأس واضطراب السنة الماضية. كانت تعرف أنك لم تشاهده. «واغرورقت عينا إيمي بالدموع.

«لقد وقف والدي طرفاً مع إيلين. وهو غاضب منّي.»

«إيمي، أسفة لما سببته لك من مشاكل. لكنني لا أصدّق أنّ إيلين

نسخت الشريط مراعاة لي. يسرتني أنك لم تعطها إياه. أين هو الآن؟»

مدّت إيمي يدها إلى داخل حقيبتها وقالت: «ها هو.»

أمسكت مينلي بالشريط لهنيهة ثمّ وضعت على طاولة الطعام.

«سوف أشاهده لاحقاً. أظنّ أنه من الأفضل وضع هانا في العربة

والخروج بها في نزهة قصيرة. فالعاصفة المتوقّعة، ستستمرّ إلى بعد

ظهر الغد.»

بعد ساعة من ذلك، إتصل آدم بمينلي. «كيف الحال، حبيبتي؟»

«بخير. لكنّ الطقس يتغيّر. ثمّة عاصفة متوقّعة.»

«هل أحضرت لك إيمي شريط بوبي؟»

«نعم.»

«وهل شاهدته؟»

«لا آدم، أرجوك ثق بي. سوف أشاهده بعد الظهر مع هانا،

لكنني أعرف أنني سأمالك نفسي.»

عندما أقفلت الخطّ، نظرت إلى شاشة الكمبيوتر. كانت الجملة

الأخيرة التي كتبتها قبل أن يرنّ الهاتف هي: يبدو أنّ ميهيتابيل قد

توسّلت زوجها أن يثق بها ويصدّقها.

عند الحادية عشرة، إتصلت بنيك بين، المتعهد الذي التزم أعمال ترميم المنزل. كان رجلاً ودوداً ومنفتحاً. لم يبخل عليها بأي معلومات طلبتها عن ريمبر هاوس. قال لها: «إنه تحفة بشرية لا تُقدّر بثمن. مُتقن البناء.»

سألته عن معلوماته بشأن غرف مخفية في منازل المستعمرين الأوائل.

قال لها مفسراً: «لقد رأيت عددًا من الغرف الخفية في بعض المنازل القديمة تلك. كان الناس يعلقون أهمية كبيرة على تلك الغرف ويطلقون عليها تسمية «الغرف الهندية»، إحياء لذكرى العائلة التي كانت تلجأ إليها هرباً من الهنود.»

لم تخف على مينلي الحماسة في صوته عندما تابع قائلاً: «ثمة مشكلة وحيدة. لم يكن الهنود في كايب كود عدائيين. لذا، استُخدمت تلك الغرف لحفظ المسروقات عن ظهر المراكب الغارقة، أو الأغراض النفيسة العائدة إلى الأشخاص الذاهبين في رحلة. قولي إنها خزنة.»

سألته مينلي: «برأيك، هل من الممكن أن نجد في ريمبر هاوس غرفة خفية للتخزين؟»

أجابها بين: «الإحتمال وارد. أذكر أنّ واحداً من رجالي الذين عملوا في المنزل قد ذكر لي شيئاً من هذا القبيل. ثمة مساحة مقبولة بين الغرف ووسط المنزل، حيث سُيِّدَت المواقد. لكنّ هذا لا يؤكد إمكانية أن نجد غرفة مخفية هناك. فقد تكون قد طُمرت بحيث لا يبلغها اي إنسان، مهما كان عبقرياً. يمكننا الإنطلاق في بحثنا من المكتب في الردهة حيث كان يقف الواعظ لإلقاء كلمته. ففي بعض

الأحيان، كنا نقع خلف المكتب على لوح خشبي قابل للنقل يُفضي إلى غرفة التخزين.»

لوح خشبي قابل للنقل. ما إن أقفلت مينلي الخط حتى سارعت إلى مكتب الواعظ في الردهة. كان إلى يسار الموقد. فتحتة، فاشتمت رائحة عفونة. فكّرت في ضرورة ترك الباب مفتوحًا وتهوية الغرفة. لكن لا شقوق في قعر الخزانة تشير إلى أي مدخل محتمل لغرفة التخزين. لربّما استطاعا الغوص في استكشاف المكان عندما يشتريان المنزل. فقد اقتنعت مينلي باستحالة أن تقوم في الوقت الحاضر بتكسير الجدران لمتابعة البحث. عادت إلى مكتبها لكنّها أدركت أنها فقدت التركيز على عملها. فقد أرادت مشاهدة شريط الفيديو الخاص ببوبي.

انتظرت إلى ما بعد الغداء، موعد قيلولة هانا. من ثم أخذت الشريط إلى المكتبة. أحسّت بغصة عندما ضغطت على زر التشغيل. في عطلة نهاية الاسبوع تلك، كانا يزوران أحد شركاء آدم في إيست هامبتون. بعد الظهر من يوم الأحد، حضر لو ميلر ومعه آلة تصوير. كان آدم مع بوبي في حوض السباحة. أمّا هي فجلست تتحدّث إلى شيري، زوجة لو.

صوّر لو لقطات عدّة لآدم وهو يعلم بوبي السباحة. لقد كان بوبي يشبه والده إلى حدّ كبير. كان الإثنين يمضيان وقتًا ممتعًا. بعد ذلك، سحب آدم الصغير من حوض السباحة. تذكّرت مينلي كيف أطفأ لو آلة التصوير وقال: «حسنًا، كفانا تصويرًا لدرس السباحة. فلنأخذ بعض اللقطات لبوبي مع مينلي. آدم، ضعه على حافة الحوض. أمّا أنتِ، مينلي، فناديه.»

سمعت مينلي صوتها: «بوبي، تعال إليّ. أريدك معي.»

أريدك معي بوبي.

مسدت مينلي عينيها فيما كانت تشاهد ابنها البالغ من العمر سنتين وقد بسط ذراعيه وركض نحوها وهو يناديها: «ماما، ماما». هو الصوت نفسه الذي سمعته عندما خُيِّل إليها أنّ بوبي يناديها الأسبوع السابق. بدا لها نابضًا بالحياة. لطالما تعجبت وآدم من الطريقة التي كان بوبي يناديها بها.

بهذه الطريقة كان يناديها في تلك الليلة عندما جابت المنزل بحثًا عنه. فهل كان حُلْم يقظة أم مجرد استعادة للذكرى؟ سبق وقالت لها الدكتور كوفمان أنّ الذكريات السعيدة لن تلبث ان تحلّ محلّ المأساوية منها. غير أنّ صغير القطار هو حتمًا استعادة للذكرى الحادث. تابعت مشاهدة شريط الفيديو. رأت بوبي يرتمي بين ذراعيها فتديره صوب الكاميرا. قالت له: «ما اسمك؟»

بدأت بالبكاء فيما قال باعتزاز «إسمي ووبرت آدم نيكو». راحت تذرف الدموع بمرارة. وعندما شارف الشريط على نهايته، مكثت في مكانها لبضع دقائق وقد غطت وجهها بيديها. لكنّ فكرة معزية ما لبثت أن راودتها فخففت من وطأة ألمها: بعد سنتين ستصبح هانا قادرة على الإجابة عن السؤال نفسه. فكيف ستلفظ نيكولز؟

سمعت إيمي تنزل السلالم فنادت بها. دخلت عليها إيمي وقد بدا على وجهها القلق. «هل أنت بخير، سيّدة نيكولز؟»
إنتهبت مينلي إلى آثار الدموع في عينيها. ردّت: «أنا بخير، لكنني أود لو تشاهدين الشريط معي.»

جلست إيمي بالقرب منها فيما أعادت مينلي الشريط إلى بدايته. عندما انتهى سألت مينلي الفتاة: «إيمي، عندما كان بوبي يناديني هل انتبهت للفظه ماما بطريقة مميّزة؟»

إبتسمت إيمي وأجابت: «تقصدين، ما... ما؟ كأنه كان يقول:
ماما تعالي إليّ»

«هذا ما تخيلته. كنت أريد التأكد من أنني لست الوحيدة
التي توصلت إلى هذا الإستنتاج.»

«سيدة نيكولز، هل يستطيع الانسان التعافي يومًا من خسارة
قريب عزيز على قلبه؟»

أدركت مينلي أنّ إيمي تقصد والدتها. فردّت: «لا، لكنّه يتعلّم
مع الوقت أن يكون ممتنًا لأنّه عاش مع ذلك الشخص، ولو لفترة
قصيرة. لطالما قالت لنا والدتي إنّ السنوات الإثنتي عشرة التي قضتها
مع والدي لا تضاهيها سبعون سنة مع غيره.»

ضمّت إيمي إليها وأردفت: «ستشاقين دومًا إلى والدتك بقدر
شوقي إلى بوبي، لكن علينا أن نغذّي هذا الإمتنان الذي يعترينا لكوننا
عشنا معهما لبعض الوقت. يجب أن نحاول.»

بادلتها إيمي بابتسامة شكر وامتنان. مع ذلك، إستوقفت مينلي
حادثة سماعها هدير القطار في المنزل واستغربت أنّ هانا أيضًا قد
سمعت الهدير نفسه. بوبي يناديها، وهدير القطار. ماذا لو لم يكن
الأمر تخيلًا؟

96

أمضى غراهام وأن كاربنتر معظم يوم الأربعاء في توضيب حقائبهما.
عند الثانية، لمح غراهام ساعي البريد وهو يضع لهما الأوراق والرسائل
في الصندوق.

خرج غراهام وألقى نظرة عليه، فتفاجأ برؤية طرد صغير في الزاوية الخلفية منه. كان مغلقاً بورق بني، مربوطاً بشريط وموجهًا إلى أن. لكن، لم يكن عليه أي طابع بريدي أو عنوان. حمله غراهام ودخل به المطبخ حيث كانت آن تتحدث إلى مدبرة المنزل. أخبرهما عن استلام الطرد، وانتبه إلى تعابير القلق على وجه زوجته.

سألها: «هل أفتحه لك؟»

هزت آن رأسها موافقة. راحت تنظر إليه نظرة ترقب وهو يقطع الشريط. أمّا غراهام فتساءل إن كانت تتوقع ما يتوقعه هو. ثمّة ما يدعو للاستغراب في ذلك الطرد المختوم بإحكام.

فتحه فأتسعت عيناه من وهل الصدمة. فقد رأى خاتم الزمرد الاخضر براقاً داخل كيس من البلاستيك.

هتفت مدبرة المنزل: «أليس...؟»

إلتقطت آن الكيس وسحبت الخاتم. صرخت مسعورة: «غراهام، من أين أتى الخاتم؟ من أرسله؟ ألم أقل لك إن أحجار الزمرد تعود دوماً إلى أصحابها؟»

97

كان نات كوغان في سيارته متجهًا إلى أورليانز عندما تلقى اتصالاً في تمام الثالثة والرابع من مكتب المدعي العام. فقد أبلغه أحد مساعدي المدعي بأنّ خاتم الزمرد قد أعيد إلى منزل آل كاربنتر في اليوم السابق، وأنّ جار الزوجين ويدعى بريستون كرينشو، قد انتبه في تمام العاشرة ليلاً إلى سيارة غريبة تبطئ وتتوقف بالقرب من صندوق بريد الزوجين.

قال له مساعد المدعي العام: «لم نتأكد من هوية سائق السيارة، لكن، أيًا يكن، فهو يساعدنا في بحثنا. بحسب الاوصاف التي أعطاها السيد كرينشو، فإنّ السيارة من نوع بلايموث بلون الاخضر الداكن أو الاسود، تحمل لوحة تسجيل من ماساتشوستس، بأرقام 7 و3 أو 8. نحن بصدد التقصي عن الموضوع.»

بلايموث. بلون الاخضر الداكن أو الاسود. أين رأى سياراً مماثلة مؤخرًا؟ ما لبث أن تذكر. لقد رآها مركونة أمام منزل فريد هيندين وعاد ورأى فريد وتينا وهما يستقلانها بعد جلسة الاستجواب. قال لمساعد المدعي العام: «إنّ صديق تينا، فريد هيندين، يقود سيارة بلايموث بلون الاخضر الداكن. تحقّق من لوحة التسجيل العائدة لها.»
 إنتظر قليلًا فأتاه ردّ مساعد المدعي العام، عبر الهاتف، بلهجة المنتصر: «تحمل لوحة التسجيل العائدة لسيارة فريد هيندين رقمي 7 و3. طلب مني الرئيس أن أسألك مرافقتي لإحضاره للاستجواب.»
 «فلنلتق في منزل هيندين في تمام الخامسة. أنا في طريقي لإحراز تقدّم إيجابي في القضية.»

بعد أن استمع المصوّر والتر أور إلى الرسائل المسجّلة، عاود الاتصال بنات. واتفق الرجلان على اللقاء في المكتب في تمام الرابعة. إنتابت نات حماسة لا توصف لتقدّم مجريات القضية. فسلك الطريق المفضي إلى وسط المدينة وما لبث أن بلغ مكتب أور.

كان أور في الثلاثين من العمر، قويّ البنية ومفتول العضلات. عندما وصل نات، وجده يحضّر القهوة. قال لضيفه: «لقد كان يومًا طويلًا. قصدت نيو لندن لتنفيذ جلسة تصوير. صدّقني، كنت متلهفًا للعودة.

فالعاصفة ستضرب المنطقة بعد ساعات قليلة. جُلّ ما أردته هو أن أسبقها في الوصول.»

ناول نات كوبًا وسأله: «هل تريد بعض القهوة؟»

هزّ نات رأسه وأجاب: «لا، شكرًا». أبرز الصورة الممزّقة وسأل

أور: «هل أنت من التقط هذه الصورة؟»

تفحص أور الصورة لهنيهة وأجاب: «نعم. من مزّقها؟»

«هذا جزء من التحريات التي نجريها. عرفت أن إيلين أتكينز

قد استخدمتكم لالتقاط الصورة وأنها تحتفظ بالنسخة السلبية.»

«هذا صحيح. لقد أرادت النسخة السلبية بالتحديد ودفعت

لي مبلغًا إضافيًا لتحصل عليها.»

«حسنًا. فلنلقِ نظرة على هذه الصورة.»

وأبرز نات النسخة التي أعطته إياها إيلين.

«هل تلاحظ الفرق بين الصورتين؟»

«بالتأكيد. لقد اقتطع المركب. من فعل هذا؟ إيلين؟»

«هذا ما قيل لي.»

«حسنًا، الصورة لها، وبرأيي إنها حرة بأن تفعل بها ما تشاء.»

«سبق وقلت لي عبر الهاتف إنك تسجّل على الفيلم التاريخ

والمكان العائدين للصورة التي تلتقطها من الجوّ.»

«هذا صحيح.»

أشار نات إلى الزاوية اليمنى في أسفل الصورة الأصلية. «لقد

سُجّل هنا الجمعة 15 يوليو الساعة الثالثة والنصف عصرًا.»

«والسنة مُسجّلة فوقها.»

«لقد رأيتهما. أفهم أنه التاريخ الدقيق لالتقاط الصورة. هل أنا

محقّ؟»

«إنه كذلك.»

«أودّ الحصول على صورة مكبّرة للمركب المختفي. كم صورة التقطت وهل تحتفظ بأخرى مماثلة؟»

تردّد أور قبل أن يجيب: «إسمع، أتظنّ أن المركب كان ينقل المخدرات أو حمولة غير قانونية؟ هل الأمر هامّ بالنسبة إليك؟»
أجابه نات: «الأمر هامّ بالنسبة لكثيرين.»

زَمّ أور شفّتيه وقال: «أعرف أنّك لا تهتمّ بالتصوير وأنك لست هنا لإبداء إعجابك بصوري. سأفشي لك سرّاً. لقد بعث إيلين فيلم الصور بأكملها. لكنني احتفظت بنسخة سلبية عن هذه اللقطة بالذات. لم أكن لأبيعهما لأي كان، لأنها صورة رائعة. أريد الاحتفاظ بها بمثابة عيّنة عن عملي.»

علّق نات على كلامه قائلاً: «إنه حقّاً لخبر سارّ. هل يمكنك تظهير نسخة أخرى في الحال؟»
«بكلّ تأكيد. أتريدها مثل هذه؟»

«نعم، أريدها مطابقة للصورة الأصليّة، لكن ما يهمني فيها هو المركب.»

«ماذا تريد أن تعرف عنه؟»
«كلّ ما يمكن لمهاراتك أن تظهره لي.»
دوّن بسرعة رقم هاتفه الخلوي على ظهر بطاقته الشخصية وأعطاهها لأور.

«أريدها بأسرع وقت ممكن. سأكون بانتظار اتّصالك.»

98

بعيد الخامسة، اقتيد فريد هيندين من منزله إلى مكتب المدعي العام في دار العدل، حيث ردّ بهدوء ولياقة على الاسئلة التي وجهت إليه. أجاب بأنه لم يلتق قطّ فيفيان كاربنتر وسكوت كوفي، مع أنه رأى هذا الأخير يحوم حول نزل دانيال ويبستر السنة الماضية. لم ينفِ أنّه وتينا اركولي خطيبان.

ردًا على سؤال حول الخاتم، نفى أي معرفة بموضوعه. فهو لم يعد إلى أوسترفيل الليلة السابقة. فقد خرج مع تينا ومن ثم عاد إلى منزله وخذل للنوم.

في خلال جلسة الإستجواب، سمع الكثير عن الخاتم الضائع. حتى أنّ صحيفة كايب كود تايمز قد أوردت في اليوم السابق وصفًا له. لقد كان يساوي ربع مليون دولار. أيًا يكن من يعيده فهو شخص شريف.

قال فريد للتحريين الذين كانوا يستجوبونه: «يجدر بي الإنصراف. سوف أقلّ خطيبتي إلى مطار لوغان. فهي متّجهة إلى دنفر الساعة التاسعة.»

ردّ عليه نات: «أظنّ أن تينا ستفوّت الرحلة. فنحن ننوي إحضارها إلى هنا في الحال.»

لم يخفّ على نات الإحمرار الذي غزا وجه فريد. سوف يحملونه على الإعتراف.

قال فريد بغضب: «تينا تريد زيارة عائلتها وأخيها. لقد عانت الأمرين من هذه القصة.»

قال نات بهدوء: «الكلّ عانى الأمرين منها. أنصحك بألا تهدر ما عندك من تعاطف على تينا، بل حوّله إلى آل كاربنتر.»

رافق نات أحد المحققين من مكتب المدعي العام، إلى منزل تينا. في بداية الأمر، رفضت إدخالهما لكنها عادت وفتحت لهما الباب. دخلا فرأيا الامتعة والحقائب في كلّ مكان. لقد خلت غرفة الجلوس من أي مقتنيات وأغراض شخصيّة. استنتج نات بانها لا تنوي العودة.

قالت لهما تينا بتهجّم: «لا وقت لديّ للتحدّث معكما. أنا مسافرة وسأفوّت موعد الطائرة. أنا بانتظار فريد ليُقلّني إلى المطار.» قال لها نات: «فريد موجود في هذه اللحظة في مكتب المدعي العام، تينا. علينا استجوابه ومن الضروري استجوابك أنت أيضًا. إذا تجاوبت معنا وأدليت بما نتوقّعه من أقوال، قد تسافرين اليوم.» بدت تينا مذهولة. قالت: «لا أعرف السبب وراء استجوابنا، فريد وأنا. مع ذلك، فلننه المسألة بسرعة.»

99

رافقت مينلي إيمي إلى الباب. قالت لها الفتاة: «سوف نقصد أنا ووالدي منزل إيلين للعشاء الليلة. من المفترض أن نناقش علاقتي بها.» سألتها مينلي: «هل تقصدين تحسين العلاقة؟» هزّت إيمي كتفها بلا مبالاة وأجابت: «سوف أبلغها بأنني سأدخل الجامعة بعد بضعة أسابيع، وبأنه، في حال مانعت عودتي إلى

المنزل في العطلة، لا مشكلة لدي. جدّتي ما زالت تعيش في بنسلفانيا،
وتُسّرّ باستضافتي. على الأقلّ، هناك، لن أضطرّ لتحملّ سخرية إيلاين
من والدي.»

فتحت لها مينلي الباب وعلّقت: «في بعض الاحيان، لا بدّ
للامور من أن تسوء كي تتحسن.»

دخلت المنزل عصفه ريح باردة. قالت مينلي: «أنا مسرورة لأنّ
آدم لن يركب الطائرة الليلة.»

بعد انصراف إيمي، أطعمت مينلي الطفلة ومن ثمّ حمّمتها.
جلست تشاهد نشرة أخبار السادسة من بوسطن وهي تضع الطفلة
في حضنها. عند السادسة والرّبع، وردّ خبر عاجل في أسفل الشاشة.
سوف تهبّ العاصفة قرابة السابعة وقد أُطلق تحذير خاصّ لسكّان
كايب كود والجزر المجاورة.

توجّهت مينلي إلى هانا بالقول: «يجدر بنا تحضير بعض الشمع
والبطاريات.» كانت السماء ملبّدة بالغيوم. أمّا الأمواج، فاهتاجت
وراحت تتكسّر على الشاطئ. بدأت قطرات المطر الأولى تضرب
النافذة. تنقلت مينلي بين الغرف تشعل النور.

بدأت هانا تتململ فوضعتها مينلي في المهد ونزلت إلى الطابق
السفلي. في الخارج كانت الريح تزداد سرعة وتردّد صدى صغيرها في
أرجاء المنزل: ريممببببببب...

إتصل آدم عند السابعة إلا ربّعًا.

«مين، لقد ألغى العشاء الذي كنت سأحضره الليلة في الدقيقة
الأخيرة. فاستقلّيت سيارة أجرة إلى المطار علّني ألحق بالرحلة المباشرة.
كانت الطائرة تتأهبّ للإقلاع عندما أبلغنا بإغلاق مطار بارنستايل.

سوف أستقلّ الباص المخصّص للمسافرين إلى بوسطن حيث أستأجر سيّارة. إن شاء الله، أصل إلى المنزل بين التاسعة والنصف والعاشر من هذه الليلة.»

آدم يعود الليلة إلى المنزل!

هتفت مينلي: «هذا رائع! سوف نواجه العاصفة معًا.»

«الآن ودائمًا.»

سألته: «لم يتسنّ لك الوقت لتأكل، أليس كذلك؟»

«لا، لم أفعل.»

«سأنتظرك ونتناول العشاء معًا، على ضوء الشموع، لأسباب

تقنيّة.»

«مين...» وتردّد قبل أن يكمل كلامه.

«لا تخش أن تسألني. نعم أنا بخير.»

«هل شاهدت شريط الفيديو الخاصّ ببوبي؟»

«مرتين. في المرّة الثانية جلست إيمي تشاهده معي. آدم،

أتذكر كيف بدأ ببوبي يلفظ كلمة ماما؟»

«بالطبع أذكر. لماذا السؤال، مين؟»

«لا أعرف.»

«المسافرون يركبون الباص في هذا الوقت. يجدر بي الذهاب.

إلى اللقاء قريبًا.»

أقفل آدم الخطّ وأسرع نحو بوّابة المغادرة. لقد شاهد الشريط

الذي وجدته في مكتبة الشقّة. «ما... ما». لكنّ ببوبي كان ينادي

مينلي لتأتي إليه لوحده. أحسّ آدم بالقلق من خطر داهم وندم لأنه

لم يعد إلى كايب كود قبل إغلاق المطار.

100

حمل نات والمحقق بيل والش حقائب تينا إلى قاعة الاجتماعات. أما هي فجلست إلى الطاولة وراحت تُحدِّق بساعتها. قالت: «إذا لم أغادر هذا المكان بعد نصف ساعة، سأفوت الرحلة. أين فريد؟»

ردّ عليها نات: «إنه في الرواق.»

«ماذا فعل؟»

«لقد أوصلنا إليك. تينا، فلنتحدّث عن خاتم الزمرد الذي اختفى من إصبع فيفيان كاربنتر.»

ضاقت عينا تينا وسألت: «ماذا عنه؟»

«أفهم أنك قد سمعت به.»

«كلّ من يقرأ الصحف، يعرف عنه. عدا ما قيل في جلسة

الإستجواب.»

«بالتالي، أنت تعرفين أنه مميّز لا سبيل للمقارنة بينه وأي خاتم آخر. سأقرأ عليك وصفه كما أوردته شركة التأمين: حجر كولومبي، خمس قيراطات ونصف القيراط، مع قرص كبير من الألماس من كلّ جانب، وكان مرصّعًا بالبلاطين.»

وضع الورقة جانبًا وهزّ رأسه قائلاً: «الآن تفهمين إصرار آل

كاربنتر على استعادته، أليس كذلك؟»

«لا أفهم قصدك.»

«برأي الكثيرين، لقد انزع الخاتم من اصبع فيفيان كاربنتر بعد وفاتها، تينا. إذا صحّ ذلك، فإنّ كلّ من يحتفظ به، إنّما يُعرض نفسه للمشاكل. أقترح أن تفكّري في الأمر لبعض الوقت. سيبقى السيّد والش معك بينما أستجوب فريد.»

تبادل والمحقق نظرة تواطؤ. سوف يُقارَبها والش مقارنة أبوية والأهم من هذا كله أنه لن يتسنى لها، بوجوده، أن تفتش في حقائبها. لم تخفَ على نات علامات التوتّر التي بدت على تينا عندما ذكر موضوع الخاتم.

رفع فريد هيندين عينيه ونظر إلى نات فيما دخل الغرفة.

سأله بهدوء: «هل تينا هنا؟»

ردّ عليه نات بالإيجاب. لقد تعمّد نات والمحقق ترك فريد بمفرده زهاء ساعة من الوقت. سأله نات: «هل ترغب بفنجان من القهوة؟»

«نعم.»

«وأنا أيضًا. لقد كان يومًا طويلًا.»

إرتسم على شفتي فريد ما يُشبه الإبتسامة وقال: «بالفعل، لقد كان كذلك.»

إنتظر نات إحضار القهوة ليميل قليلاً إلى الأمام ويواجه فريد من رجلٍ إلى رجل.

بادره بالقول: «فريد، لستَ من النوع الذي يعير اهتمامًا كبيرًا لمسألة بصمات الأصابع. أظنّ أنّ الطرد هذا يحمل بعضًا من بصماتك، وأنّ أحدهم، وأشدّد على كلمة أحدهم، على متن سيارة بلايموث خضراء داكنة تحمل لوحة تسجيلها الأرقام 7 و3 أو 8، قد وضعه البارحة في صندوق البريد الخاص بآل كاربنتر.»

لم تتبدّل تعابير وجه هيندين.

تابع نات: «تحليلًا لما حدث، أقول إن شخصًا من معارفك كان يحتفظ بالخاتم. وقد رأيت الخاتم في إصبعها، أو على المزينية أو في

علبة المجوهرات في منزلها. وعلى أثر ما سمعته في جلسة الاستجواب وما قرأته في الصحف، اضطربت وقلقت. لربما خشيت أن يرتبط اسم ذلك الشخص بحادثة قد تكون جريمة قتل. فساعدتها على التخلص من الخاتم. أريد رأيك في تحليلي فريد. أليس هذا ما حصل؟»

لزم هيندين الصمت فأضاف نات: «فريد، في حال كانت تينا تحتفظ بالخاتم، فهي قد حنثت باليمين الذي أقسمته في جلسة الإستجواب. ما يعني أنها ستدخل السجن ما لم تتعاون معنا، وهذا ما يجدر بها فعله. إذا كنت تريد مساعدتها، أنصحك بأن تتعاون معنا، لأنك إن فعلت، حذت تينا حذوك».

كان فريد قد طوى يديه وبدا كأنه يتفحصهما. أمّا نات فقراً افكاره. فريد رجل صادق شريف ومحترم. فهو يكسب رزقه من عرق جبينه. كما أدرك نات أنّ فريد ضليع إلى حدّ ما بالمسائل القانونية. بالتالي، فهو يدرك تمامًا أنّ تينا قد تواجه مشكلة كبيرة لنفيها تحت القسم أي علم بمصير خاتم الزمرد. لمّح له نات بأنها قد تتجنب المشاكل إذا ما قرّرت التعاون مع المحققين.

لم يخف على نات الطريقة التي كانت تعتمد عليها تينا في المناورة. فهي ستلعب أوراقها كافة إلى أن تستنفد حججها وترمي السلاح. وهذا ما أمل نات والمحقق إنجازه في تلك الليلة. كان نات متأكدًا من أنّ كوفي سيقع بين أيديهم في نهاية المطاف، لكنّه أراد استعجال ذلك. لم يسعه الانتظار طويلًا ليراه في قفص الإتهام.

قطع فريد صمته وأعلن: «لا أريد لتينا المشاكل، سيّما تلك المتعلقة بذلك المحتال المخادع سكوت كوفي. لقد أخذتُ خاتم

الزمرّد البارحة من علبة المجوهرات العائدة لتينا».

حافظ المحقق بيل والش على رباطة جأشه وهدوءه فيما تهجّمت تينا عليه بقولها: «يُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنِّي فِي المانيا النازيّة».

ردّ عليها والش بلطف: «نُضْطِرُّ فِي بعض الأحيان، وخدمةً للتحريات التي نجريها، لاستجواب الأبرياء. تينا، لا تنفكّين تنظرين إلى أمتعتك. هل من شيء أسحبه لك؟»

«لا. إسمع، إن كان فريد غير قادر على اصطحابي إلى لوغان، سوف أطلب سيارة أجرة، ما سيكلفني الكثير من المال.»

«أنا متأكد من أن رحلتك قد أُلغيت، بسبب الأحوال الجوية الرديئة.»

رفع والش سماعة الهاتف وسألها: «على أي رحلة تسافرين وما هو وقت المغادرة؟»

أصغت تينا إليه فيما كان يؤكّد حجزها. أقفل الخطّ وابتسم ابتسامة عريضة. «لقد تأخر الإقلاع ساعة، تينا. لدينا ما يكفي من الوقت.»

لم تمض بضع دقائق حتّى انضمّ نات إليهما. قال لها: «تينا، سوف أتلو عليك حقوقك.»

بدا على تينا الخوف والذهول وهي تصغي إليه غير مصدّقة. من ثمّ قرأت الورقة ووقّعت عليها. أعلنت: «أنا لم أفعل شيئاً. سوف أقول لك ما أعرفه.»

«تينا، هل تعرفين العقوبة التي تفرضها الولاية على كلّ مَنْ يتسّرّ على مجرم أو يخفي جريمة؟»

«لا أهتمّ لذلك.»

«لم ترفضي خاتماً نفيساً قد يكون انترزع من إصبع ضحية.»
«هذه كذبة.»

«لقد احتفظت بالخاتم. فريد رآه وأعادته إلى آل كاربنتر.»
«ماذا فعل؟» وسارعت إلى الحقائق في الزاوية حيث أمسكت بحقيبة اليد. فتحتها بلمح البصر وسحبت كتاباً من داخلها.
إنه واحدٌ من علب المجوهرات المزيّفة، فكّر نات. راح يراقبها وهي تفتحه وتكتشف أنه فارغ من الداخل. إنته نات إلى شحوب وجهها. تمتت: «الجبان البائس.»
«من هو تينا؟»
مكتبة الرومحي أحمد

«فريد يعرف المكان حيث احتفظ بمجوهراتي. لا بدّ أنّه أخذ...»
«ماذا أخذ تينا؟»

تردّدت برهة وقالت: «المجوهرات والدبوس وساعة اليد وخاتم الخطوبة الذي أهداني إياه.»
«هل هذا كلّ شيء؟ تينا، في حال لم تتعاوني معنا، سنتهمك بالخنث باليمين.»

حدّقت تينا في نات مطولاً. من ثمّ جلست وغطت وجهها بيديه. راحت تدلي بشهادتها.

على أثر وفاة زوجته بتلك الطريقة المأساوية، لجأ سكوت كوفي إليها بحثاً عن العزاء، فتجددت علاقتهما الغرامية. وعندما وجد سكوت خاتم الزمرد بين مجوهرات زوجته أهداها إياه عربون حياتهما المستقبلية. لكن، مع انطلاق الإشاعات المغرضة بحقه، إتفقا على إنكار حيازته الخاتم وعلى أن تستمرّ تينا بمواعدة فريد، إلى أن

تنجلي الأمور.

سألها نات: «هل تنوين اللحاق بسكوت؟»

هزت برأسها وأجابت: «نحن مفرمان. وعندما احتاج إلى مَنْ

يعزيه...»

قاطعها نات: «أعرف... لجأ إليك.»

ترى قبل أن يضيف: «سؤال آخر بدافع الفضول: حصل وقمت

بزيارته أحياناً في ساعة متأخرة من الليل وركنت سيارتك في المرآب

عنده. ألم تفعلني؟»

«لم يكن فريد يبقى لساعة متأخرة في منزلي. لذا، اعتدت من

حين لآخر زيارة سكوت.»

راحت تينا تبكي. لم يكن نات متأكداً من سبب بكائها. لأنها

بدأت تدرك خطورة الأسئلة أم لأنها لم تنجح في الهروب؟

«أين سكوت الآن؟»

«في طريقه إلى كولورادو. سوف يلاقيني هناك في منزل أخي.»

«هل تتوقعين أن يتصل بك قبل بلوغه كولورادو؟»

«لا. لقد ارتأى توخي الحذر والانتظار. كان واثقاً من قدرة آل

كاربنتر على مراقبة هاتف سيارته.»

جلس نات مع عدد من مساعدي المدعي العام يناقشون الشهادة

التي أدلت بها تينا. قال أحد المساعدين: «الآن نملك ما يكفي من

الأدلة لاستدعاء هيئة محلفين، لكنها، في حال أصرت على روايتها

حول كيفية حصولها على الخاتم من سكوت، فستحرمنا من الاستفادة

من أي دليل حسي يوزّطه أكثر من مجرد الكذب بشأن اختفاء الخاتم.»

بدأ هاتف نات الخلوي يرنّ في جيبه. كان والتر أور. سأله
 باعتزاز: «ماذا تريد أن تعرف عن ذلك المركب؟»
 ردّ عليه نات، وهو يحاول كبح استيائه: «ماذا عندك من جديد
 في الموضوع؟»
 «إنه مركب بمحرك صغير، وبطول عشرين قدمًا تقريبًا. على
 ظهره رجل يتشمّس.»
 سأله نات: «هل كان بمفرده؟»
 «نعم. وبالقرب منه بقايا غداء.»
 «هل من اسم للمركب؟»
 أتاه الردّ الذي كان ينتظره.
 قال له أور: «فيفز توي.»

101

حلقت الطائرة فوق مطار لوغان لمدة عشر دقائق قبل أن تهبط أخيرًا.
 غادرها آدم مسرعًا واجتاز راکضًا الممرّ المفضي إلى بوابة الخروج.
 هناك، فوجيء بصفّ طويل من الناس وقفوا ينتظرون عند مكتب
 تأجير السيّارات. انقضت عشر دقائق إضافية قبل أن يحصل على
 الاوراق الضرورية لينطلق بالسيّارة، أو يتّصل بمينلي من جديد ليلبغها
 بأنه في طريقه إلى المنزل.
 أجابته بشيء من الإرتباك. «أنا أحمل بطارية وأحاول إضاءة
 الشموع. لقد انقطع التيار الكهربائي للتوّ. لا، لا تقلق. لقد عاد من
 جديد.»

بعد جهد جهيد، شقّ آدم طريقه بين رتل السيارات ودخل نفق «سامر». كانت الساعة التاسعة إلا ربعاً عندما بلغ الطريق 3 المؤدية إلى كايب كود.

بدت له مينلي هادئة. ماذا لو اتّصل بإيلين وطلب منها أن تذهب وجون للمكوث مع مينلي لحين وصوله؟

لا. كان واثقاً من أن مينلي لن تسامحه على ذلك إن فعل.

تساءل عن الحدس الذي انتابه بحصول أمر فظيع. كان شعور القلق نفسه الذي اعتراه يوم الحادثة. بعد الظهر من ذلك اليوم، كان قد مارس لعبة الغولف وعاد إلى المنزل حيث تلقى إتصلاً من الشرطة. لم ينسَ ذلك الصوت المتعاطف الذي قال له: «سيد نيكولز، آسف لإبلاغك بخبر حزين».

102

بعيد اتّصال آدم من المطار، صعدت مينلي إلى الطابق العلوي للإطمئنان على هانا. وجدتها متململة أرقّة. ما الذي ضايقها يا ترى؟ أسنانها النابتة أم صفير الريح؟ مسدت مينلي الأغطية ولفّت ابنتها بها. سمعت زعيق الريح يتردّد في أرجاء المنزل، لكأنّه صوت أحدهم يصرخ «ريممبببببببب».

كانت واثقة من أنها مجرد تخيّلات. تناهى إلى مسمعها تصفيق مصراع نافذة صادر عن الطابق السفلي. ربّنت على ظهر الطفلة للمرة الأخيرة وسارعت لإغلاق المصراع المفتوح. كانت إحدى نوافد المكتبة. فتحتها وإذ بوابل من المطر يصفعها فيما مدّت يدها وأحكمت إغلاق المصراعين.

فكرت في آدم. لا شك في أنه يواجه صعوبة في القيادة في هذا الطقس العاصف. أرجوك آدم إنتبه. هل سألته الحذر والانتباه؟ أدركت فجأة أنها انشغلت بخوفه عليها لدرجة أنها نسيت أن تبدي اهتمامًا بأمره.

حاولت أن تجلس هادئة، لكنّها لم تستطع التركيز على مشاهدة التلفزيون. لن يصل آدم قبل التاسعة والنصف على الأقل، أي بعد ساعة ونصف الساعة. قرّرت ترتيب الكتب على رفوف المكتبة.

لقد تصفّحتها مينلي منذ أسبوعين، وبدا لها واضحًا أنّ كاري بيل قد نظّفها من الغبار، مذكّك الحين. لكنّها انتبهت إلى أنّ بعضًا من صفحات الأقدم بينها كان ممزّقًا. لا بدّ أنّ أحدًا من مالكي المنزل السابقين قد اهتمّ باقتناء الكتب المستعملة. فالأسعار المكتوبة بالقلم على الغلاف الداخلي لعدد كبير منها كانت أسعارًا زهيدة.

راحت تُقلّب صفحات بعض الكتب فيما ترتّبها. فالقراءة المتقطّعة كانت لتلهيها عن التفكير في الطقس العاصف. لن تلبث أن تصبح التاسعة ويحين وقت البدء بتحضير العشاء. نُشر الكتاب الذي كان بين يديها في العام 1911. هو يروي قصص السفن والمراكب مع صور ورسوم لها. كانت قد قلبت صفحاته بعيد وصولهم إلى المنزل. فيما كانت تغلقه، رأت الرسم المألوف لأندرو وميهيتابيل على ظهر المركب. كُتب عليه: «رسم لفنان مجهول يُظهر قبطان إحدى السفن مع زوجته في أوائل القرن السابع عشر».

أحسّت مينلي بتحرّرها من عبء أثقل كاهلها. لا شك في أنها قد رأت الرسم من قبل ونسخته في اللاوعي. وضعت الكتاب مفتوحًا على مكتبها، تحت الصور التي علّقها على الحائط. خبا الضوء من

جديد وغرقت الغرفة في العتمة. خيل إليها أن أندرو، بتعابيرهِ الحزينة المنهارة التي رسمته بها، يُشبه آدم إلى حدّ ما. لكنّ آدم سيصبح بهذا الشكل قريبًا.

يجب أن تطرد تلك الفكرة السخيفة. دخلت المطبخ حيث أضاءت الشموع كافة في حال انقطع التيار الكهربائي نهائيًا.

103

ترك آدم الطريق 6 باتجاه الطريق 137. بقي أمامه سبعون ميلًا للوصول، أي عشرون دقيقة. شرط أن تستعجل السيارات البطيئة أمامه. لم يجرؤ على التجاوز. ثمّة سيارات كثيرة تأتي في الاتجاه المقابل والطرق مبلّلة بمياه الامطار. لذا خطر الحوادث أكبر وعليه الإنتباه.

سته أميال تفصله عن المنزل. مع ذلك، إنتابه شعور بضرورة الاستعجال. ثمّة أمر طارئ يستدعيه. كان يسير في العتمة الكاملة.

104

أدارت مينلي جهاز الراديو على الإذاعة المحليّة، التي كانت تَبثّ مختاراتٍ من أغاني الأربعينيات. كم كانت دهشتها كبيرة، لِسماعتها أغنية «ريممبِر». مُصادفة غريبةٌ أن تسمع تلك الأغنية بالذات، تزامنًا مع إقامتها في ريممبِر هاوس. أرادت لوهلةٍ تغييرَ الموجة، لكنّها عدلت عن ذلك، وراحت تُقَطع الطماطمَ شرائحَ، لتحضير السلطة. فقد أبلغها آدم، عبر الهاتف، بأنّ الوقت لم يتسنَّ له لتناول الطعام.

من جديد، كانت الرياح تملأ أرجاء المنزل صفيراً. كيف لا، والمنزل جائم على سدّ تتخبّط المياه تحته، قل أنه بوقٌ تنفخ فيه الرياح جام غضبها وجنونها، تصرّخ كمن يُنادي من بعيد مردّداً «ريممير... ريممير...» خصوصيّة انفراد بها ذاك المنزل وأدان لها باسمه، بحسب ما تُخبره الأساطير.

إنتابت مينلي رجفةً، فيما انهمكت في تقطيع الكرفس. لكنّها فكّرت في آدم الذي سوف يصل بين لحظةٍ وأخرى. سيحتسي كأساً من النبيذ، فيما تُعدُّ له طبق الباستا.

فجأة تناهت إلى مسامعها ضجّة. ما مصدرها؟ هل انفتح أحد الأبواب، يا تُرى؟ أو إحدى النوافذ؟ إستشعرت الخطر. أطفأت الراديو. فكّرت، يا إلهي! الطفلة! هل كانت تبكي؟ هل ما سمعته هو بكاء أم صرخةٌ مخنوقة؟ أسرعت مينلي إلى المنضدة، أمسكت بالجهاز اللاسلكي الموصول بغرفة طفلتها، وألصقته بأذنها. لهاثٌ مكبوتٌ ومن بعده لا شيء. كانت الطفلة تختنق.

تركت المطبخ على عجل، اجتازت الردهة وبلغت السلالم. بدت على الأرضيّة الخشبية ظلالٌ رماديّة وبنفسجية، عكستها النافذة الصغيرة فوق باب المدخل.

بالكاد لامست رِجلاها السلالم، فيما ارتقتها مسرعةً إلى الطابق الثاني مروراً بالرواق. بلغت غرفة نوم الطفلة، ووقفت عند بابها. لم تسمع أي صوتٍ من ناحية من السرير. راحت تصرخ « هانا، هانا». كانت الطفلة مُمدّدة على بطنها، بلا حراك. إنحنّت مينلي فوقها مسعورةً، أمسكت بها وأدارتها. يا لهول المنظر، فقد جحظت له عينها. كانت تُمسك بدمية صينيّة قديمة.

عبثًا حاولت مينلي الصراخ، بقِيَ صوتُها مخنوقًا. من الخلف،
أنتها همسةً. كان أحدهم يقول لها «أسفُ مينلي، فقد حُسم الأمر.»

إستدارت تتبيّن مصدر الصوت. كان سكوت كوفي واقفًا بالقرب من
المهد، وهو يحمل مسدّسًا بيده.

المهد. كانت هانا فيه. هانا، وقد بدأت تتململ وتتذمّر. إنتاب
مينلي شعور بالإرتياح تلاه آخر بالخوف والفرع. أحسّت بنفسها تحلم،
لا تعي ما يدور من حولها. سكوت كوفي، هنا في منزلها؟ لماذا؟
سألته بعد جهد: «ماذا تفعل هنا؟ أنا لا أفهم. كيف دخلت
المنزل؟»

كان كوفي، كما اعتادت رؤيته، منتبهًا ولبقًا، يرتدي ثيابًا
رياضيّة. لكنها لم تكن مبلّلة. إستغربت مينلي أنه لم يكن مبلّلاً.
ردّ عليها بلطف: «لا يهمّ كيف دخلت المنزل. المشكلة هي
أنني صرفت وقتًا أطول ممّا توقّعت للوصول، لكن، بما أنّ آدم في
نيويورك لم يعد ذلك مهمًّا.»

آدم. هل تحدّث إلى آدم؟

لكأنه قرأ أفكارها فقال: «عرفت ذلك من إيلين.»

«إيلين؟ أنا لا أفهم.» أحسّت بالأفكار تتسارع في رأسها. ما
الذي يحدث؟ غير معقول. لا بدّ أنّ الأمر كابوس. سكوت كوفي!
لماذا؟ لقد اتّخذه، آدم وهي، صديقًا لهما. حتّى أنّها أصرت على
آدم بضرورة الدفاع عنه. فخلّصه من تهمة القتل. وإيلين؟ ما علاقة
سكوت بإيلين؟ بدا لها الأمر حلمًا.

لكنّ المسدّس بيده كان حقيقة.

بدأت هانا بالتلمل تمهيداً للاستيقاظ. علا صوتها. إنتبهت مينلي إلى الإنزعاج الذي بدا على وجه سكوت. نظر باتجاه الطفلة وحرّك يده التي حمل بها المسدّس. صرخت مينلي: «لا تفعل!» إنحنى فوق المهد ورفعت هانا. فيما ضمّتها إليها إنطفأ النور وخرجت مسرعة من الغرفة.

أسرعت نحو السلالم في العتمة. يجب أن تركّز. كانت تعرف كلّ تفصيل في المنزل. أمّا سكوت فلا. ليتها تصل إلى باب المطبخ قبل أن يجدها. هناك علّقت مفتاح السيارة التي كانت مركونة في الخارج. لم تكن بحاجة سوى لدقيقة واحدة. هبطت الدرجات وهي تصليّ ألا تنكسر تحت قدميها.

لم يكن يلحق بها. لا بدّ أنه في المقلب الآخر من المنزل. لربّما كان يبحث عنها في غرف النوم الأخرى. تضرّعت مينلي لله أن يمنحها تلك الدقيقة لتنجو والطفلة.

لكنّ المنزل سرعان ما اهتزّ على وقع دوّي الرعد فصرخت هانا مذعورة.

هدير القطار، بكاء بوبي وهي تصرخ.

حاولت مينلي طرد الذكرى. سمعت وقع أقدام خلفها. كان سكوت يلحق بها. أحكمت ضمّ هانا إليها وركضت مسرعة عبر الردهة إلى المطبخ. كانت تركض نحو الخارج وتتمنى لو أنها لم تضىء الشموع. فقد كان نورها مبهرًا قويًا. نظرت إلى الورا فرأت كوفي في المدخل. لقد تغيرت تعابير وجهه. ضاقت عيناه وزمّ شفّتيه غضبًا.

لم تكد تضع يدها على مفتاح السيارة حتى أمسك بها وسحبها نحوه بقوة وقسوة. «مينلي، إمّا أنت وإمّا أنت والطفلة. إختاري. ضعيتها في المهد ورافقيني، لأنك، إن لم تفعلي، سيخسر آدم كلتيكما.»

تكلّم بنبرة هادئة متّزنة. لكان الأمر أسهل لو أنّه بدأ متوتراً أو متردّداً. في تلك الحالة، كانت لتقنعه بالمنطق. عبثاً حاولت أن تفهم السبب وراء تصرّفه. لقد كان يعني ما يقوله. عليها أن تبعده عن هانا.

قالت له بيأس واستسلام: «سأضعها في المهد وأرافك.»

أمسكت بشمعة. أحسّت بالمسدّس في ظهرها فيما صعدت إلى الغرفة ومدّدت الطفلة المذعورة في المهد.

قال لها: «مدّديها في السرير الهزاز. أما الدمية، فضعيها في

المهد.»

صرخت: «لماذا؟» قرّرت أن تضيع الوقت وتناقشه. آدم سيصل

بين لحظة وأخرى. آدم، أرجوك، أسرع في الوصول.

«لأنك مجنونة مينلي، لهذا السبب. أنت مجنونة، مُصابة

بالهلوسة وبالإنهيار العصبي. الكلّ، حتّى آدم، سيكون ممتناً لك لأنك

لم تأخذي هانا معك عندما أقدمت على الانتحار.»

«لا. لن أقدم على الإنتحار.»

«إمّا أن تضعي الطفلة في السرير الهزاز وترافقيني وإمّا ان

تأخذيها معك. الخيار لك مينلي. في كلتي الحالتين سننطلق الآن.»

عليها إبعاده عن هانا. في حال كان ينوي اصطحابها في سيارة

فقد تتمكّن من القفز والهرب. قد تُفلت منه، لكن هنا، لن يسعها ذلك.

فهي ستعرّض هانا للخطر. عليها أن تترك هانا في المنزل.

مدّدت مينلي الطفلة في السرير وطمأنتها قليلاً. هزّت السرير

ونظرت إليه قائلة: «سوف أرافك.» حاولت التماسك والتغلّب على

خوفها.

فتح سكوت كوفي شقاً في الحائط وراءه، فانبعثت رائحة عفونة.

أوماً إليها قائلاً: «من هنا مينلي.»

105

فيما كان المطر يضرب الزجاج الأمامي، واصل آدم سيره في الشارع الرئيسي المعتم لتشاتهام. أرغم نفسه على القيادة ببطء، فهو لم يكن يرى أمامه بوضوح. كانت الطريق تنعطف يمينًا. لقد أصبح بمحاذاة المحيط.

تجاوز المنارة. سوف يكون في المنزل بعد خمس دقائق. بلغ التقاطع بين ليتل بيتش وموريس أيلاند. فوجيء بالسيول التي قطعت الطريق.

لم يكن منه إلا أن اجتاز الحاجز بدون تردد. كان يسمع استغاثة مينلي، لكأنها معه في السيارة تناديه.

106

إنتهت مينلي إلى أنّ الفتحة في جدار غرفة الطفلة لم تكن واسعة بما يكفي. مع ذلك، فقد دفعها سكوت لتمرّ عبرها، قائلاً: «هيا مينلي، أدخلي».

سمعت مينلي نقرًا خفيفًا فيما انغلق الباب وراءها وخمد صوت بكاء هانا. كان نور الشمعة المتقطع يُرخي بظلال مجنونة على جدران المساحة الصغيرة الضيقة. نفخ سكوت الشمعة وأمسك ببطارية كان قد رمى بها جانبًا. فأرسل ضوءها يخترق الظلال في تلك الغرفة المزدهمة بالملابس البالية والاثاث المُحطّم.

عقب المكان برائحة العفونة. كانت الرائحة نفسها التي اشتمتها

مرارًا وتكرارًا في غرفة هانا، كما في الطابق السفلي. صرخت قائلة: «لقد دخلت المنزل من قبل. حتى أنك دخلت غرفة الطفلة مرّات عدّة.»
«مينلي لقد أتيتُ إلى المنزل مرّات قليلة. ثمّة سلّم في الزاوية. هيّا، إنزلي درجاته وسوف ألحق بك. لا تحاولي الفرار.»

سارعت إلى الردّ عليه: «لن أفعل.»

حاولت يائسة التفكير بهدوء ورباطة جأش والتغلّب على الشعور بالحلم الذي اعترها. لم يكن يعلم بقدم آدم. فكّرت في احتمال استدراجه بالكلام وإلهائه. لقد كانت أقوى ممّا تعتقد. لربّما تمكّنت من مباغتته وأنتزاع المُسدّس منه.

لكن، هل تستطيع استعماله؟ سوف تفعل. فهي ترفض الموت. تريد العيش مع آدم وهانا. لن تُضَيّع عمرها. فجأة اعترها غضب شديد. نظرت من حولها لاستيعاب ما استطاعت رؤيته في الضوء الخافت. لقد صحّت شكوكها. ثمّة غرفة خفيّة في المنزل. أكثر من غرفة واحدة. فقد انتبهت إلى مكان للتخزين بين الموقدين. تساءلت عن مصدر الخِرَق البالية. هل كانت يا ترى جزءًا من حمولة مركب ثانكفول؟

قرّرت المناورة والإستفادة من الوقت. كانت واثقة من أنّ هانا لم تكفّ عن البكاء. مع ذلك لم تعد تسمعها. لقد كانت الجدران سميقة لدرجة أن أحدًا لن يجدها إذا ماتت بينها.
إذا ماتت هنا.

هل كان كوفي ينوي قتلها؟

سألته: «لن أخرج من هنا على قيد الحياة، أليس كذلك؟»

إبتسم وردّ عليها: «لماذا تعتقدين ذلك؟»

إنتاب مينلي شعور بالكرهية والحقد تجاهه. لقد كان يتلاعب بها.

لكنه أردف قائلاً: «مينلي، آسف بشأن ما يحصل. أنا أفعل ما عليّ فعله.»

أدركت الصدق في نبرة صوته.

«لماذا؟ قل لي لماذا تفعل ما تفعله؟»

ردّ عليها: «أنت حُرّة في تصديقي. لم يكن في نيّتي قتل فيفيان. فقد كانت متيّمّة بي، تُغدق عليّ بالهدايا كلّما أتت إلى فلوريدا. لكنّها لم تعطني فلسًا بعد زواجنا. لم تشاركني أي حساب مصرفي ولم تعطني اموالًا نقدية. كانت تشتري لي كلّ ما أتمنى وأطلب. لكنني كنت أشحذ منها المال.»

هزّ رأسه علامة الجحود وتابع: «في يوم من الايام طلبت منّي التوقيع على مستند أتخلّى فيه عن حقّي في أي من ممتلكاتها في حال لم يدم زواجنا لعشر سنوات على الأقلّ. برأيها، إن فعلتُ، أكون قد أثبتّ لها حبّي المنزّه عن أي مصلحة وكذّبت إشاعات زواجي منها طمعًا بمالها.»

«لهذا السبب قرّرت التخلّص منها؟»

«نعم. تردّدتُ قبل أن أقدم على تلك الخطوة. فهي لم تكن امرأة سيئة لكنها كانت تخدعني وتحتال عليّ.»

«لكن ما علاقتي أنا بالموضوع؟ لقد مددتُ لك يد المساعدة. تعاطفتُ معك. حتّى أنني أصريت على آدم كي يدافع عنك.»

«عليك أن تلومي آدم على غيابه عن المنزل في هذا الوقت.»
«آدم! هل يعرف آدم أنك هنا؟» سألته وهي تعرف الاجابة.

مُستحيل أن يكون آدم عالمًا بوجوده.

«علينا التحرك مينلي. سوف أشرح لك الأمور ببساطة. لطالما كانت إيلين مولعة بآدم. خُيِّل إليها في بعض المرات خلال السنوات المنصرمة أنه قد بدأ يقع في حبها، لكنها بقيت مجرد تخیلات. على أثر ما مرّت به علاقتكما السنة الماضية، ظنّت أنكما قد تنفصلان فيرتمي بين أحضانها. لكنّ آدم ما لبث أن عاد إليك، فاستسلمت وأعلنت الحالة ميئوسًا منها. لكن، عندما اتّصل آدم وسألها استئجار ذلك المنزل في إيستهم، وأدركت حالتك العاطفية والنفسية المتقلّبة، وضعت خطتها وصمّمت على تنفيذها.»

«أنت تقصد القول إنك إنما تفعل ما تفعله من أجل إيلين؟ لماذا سكوت؟ أنا لا أفهم.»

«لا، أفعله من أجلي شخصيًا. لقد تعرّفت إيلين إلى مركبي في تلك الصورة التي التُقطت للمنزل من الجوّ. وانتبهت إلى أنني كنت بمفردي على ظهر المركب في الثالثة والرّبع، ما يُكذّب روايتي بشأن الحادث الذي أودى بحياة فيفيان. كانت مستعدة لاستخدام تلك المعلومة. لذا عقدنا اتّفاقًا: تشهد هي لمصلحتي، في حين أساعدها على التلاعب بأعصابك كي تفقدي صوابك. سبق وأخبرها آدم عمّا كنت تعانينه من انهيار عصبي واسترجاعٍ للذكريات والاحداث الاليمة، فقرّرت أنّ المنزل هذا، بما يضمّه من اساطير وغرف خفيّة، هو المكان المناسب للقضاء عليك. فوضعت الخطّة بكامل تفاصيلها. أما أنا فساعدتها في التنفيذ. أنت بي إلى هنا، أرّنتي أرجاء المنزل وفسّرت لي ما عليّ فعله. حصل ذلك في اليوم الذي دخلت علينا فيه تلك السيدة المخبولة ولحقت بنا إلى هنا. كانت محظوظة بأن زوجها قد وجدها، هناك على شاطئ البحر حيث أخذتها.»

إرتجفت مينلي خوفاً. لربّما اصطحبها هي أيضاً في نزهة على شاطئ البحر. هذا ما كانت فيبي تحاول تحذيرها منه.

قرّرت مجاراته في الحديث وانتزاع أقواله.

سألته: «ماذا عن الخاتم؟ خاتم الزمرد؟ أين هو؟»

إبتسم وردّ عليها: «تينا. إنها فتاة مثيرة. لقد أعطيتها الخاتم. ففي حال وصل الأمر إلى إدانتني، تورّطت هي أيضاً واعتبرها القضاء شريكة في الجريمة. لذا، يجدر بها التكتّم عن الموضوع. إيلين وأنا ثنائي ناجح. نتحلى بطريقة التفكير ذاتها. كانت تتردّد إلى هنا من حين لآخر. هي من سجّلت صوت ابنك وأعادت بثّ التسجيل بالتزامن مع هدير القطار ليلاً. كان لي أيضاً دورٌ من خلال إطلاق الإشاعات في تشاتهم حول اقترابك من الانهيار العصبي».

فكرت مينلي مسعورة: «أين آدم؟ هل سيسمعها عندما يصل؟

لا. رأّت كوفي وهو ينظر إلى السّلم.»

قال لها: «هيا مينلي، لنتحرّك. الآن تعرفين كلّ شيء.»

لوّح لها بالمسدّس، بينما حاولت اللحاق بضوء البطارية، فشقت طريقها بصعوبة على الأرضيّة غير المستوية. تعثّرت فيما بلغت الفجوة التي رأّت منها اعلى السّلم. أمسك بها كوفي قبل أن تقع.

قال لها: «لا نريد أن تظهر عليك أي علامات. يكفيننا ما وجدناه

من صعوبة لتبرير الكدمة على إصبع فيفيان.»

كان خشب السّلم قاسياً صلّباً فجرحت راحة يدها بكسرة منه. تحسّست الدرجات برجليها وهبطتها بحذر. فكرت في القفز درجة إضافية لتهرب منه. لا، لم تكن بالفكرة الصائبة. فهي، إن أصيبت بالتواء في الكاحل، عجزت كلياً عن التحرك. قرّرت التروّي.

بلغت الأرض. كانت مساحة الغرفة أكبر ممّا هي عليه في الطابق العلوي. إنتبهت إلى بعض الركّام الذي تشتت هنا وهناك. أما كوفي فكان خلفها. هبط الدرجة الأخيرة وبادرها قائلاً: «أنظري إلى هذه». وصوّب ضوء البطارية إلى كومة من الخرق. ثمّ رفسها برجله. «ثمّة عظام تحت هذه الكومة. وجدتها إيلين يوم أرّنتي المكان. لقد دُفن أحدهم هنا منذ وقت طويل. ارتأينا، إيلين وأنا، أن نتركك هنا مينلي. لكنّ إيلين تخوّفت من أن يمضي آدم حياته على أمل رجوعك، إذا ما اختفيت فجأة.»

أحسّت للحظة بالأمل من نجاتها. لن يقتلها ههنا. في الخارج قد تحظى بفرصة للإفلات منه. دفعها لتمشي أمامه. أما هي فنظرت إلى العظام وراءها. بحسب فيبي، لقد كان توبياس نايت مدفوناً في هذا المنزل. هل قصدت المكان هذا؟

«من هنا.» كان كوفي يحمل البطارية ويصوّبها نحو فتحة في الأرض. أحسّت مينلي بالرطوبة المنبعثة من تحتها.

قال لها: «إنزلي من هذه الفتحة ببطء. لا يوجد سلّم.» إنتظر نزولها لينسلّ وراءها بحذر ويغلق الباب المسحور والفتحة. «قفي هناك.»

أدركت مينلي أنّهما في منطقة تخزين ضيّقة في الطابق السفلي. راح كوفي يُقرب ضوء البطارية ويبعده. تبيّنت مينلي مُشمّعا عريضاً أصفر اللون ممدوداً على الأرض حيث حطّ من خلال الفجوة، وإلى زوج أحذية بالقرب منه. لا بدّ أنّه دخل المنزل من تلك الناحية، ما يُفسّر لمّ لم يكن مبللاً.

التقط كوفي المشمّع برشاقة ولفّ زوج الأحذية به وتأبّط الكلّ.

تبينت مينلي تغيراً في تصرفه. لقد كان مصمماً على إنهاء الموضوع. دفعها باتجاه الباب العريض للطابق السفلي وفتحها. قال لها: «سوف يظن الجميع أنك خرجت من هنا. ما يظهر كيمظهر المجنونة.» سوف يظن الجميع أنها تركت الطفلة لوحدها وهامت على وجهها في العاصفة. أين كانت سيارة كوفي؟ لربما سيأخذها إلى مكان بعيد. فتسنى لها الفرصة لتقفز من السيارة أو لتفتعل حادث ارتطام. إلتفتت باتجاه الطريق لكنه امسك بذراعها وشدها قائلاً: «من هنا مينلي.»

كانا يتجهان إلى شاطئ البحر. أدركت أنه ينوي إغراقها. قال لها: «مهلاً مينلي. أعطيني كنزتك. ففي حال لم تظهر جثتك، سوف يعرف الجميع على الأقل ما حصل لك.»

كان المطر ينهمر بغزارة والريح تعبث بثيابها، بينما ينسدل شعرها المبلل على وجهها مغطياً عينيها. حاولت رده إلى الوراء. توقّف سكوت وأفلت يدها اليمنى. أمرها قائلاً: «أمسكي بذراعي مينلي.» أذعنت له. وبحركة سريعة، سحب كنزتها من رأسها ومعها اليد اليسرى ومن ثم اليمنى. رمى بالكنزة أرضاً، أمسك بذراعها وجرها على طول الطريق المؤدي إلى الجرف ومن ثم إلى البحر. مع هطول الأمطار بغزارة، لن يبقى اي أثر لقدميها في اليوم التالي.

فكرت مينلي في أنهم سيعثرون على كنزتها ويفترضون أنها أقدمت على الانتحار. هل سيلفظ البحر جثتها كما حصل مع فيفيان؟ كم كانت بحاجة إلى آدم في تلك اللحظة!

كانت الأمواج تتكسر على الشاطئ. سوف يسحبها التيار فتغرق، بدون أي فرصة لنجاتها. تعثرت، فيما كان يجرها. حاولت التباطؤ لكنها لم تتمكن من الإفلات من قبضته.

ضربتُهما العاصفة بقوة عندما بلغا المكان حيث جلست مع آدم والطفلة في اليوم السابق. هالها منظر الأمواج وهي تتحطم مجنونةً على الشاطئ. بادرها سكوت بالقول: «أسف مينلي. لكن الموت غرقاً ليس بالأمر الصعب. لم يلزم فيفيان أكثر من دقيقة للغرق. لذا، أنصحك بالإسترخاء. سوف ينتهي كل شيء قريباً.» دفعها إلى المياه وانحنى قليلاً وهو يُمسك بها تتخبط في الأمواج الغاضبة.

107

تبين آدم وميض الشمعة المتقطع فيما سارع إلى دخول المطبخ. لم يجد أحداً فأمسك ببطارية وارتقى السلالم بسرعة البرق. صرخ فيما دخل غرفة الطفلة: «مينلي! مينلي!»

«يا إلهي!» لقد طالعه وجه الدمية القديمة.

ما لبث أن سمع نحيباً. إستدار ووجّه ضوء البطارية في أنحاء الغرفة إلى أن وجد السرير الصغير الذي كان يهتزّ برفق. لقد كانت هانا فيه! شكراً لله. هانا بخير

لكن ماذا عن مينلي؟

خرج من غرفة الطفلة وتوجّه نحو غرفة نومهما. كانت خالية.

هبط السلالم وراح يجوب الغرف غرفة غرفة. لا أثر لمينلي!

لم تكن مينلي لتترك هانا وحيدة في المنزل. أبداً. لكنها قد

اختفت.

ما الذي حصل؟ هل سمعت صوت بوبي من جديد؟ لقد أخطأ

في جلب شريط الفيديو لتشاهده. لم يكن يجدر به تركها بمفردها.

في الخارج! لا بدّ أنّها خرجت من المنزل! سارع آدم مسعوراً إلى باب المدخل وفتحته. إنهمر عليه المطر غزيراً فيما خرج وراح يناديها. «مينلي! مينلي! أين أنت؟»

إجتاز عشب الحديقة وسلك الطريق المؤدي إلى الشاطئ. إنزلت رجله على العشب المبلّل فوق أرضاً. أفلتت البطارية من بين يديه واختفت وراء حافة الحديقة.

شاطئ البحر! لم تكن لتقصده. مع ذلك، عليه أن يبحث عنها هناك. لا بدّ أنّها هناك.

صرخ من جديد: «مينلي! مينلي، أين أنت؟»

وصل إلى الطريق المؤدي إلى الشاطئ ونزله. تحته، كانت الامواج تهدر بغضب فيما العتمة مسيطرة. فجأة أضاء وميض بطارية المحيط الهائج. فرأها، رأى جثتها تطفو على موجة ضخمة.

108

أرغمت مينلي نفسها على التماسك والتغلّب على الذعر الذي اعتراها. توقفت هنيهة عن التنفّس إلى أن أحسّت برئيتها تنفجران. وأرغمت جسدها على أن يلين ولا يفضح محاولاتها للصراع. كانت المياه تغمرهما، هي وكوفي، فيما يشدّ عليها بيديه ويدفعها إلى الأسفل. لكنه ما لبث أن أفلتها. أدارت رأسها بسرعة وراحت تتنشق الهواء. لماذا أفلتها؟ هل ظنّها ميتة؟ هل ما زال إلى جانبها؟

فجأة أتاها الجواب. آدم! لقد سمعت آدم يناديها. ينادي اسمها! بدأت تسبح بالتزامن مع تكسر موجة عليها. وأحسّت بالتيار

القوي يسحبها. راحت تصلي ألا تغرق. حاولت التغلب عليه. لكنّ الأمواج العملاقة كانت في كلّ مكان، تسحبها إلى قعر الماء وتدفعها إلى الأمام. أرغمت نفسها على التوقف عن التنفس وحاولت بكلّ قواها أن تطفو على السطح. أملها الوحيد في النجاة كان وصول موجة مُزيدة تحملها إلى اليابسة.

ابتلعت المزيد من المياه ومن ثمّ حرّكت ذراعيها وساقها. لا يجب ان تستسلم للذعر. عليها دخول الموجة.

فجأة أحسّت بقوة وراءها ترفع جسدها إلى سطح المياه. إنه الوقت المناسب! يجب ان تسبح وتقاوم! لا يجب أن تسحبها الموجة إلى الأسفل.

ما هي إلا لحظات حتّى أضاء نور قوي كلّ شيء من حولها: البحر والجُرف. إنه آدم! لقد رأت آدم ينزل الطريق المؤدي إليها. فيما قصف الرعد من حولها، رمت بنفسها في الموجة وسبحت إلى الشاطئ، نحو آدم.

كان على بعد مسافة قصيرة عنها عندما أحسّت بقوة التيار تسحبها إلى الورا.

ما لبث أن أصبح إلى جانبها وقد طوّقها بذراعه وسحبها إلى الشاطئ.

109

ودّعت إيمي ووالدها إيلين عند الحادية عشرة. لم تكن أجواء الجلسة هادئة وممتعة. فقد أعادت إيلين على مسمع إيمي ضرورة الإمتناع

عن أخذ الأشياء وإعطائها لشخص آخر من دون الحصول على إذن صاحبها. وافق والدها إيلين الرأي، لكنّه ما لبث أن انزعج من تكرارها الموضوع فعلق قائلاً: «أظنّ أننا استفضنا في الكلام عن الموضوع، كفى حديثاً عنه، إيلين».

جلسوا يتناولون العشاء في ساعة متأخرة بسبب انقطاع التيار الكهربائي المتكرر، ما أحرّ نضوج اللحم. وفيما كانوا يتناولون التحلية أثارت إيلين موضوع مينلي نيكولز من جديد.

«يجب ان تتفهّما قلق آدم على مينلي. فهي تعاني حالة من الإنهيار العصبي. لا بدّ أنّ مشاهدة الشريط حيث يظهر ابنها قد تصيبها بالحزن والأسى، سيّما وأنّها في المنزل وحيدة لليلتين؛ وهذا ما يقضّ مضجع آدم».

قالت إيمي: «لا أظنّها مصابة بانهيار عصبي. كانت حزينة عندما شاهدت شريط الفيديو، لكننا تحدّثنا معاً عن الموضوع. برأي السيدة نيكولز، على المرء أن يكون ممتناً لأنه حظي بفرصة أن يحبّ شخصاً رائعاً، حتى لو لم يبق معه لوقت طويل. فوالدتها لطالما ردّدت أن اثنتي عشرة سنة من الزواج أمضتها مع والدها خير من سبعين سنة كانت لتمضيها مع غيره.»

من ثمّ نظرت إيمي إلى والدها وأضافت: «وأنا أوافقها الرأي». أحسّت بشيء من الارتياح والرضى للتورّد الذي بدا على وجه والدها. لقد ضايقها تأييده موقف إيلين بشأن الشريط. لكنّها ستغيّر طريقة تعاملها معهما اعتباراً من تلك اللحظة.

ما لبثت إيلين أن فجّرت قنبلة موقوتة، عندما قالت: «جون، لقد كنت أفكّر في تأجيل الزفاف لبعض الوقت. همّي أن يتمّ في أجواء

إيجابية فرحة، ولن يكون ذلك ممكنًا فيما تشعر إيمي بالأسى». كم كانت خبيثة. فكرة راودت إيمي التي كانت واثقة من أن إيلين لا تهتمّ البتّة بمشاعرها وأن قرارها تأجيل الزواج يعود إلى سبب آخر. تدخلت وقالت: «إيلين، سوف أرتاد الجامعة بعد أسابيع قليلة وأبدأ حياتي كبالغة. أنت من ستتزوج والدي. من ناحيتي، همّي الوحيد هو أن يكون والدي سعيدًا، وذلك يجب أن يكون همك أنت أيضًا».

فجرت إيلين قنبلتها فيما كانا يهتمان بالمغادرة. لفت إيمي الردّ النبيل لوالدها: «إيلين، إنها مسألة نناقشها، نحن الإثنين، في وقت لاحق. سوف أتصل بك في الغد».

عندما فتحت إيلين باب المدخل، طالعتهم سيطرة شرطة تدخل الممرّ المؤدي إلى المنزل. تساءلت إيلين: «ما الأمر يا ترى؟» شعرت إيمي بما يُشبهه الخوف في صوت إيلين.

ترجّل نات كوغان من سيارة الشرطة وتوقف هنيهة ينظر إلى إيلين فيما وقفت عند الباب. كان قد عاد للتوّ إلى المنزل عندما أتاه اتصال من مركز الشرطة. أُبلغ بأنّ سكوت كوفي قد قصد موريس أيلاند وحاول قتل زوجة آدم نيكولز. لكنه لاذ بالفرار لدى ظهور آدم وتمّ توقيفه على الطريق 6.

في تلك اللحظة شعر نات بمتعة كبيرة لتوقيف إيلين أتكينز. تجاهل المطر وتوجّه إلى المنزل. ارتقى الدرجات المؤدية إلى المنزل. قال لها: «آنسة أتكينز، أحمل مذكرة بتوقيفك. سوف أتلو عليك حقوقك ومن ثمّ أطلب منك مرافقتي.»

وقفت إيمي ووالدها يحدّقان في إيلين التي شحب وجهها.
ردّت على كوغان: «هذا سخيف!»
كانت غاضبة مصدومة.

أشار نات بإصبعه إلى سيارة الشرطة. «سكوت كوفي في تلك
السيارة. لقد أوقفناه. لقد أخبر مينلي القصة كلّها عن الصفقة التي
عقدتها معه، وعن إصرارك على التخلّص منها للإحتفاظ بآدم. أنت
محظوظة لأنه لم ينجح في إغراقها. فالتهمة التي ستوجّه إليك تقتصر
على محاولة القتل. إلا أنك، رغم ذلك، ستحتاجين إلى محام بارع،
وبرأيي، لم يعد بإمكانك الإعتماد على آدم نيكولز».

قال جون نيلسون لاهثًا: «إيلين، ماذا يجري؟ عمّ يتكلّم؟ نات،
أنت...»

ردّت عليه إيلين بحدّة: «إخرس جون». ورمقته بنظرة احتقار.
ساد صمت طويل فيما راح كلّ منهما يحدّق بالآخر. ثمّ أحسّت
إيمي بوالدها يمسك بيدها ويقول: «هيا حبيبتي. مرّ على وجودنا هنا
وقت طويل. فلنعد إلى المنزل».

للمزيد والجديد من الكتب والروايات زوروا صفحتنا على فيسبوك

110

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf .. تيليغرام

عندما استيقظت مينلي من النوم صباح الخميس، كانت أشعة
الشمس ترقص على عتبة النافذة متسلّلة إلى أرض الغرفة. كان ذهنها
مليئًا بذكريات اليوم السابق، لكنها سرعان ما انتقلت منها إلى اللحظة
التي أدركت فيها أنّها بأمان، حين بلغا المنزل فسارع آدم للإتصال
بالشرطة بينما هرعت هي للإطمئنان على هانا.

بعد انصراف رجال الشرطة، تناوبا على حمل هانا. لقد أخذ منهما الإرهاق كلّ مأخذ فلم يفكّرا في تناول الطعام. عوضاً عن ذلك، حملا السرير الهزاز إلى غرفتهما. سوف تبقى هانا معهما، إلى أن تُنظف منطقة التخزين وتُغلق بشكل دائم.

نظرت مينلي من حولها. كان آدم وهانا مستغرقين في النوم. لم يسعها أن تصدّق أنها معهما، وأن مكروها لم يصبها وأنها قوّة. فكّرت في أنها محظوظة كونها حظيت بفرصة مواصلة حياتها، على عكس أندرو وميهيتابيل.

كان رجال الشرطة قد عابنوا منطقة التخزين في الليلة السابقة، وابلغوها بأنهم قد يعودون للتصوير بحثاً عن أدلّة. كما أنهم عابنوا الهيكل العظمي. كانت الحلي الفضية الموجودة بين العظام تحمل حرفي ت. ن، أي توبياس نايت.

لدى معاينة الجمجمة، إكتشفت الشرطة فجوة في أحد جوانبها لكأنّها فُجرت. بحسب تحليل مينلي، لا بدّ أنّ الكابتن فريمان قد فاجأ توبياس في هذا المنزل وعلم بسبب زيارته الليلية، فأجهز عليه. من ثمّ ترك الجثة مع الحمولة المسروقة. لا بدّ أنّه أدرك براءة زوجته. فهو كان في حالة نفسية صعبة عندما أبحر في العاصفة.

أيقنت مينلي أنها فيبي كانتا محقّتين بشأن براءة ميهيتابيل. لقد ماتت وهي تنادي بذلك وتطالب باستعادة طفلتها. قرّرت مينلي أن تُدرج إسم فيبي في سردها قصّة ميهيتابيل. كم تتوق لسرد تلك القصّة!

أحسّت بذراع آدم تلقّها. أدارها نحوه وقال: «هل ذكرت لك البارحة بانك سباحة رائعة؟ يا إلهي، لقد كنت متبلّداً أحمر وكدتِ تموتين بسببي. لا أتحمّل مجرد التفكير في ذلك.»

وضعت أصابعها على شفتيه. «لا تقل هذا. عندما أخبرتني
 بخلوّ شريط الفيديو من أي صفيح للقطار، بدأت أرتاب. لكنك لم تكن
 لتعرف ماذا أسمع، لذا لا ألومك إن اعتبرتني مجنونة.»
 بدأت هانا بالتململ. إقتربت مينلي من المهد وحملتها.
 وضعتها بينهما في السرير الكبير. سألتها: «ليلة ليلاء، أتوافقيني
 الرأي صغيرتي؟»

إتصل نات كوغان فيما كانا ينهيان وجبة الفطور. «لا أحب
 إزعاج الناس. لكننا نجد صعوبة في إبعاد وسائل الإعلام. هل توافقان
 على التحدّث إلى الإعلام عندما ننتهي من التحقيق؟»
 ردّ عليه آدم: «يجدر بنا القيام بذلك. أبلغ الصحفيين بأننا
 سنرتاح لوقت قصير ومن ثمّ نقابلهم عند الثانية.»

غير أنّ الهاتف عاد ورنّ بعد لحظات قليلة. كان الاتصال
 من إحدى المحطات التلفزيونية التي طلبت من الزوجين موعدًا
 لمقابلتهما. تلت الاتصال اتّصالات كثيرة أخرى، لدرجة أنّهما اضطرّا
 لفصل الهاتف، ووصلاه فقط ما يكفي من الوقت لتتصل مينلي بكلّ من
 جان بالي والزوجين سبراغ وإيمي.

عندما أفضلت الخطّ بعد اتّصالها الأخير، كانت مينلي تبسّم.
 قالت لآدم: «بدت لي إيمي شخصًا مختلفًا. لطالما أدركت خبث
 إيلين وخداعها. وها والدها اليوم يُثني على حدسها الصائب، وقد
 حدوت حدوه.»

قال آدم بهدوء: «يا لمكرها وخداعها الخطيرين.»

«لقد عرضت إيمي البقاء مع هانا مساء الغد، بدون أي مقابل.

فوالدها ينوي أن يسدّد لها ثمن السيارة كاملًا.»

«شخصيًا أقبل عرضها وأرحّب به. كيف حال فيبي؟»

«أبلغها هنري بأننا بخير وعبر لها عن فخره بها لأنها حاولت تحذيرنا. هو واثق من أنها فهمت القليل ممّا كان يقوله.»
 توقفت مينلي عن الكلام قليلاً وتابعت: «أنا آسفة بشأنهما.»
 «أعرف.» وضمتها آدم إليه.
 «جان آتية. أبلغتني بأنها ستحضر لنا الغداء والبريد.»

عندما وصل رجال الشرطة لتصوير الغرفة الخفية أخذ آدم ومينلي الكراسي وعربة هانا إلى الجرف. كانت المياه هادئة والامواج اللطيفة تتكسر على الشاطئ الذي لم تبدُ عليه آثار العاصفة. أدركت مينلي أنها، إن حلمت يوماً بتلك الليلة المشؤومة، سينتهي الحلم بيد آدم تطبق على يدها.

نظرت إلى المنزل وإلى ممشى الأرملة. كان المعدن على الموقد يلمع وتتراقص عليه أشعة الشمس المتسللة عبر الغيوم القليلة التي غطت السماء. تساءلت: «هل توهمت إيمي في ذلك اليوم رؤيتي؟»
 سألتها آدم: «بم تفكرين؟»

«عندما سأكتب قصة ميهيتابيل سأقول إنها كانت موجودة في المنزل تنتظر إثبات براءتها وعودة طفلتها.»
 سألتها آدم: «لنفترض أنها ما زالت موجودة في المنزل، فهل سترغبين في العيش فيه؟»

«ليتها ما زالت موجودة. سوف نشترى المنزل، أليس كذلك؟ لا شك في أنّ هانا ستجد متعة كبيرة في تمضية الصيف هنا كما اعتدت أن تفعل. وأنا أحبّ هذا المنزل. إنه المكان الأول الذي راودني فيه الشعور بأنني في منزلي.»
 «سوف نشتره بالتأكيد.»

عند الظهر، وبعد دقائق قليلة من انصراف مصوري الشرطة، وصلت جان. «البريد الوحيد الذي استلمته كان رسالة من إيرلندا». سارعت مينلي إلى فتحها.

«إنها من فيليس. لقد قامت بأبحاث جدية عن آل ماك كارثي». حوت الرسالة مجموعة من سجلات النسب وشهادات الميلاد والوفاة، بالإضافة إلى قصاصات من بعض الصحف وبعض الصور القديمة. قال آدم لمينلي: «لقد أوقعتِ مذكرة بخط يدها». رفع المذكرة عن الأرض وأعطها إياها. كان نصها:

عزيزتي مينلي،

أنا متحمسة وأتمنى لو أراك في الحال. لقد عدتُ بجذور عائلتك إلى الوراثة، إلى الأولى التي حملت اسم مينلي. إنها قصة رائعة. لقد ربّاهَا أنساب والدها، آل لونغفورد، من كونيمارا. مكان ولادتها مجهول لكن التاريخ معروف: العام 1705. في سنّ السابعة عشرة إقترنت بسكواير أدريان ماك كارثي من غالواي وأنجبا أربعة أولاد. يمكنك إلى اليوم رؤية قسم من القصر حيث كانوا يعيشون. فهو يُطلّ على المحيط.

لقد كانت آية في الجمال (أنظري إلى صورة لها ضمناً)، وقد انتبهتُ لشبه بينكما.

لكن إليك ما هو الأهم من كل ذلك، وما سيكون مفيداً لها في حال قررت أن إسمك يعجبها أكثر من إسمها ولكنها في الوقت نفسه لا تريد أن يُطلق عليها إسم «مينلي الصغيرة»: إن إسمك الغريب يعود إلى كون جدتك لم تقدر في طفولتها أن تلفظ اسمها الحقيقي، فسَمّت نفسها مينلي.

أما الإسم الذي أُطلق عليها عند ولادتها، فكان ريممبر...

مكتبة الرمحي أحمد

@ktabpdf .. تيليغرام

ماري هيغينز كلارك — ملكة التشويق وواحدة من أعز الكتب الأوبركيتين إنتاجاً. أصدرت حتى الآن 43 رواية من أكثر الكتب رواجاً، وبيع منها في الولايات المتحدة وحدها أكثر من 100 مليون نسخة. تُسم كتاباتها، التي اقتبست للعديد من الأفلام السينمائية والتلفزيونية، بأسلوبٍ مميّز يذكّر بكتابات أغانا كريستي التي تتقن التشويق من دون الانزلاق في الابتذال.

تُكمن موهبة كلارك في قدرتها على مداعبة حالات

الخوف والغيرة العادية فيما تنسج خيوط الشز الأعظم

— ديترويت فري برس

تذكرني — يلف ذلك البيت الهادئ عند الجرف صمّت غامض. هدوء لا تُقلقه سوى بعض الرؤى من زمن غابر، وبعض أصوات الأرواح التائهة منذ عشرات السنين. تراها مينلي وتسمعها، أو إنها تعتقد ذلك. فهل تكون ما زالت تحت تأثير الاثنيار العصبي الذي اتابها بعد فاجعة موت ابنها في حادث سيارّة؟ يحاول آدم مساعدتها وإنقاذ زواجهما المتعثر، رغم انهماكه في قضية زوج متهم بقتل عروسه. إلا أن الأرواح التائهة لا تستكين، والأصوات تعلو لتخطف معها آخر بقايا الثقة بين مينلي وكلّ من يحيطون بها. فالمكان والظرف تربة خصبة للتأويلات، والنوايا المستترة يغلّفها موجّ ناصع الزبد...

صدرت عن نوفل عناوين أخرى للكاتبّة: كأنك لا تراها، مطلوب فتاة تهوى الموسيقى تهوى الرقص، غريب بالمرصاد.

ISBN 978-9953-26-461-5



9 789953 264615

نوفل هي دمجّة الناشر

هاشيت
أنطوان A.